زهر الآداب

وثمر الألباب

لأبي إسحق الحصري القيرواني

مفصل ومضبوط ومشروح



بقلم

الدكتور زكي مبارك

الجزء الثالث — الطبعة الثانية

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد علي بمصر

لصاحبها : مصطفى محمد

مطبعة حجازى

بالقاهرة تليفون رقم ٥٥٤٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

غرر المدائح

(نبذ من مفردات الأبيات فى فرائد المدح)

— أبو نواس :

وكَلْتَ بالدهر عيناً غــير نائمة * من جود كفيك تأسو كلما جرحا

— الطائى :

فلو صورت نفسك لم تزدها * على ما فيك من كرم الطباعِ

— وله :

ولو لم يكن فى كفه غير نفسهِ * لجاد بهــا ، فليتق الله سائله

— البحترى :

ولم أر أمثــال الرجال تفاوتوا * لدى المجد حتى عُد ألفٌ بواحد

— كشاجم :

عرف الفاضلون فضلك بالعلـ * ـم وقال الجهــال بالتقليــدِ

— المتنبى :

شخص الأنام إلى كمالك فاستعذ * من شر أعينهم بعيب واحدِ

— وله :

ولما رأيت الناس دون محــله * تيقنت أن الدهر للناس ناقدُ

— وله أيضاً :

إن خوطبوا أو لُقُوا أو كوتبوا وُجِدوا * فى اللفظ والخط والهيجاء فرسانا

وله أيضاً :

ذِكر الأنام لنا فكان قصيدةً * كنت البديع الفرد من أبياتها

— أبو العباس الناشىء :

خلقت كما أرادتك المعالى * فأنت لمن رجاك كما يريدُ

— المأمونى :

وخلائق كالخمر دون فعالهِ * حَببٌ لهن وما لهن خُمارُ(١)

كرم الخلفاء

وقال ابراهيم الموصلى لموسى الهادى وهو نديمه وقد غناه صوتاً فأعجبه : إن من كان محله من أمير المؤمنين محلى فى الانبساط ، وتقدم المنادمة ، جرأه البسط على الطلب ، وبعثته المنادمة على الرجاء ، وقد نصب لى أمير المؤمنين بقربى منه مشارع الرغبة إليه ، وحتى محلى عنده على الكروع فى المنهل بين يديه

فقال : سل شفاها فانى جاعل فعلى على إجابتك إليه حاضراً . فسأله ما قيمته خمسون ألف دزهم ، فأمر له بمائة ألف درهم .

الاسكندر وابن دارا

ولما ظفر الاسكندر بدارا بن دارا قال له :

بم اجترأ عليك صاحب شُرطتك ؟ قال : بتركى رهبته وقت إساءته وتفريطه ، وإعطائه وقت الاحسان اليسيرِ من فعله نهايةَ رغبته

فقال الاسكندر : نعم العون على إصلاح القلوب الموغرة الترغيب بالأموال ، وأصلح منه عاجلا الترهيب وقت الحاجة إليه

أحزم الملوك

وقال الحسن بن سهل خرج بعض ملوك الفرس متنزها فلقى بعض الحكماء فسأله عن أحزم الملوك فقال : من ملك جده هزله ، وقهر لبه هواه ، وأعرب

---

(١) الخمار بالضم هو مايعترى الشارب من الألم عند فقد الشراب

لسانه عن ضميره ، ولم يخدعه رضاه عن سخطه ، ولا غضبه عن صدقه

فقال الملك : لا بل أحزم الملوك من إذا جاع أكل ، وإذا عطش شرب ، وإذا تعب استراح

فقال الحكيم : أيها الملك ، قد أجدت الفطنة . هذا العلم مستفاد أم غريزى ؟ قال كان عندنا معلم من الهند وكان هذا نقشَ خاتمه : قال فهل علمك غير هذا ؟ قال ومن أين يوجد مثل هذا عند رجل واحد ؟ ثم قال له الملك : علمنى من حكمتك أيها الحكيم . قال نعم احفظ عنى ثلاث كلمات . قال ماهن ؟ قال صقلك السيف ليس له جوهر من سِنْخِه خطأ(١) ، وصبك الحب فى الأرض السبخة ترجو نباته جهل ، وحملك المسنّ على الرياضة عناء

قال أبو تمام الطائى :

والسيف مالم يلف فيه صيقلٌ * من نفسه لم ينتفع بصِقالِ

كلمات الحكماء

— وقيل لبعض الحكماء : ما الدليل الناصح ؟ قال غزيرة الطبع . قيل ما العائد المشفق ؟ قال حسن المنطق ، قيل فما العناء المُعَنِّى ؟ قال تطبعك مالا طبع له

— وقال أنو شروان : الناس ثلاث طبقات ، تسوسهم ثلاث سياسات ، طبقة من خاصة الأشرار : تسوسهم بالغلظة والعنف والشدة ، وطبقة من العامة تسوسهم باللين والشدة ، فلا تحرجهم الشدة ، ولا يبطرهم اللين(٢)

— قال واصل بن عطاء : ألا قاتل الله هذه السفلة توادُّ من حادَّ الله ونبيه ، وتحادُّ من وادّ الله ونبيّه ، وتذم من مدحه الله ، وتمدح من ذمه لله ، على أن بهم عُلِم الفضل لأهل الطبقة العالية ، وبهم أعطيت الأوساط حظا من النبل

(١) السنخ بالكسر الأصل (٢) لم يذكر الطبقة الثالثة

— وقيل لبعض الملوك مابلغ بك هذه المنزلة ؟ قال عفوى عند قدرتى ، ولينى عند شدتى ، وبذلى الانصاف ، ولو من نفسى ، وإبقائى فى الحب والبغض مكاناً لموضع الاستبدال

— قال الاسكندر لأحد الحكماء وأراد سفراً : أرشدنى لأحزم أمرى ، فقال : لاتملأن قلبك من محبة الشيء ، ولا يستولين عليك بغضه ، واجعلهما قصدا ، فان القلب كاسمه ينزع ويرجع ، واجعل قرينك التثبت ، وسميرك التيقظ ، ولا تقدم إلا بعد المشورة ، فانها نعم الدليل . فاذا فعلت ذلك ملكت قلوب رعيتك

— وقيل لبعض الحكماء ما الحزم ؟ قال سوء الظن . قيل فما الصواب ؟ قال المشورة . قيل فما الرأى الذى يجمع القلوب ؟ قال المودة . قيل فما المودة ؟ قال كفٌ بذول ، وبِشرٌ جميل . قيل فما الاحتياط ؟ قال الاقتصاد فى الحب والبغض

— وسئل بزرجمهر ما المروءة ؟ قال ترك مالا يعنى . قيل فما الحزم ؟ قال انتهاز الفرصة . قيل فما الحلم ؟ قال العفو عند القدرة . قيل فما الشدة ؟ قال ملك الغضب . قيل فما الخرق ؟ قال حب مغرق ، وبغض مفرط

— قال معاوية رضى الله عنه لزياد حين ولاه العراق : يازياد ، ليكن حبك وبغضك قصداً ، فان العثرة فيهما كامنة ، واجعل للنزوع والرجوع بقية من قلبك ، واحذر صولة الانهماك ، فانها إلى الهلاك

ومن كلام بلغاء أهل العصر فى ذكر السلطان :

— أبو القاسم الصاحب : مرضاه السلطان ، لا تغلو بشيء من الاثمان ، ولا يبذل الروح والجنان

— تهيّب السلطان فرض وكيد ، وحتم على من ألقى السمع وهو شهيد

كلمات الصابى

فصل للصابى:

الملك أحق باصطفاء رجاله منه باصطفاء أمواله لأنه مع اتساع الأمر ، وجلالة القدر ، لايكتفى بالوحدة ، ولايستغنى عن الكثرة ، ومثله فى ذلك مثل المسافر فى الطريق البعيد ، الذى يجب أن تكون عنايته بفرسه المجنوب كعنايته بفرسه المركوب

فصل للصابى :

الملك بمن غلط من أتباعه فاتعظ ، أشد اتعاظا منه بمن لم يغلط ولم يتعظ : فالأول كالقارح الذى أدبته الغرة ، وأصلحته الندامة ، والثانى كالجذَع المتهور الذى هو راكب للغرة وراكن للسلامة (١)

— وقيل إن العظم إذا جبر من كسره عاد صاحبه أشد بطشاً وأقوى يداً

كلمات الخوارزمى

أبو بكر الخوارزمى :

— لاصغير مع الولاية والعِيالة ، كما لا كبير مع العطلة والبطالة ؛ وانما الولاية أنثى تصغر وتكبر بمواليها ، ومطية تحسن وتقبح بممتطيها ، والصدر لمن يليه ، والدَّست بمن جلس فيه ، والأعمال بالعمال ؛ كما أن النساء بالرجال

فصل له :

— إن ولاية المرء ثوبه ، فان قصُرَ عرِى منه ، وإن طال عثر فيه .

— قليل السلطان كثير ، ومداراته حزم وتدبير ، ومكاشفته غرور وتغرير

الأدب مع الملوك

أبو الفتح البستى :

— أجهل الناس من كان على السلطان مدلا ، وللاخوان مذلا

(١) القارح هو الذى بلغ تمام القوة والجذع دون ذلك

أبو الفضل ابن العميد: الابقاء على حشم السلطان وعماله ، عدل الابقاء على ماله ، والاشفاق على درهمه وديناره

ومن رسالة طويلة جواب لأبى شجاع عضد الدولة عن كتاب اقتضاه فيه صدر كتاب ألفه أبو الحسن الصوفى فى نوع من علوم الهيئة :

أنا أقدم الاجابة بحمد الله ، تعالى جده ، على ما وهب لنا معاشر عبيده وخدمه خاصة ، بل لرعاياه عامة ، بل لأهل الأرض كافة ، من عظيم النعمة بمكانه ، وجسيم الموهبة بانفاق أعمارنا فى زمانه ، حتى شاركناه فى أسباب السعادة التى لم تزل مذخورة عليه ، حتى صارت إليه ، وساهمناه فى مواد الفضيلة التى لم تزل محفوظة له ، حتى اتصلت به ، فان المرء لأشبه شىء بزمانه وصفات كل زمان سجية من سجايا سلطانه . فانّ الفضل إن شاع فى الزمان وأهله ، تحلى الدهر بأفضل حليته ، وتجلى للعيون والقلوب باحسن زينته ، وكسا بنيه والناشئين فيه بشرف جوهره ، وأورثهم نبل فضله، وعزّ العلم وأهله ، وعُرف لمقتبسه فضله ، وتوجهت الأذهان نحوه ، وتعلقت الخواطر به ، وصرفت الفِكَر فيه ، ونشدتْ ضوالّه ، ونظم إسناده، وجمعت أفراده ، ووثقت نفوس الساعين فى استفادته بحسن عائدته ، فحرصت عليه، وصرفت نظرها إليه ، وأيقنت فى بضاعتها بالنَّفاق ، وفى تجارتها بالارفاق ، فصار ذلك ، إلى نماء العلوم وزيادتها ، داعياً لتكثير قليلها وإيضاح مجهولها ، وعلة إلى انخراط جواهرها المتفرقة فى سلوك التصنيف ، وسبباً إلى تقييد شواردها بعُقل التأليف

وإن رذل السلطان اتبعت الرذيلة اتباعاً وذهبت الفضائل ضياعاً ، وبطلت الأقدار والقيم ، وسلبت الأخطار والهمم ، وزال العلم والتعلم ، ودرس الفهم والتفهم ، وضرب الجهل بجرانه ، ووطىء بمنسمه ، واستعلى الخمول على النباهة ، واستولى الباطل على الحق ، وصار الأدب وبالاً على صاحبه ، والعلم نكالا على حامله ، وبحسب عظيم المحنة بمن هذه صفته ، والبلوى مع من

هذه صورته ، تعظم النعمة بملك سلطان عالم ، كالأمير الجليل عضد الدولة ، أطال الله تعالى بقاءه ، وأدام قدرته ، الذى أحله الله عز وجل من الفضائل بملتقى أطرافها ، ومجتمع فرقها ، فهى نوادٌ ممن لاقت حتى تصير إليه ، وشوارد حيث حلت حتى تقع عليـــه ، تتلفت تلفت الوامق ، وتتشوف تشوف الصب العاشق ، قد ملكتها أنى توجهت وحشة المضاع وحيرة المرتاع

فان تغش قوماً غيرهم أو تزرهمُ * فكالوحش يدنيها من الانس المحلُ (١)

حتى إذا قابلته أسرعت إليه إسراع السيل ينصبّ فى الحدور ، والطير ينقضّ إلى الوكور

الهمم العافية

وقال أبو الطيب المتنبى

أحق عافٍ بدمعك الهممُ * أحدث شىء عهداً بها القدمُ (٢)
وانمــا الناس بالملوك وما * تفلح عُرْبٌ ملوكها عجمُ
لاأدبٌ عندهم ولا حسبٌ * ولا عهودٌ لهم ولا ذممُ
بكل أرض وطئتها أممٌ * تُرعى بعبد كأنها غنم
يستخشنِ الخزّ حين يلمسه * وكان يُبرى بظفره القلمُ

محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان

وقال الزبير بن بكار : قدم ابن ميادة ، واسمه الرماح بن أبرد ، زائراً لعبد الواحد بن سليمان ، وهو أمير المدينة ، فكان عنده ليـلة فى سماره ، فقال عبد الواحد لأصحابه : انى لأهم أن أتزوج فابغونى أيّما ، قال ابن ميـادة : أنا أصلحك الله أدلك ، قال على من يا أبا بشر نميل ؟ قال قدمت عليك أيها الأمير ، فلما قدمت ألفيت المسجد وإذا أشبه شىء به وبمن فيه الجنة ومن فيها ، فبينا أنا أمشى إذ قادتنى رائحة رجل عطرٍ حتى وقفت عليه ،

---

(١) من قصيدة جيدة لمسلم بن الوليد (٢) العافى : المنزل الدارس

فلما وقع بصرى عليه سلبنى حسنه ناظرىّ ، فما أقلعت ناظرىّ حتى تكلم ، فما زال يتكلم كأنما ينثر درا ، ويتلو زبوراً ، ويدرس انجيلا ، ويقرأ فرقاناً ، حتى سكت ، فلولا معرفتى بالأمير ما شككت أنه هو ، ثم خرج من داره إلى مصلاه فسألت عنه فأخبرت أنه من الحسن بمكان ، وأنه للخليفتين ، وأنه قد نالته ولادة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لها ساطع من غرته ، فان اجتمعت أنت وهو على ولد ساد أمره العباد ، وجاب ذكره البلاد

فلما قضى ابن ميادة كلامه قال عبد الواحد ومن حضر : ذلك محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان رضى الله تعالى عنه ، ولد فاطمة بنت الحسين بن على رضى الله عنهم

وقال ابن ميادة :

لهم سيرةٌ لم يعطها الله غيرهم * وكل قضاء الله فصّل فيهمُ

هذا فى تقابل نسبه ، وكمال منصبه . كقول عويف القوافى فى طلحة ابن عبد الله الزهرى

يُصَمّ رجال حين يُدعَوْن للندى * ويدعى ابن عون للندى فيجيب

وذاك امرؤ من أى عطفيه يلتفت * إلى المجد يحو المجد وهو قريب

عبد الواحد بن سليمان

وعبد الواحد بن سليمان هذا هو الذى يقول فيه القطامى :

أقول للحرف لما أن شكت أُصُلاً * طول السّفار وأفنى نيها الرحل(١)

إن ترجعى من أبى عثمان منجعةً * فقد يهون على المستنجع العمل

أهل المدينـــة لا يحزنك شأنهمُ * إذا تخطى عبيد الواحد الأجل

ومن قول القطامى (إن ترجعى من أبى عثمان منجعة) أخذ الآخر قوله:

إذا ما تغنى المرء فى إثر حاجةٍ * فأنجح لم يثقل عليـــه عناؤهُ

(١) الحرف : الناقة ، والنى : الشحم

وهو عبدالواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان. قال ابن الكلبي: هو عبد الواحد بن الحرث بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، والأول قول ابن السكيت

شعر القطامى

والقصيدة التي منها هذه الأبيات من أجود قوله، وفيها يقول مما يتمثل به

والعيش ما العيش إلا ما تقرُّ به * عين ولا حال إلا سوف ينتقل
والناس من يلق خيراً قائلون له * ما يشتهي ولأم المخطيء الهبَل (١)
قد يدرك المتأني بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

قوله (والناس من يلق خيراً قائلون له) مأخوذ من قول المرقش:

ومن يلق خيراً يحمد الناس أمره * ومن يغوِ لا يعدم على الغي لائما

وقال عمرو بن سعيد للأخطل: أيسرك أن لك بشعرك شعراً؟ قال لا، ما يسرني أن لي بقولي مقولا من مقاويل العرب، غير أن رجلا من قومي قال أبياتاً حسدته عليها، وايم الله انه لمغدف القناع، ضيق الذراع، قليل السماع، قال ومن هو؟ قال القطامى. قال وما هذه الأبيات؟ فأنشد له يصف إبلا من هذه القصيدة

يمشين رهواً فلا الأعجاز خاذلة * ولا الصدور على الأعجاز تتكل (٢)
فهن معترضات والحصا رمِضٌ * والريح ساكنة والظل معتدل (٣)
يتبعن سامية القيدين تحسبها * مجنونة أو ترى ما لا ترى الابل

الصوت الرخيم

قال أبو العتاهية لمخارق: أنت بنغم ألفاظك، دون نغم ألحانك، تُطرب إذا تكلمت، فكيف إذا ترنمت!

---

(١) الهبل: الثكل (٢) الرهو: السير السهل (٣) رمض: حار

وقال له يوما : ياحكيم هذه الاقاليم، لاأطيب فى هذه الآذان ، من جيد تلك الألحان ، فأقسم لوكان الكلام طعاما ، لكان غناؤك به إداما

قال إسحق بن إبراهيم الموصلى : دخلت على المعتصم يوما وقد خلا وعنده جارية تغنيه ، وكان معجباً بها ، فلما جلست قال لى ياأبا اسحق كيف تراها ؟ فقلت ياأمير المؤمنين أراها تقهره بحذق وتختلسه برفق ، ولا تخرج من حسَن إلا إلى أحسن منه ، وفى حلقها شذور نغم ، أحسن من دوام النعم . قال يا إسحق هن غايات الأمل ومُنْسيات الأجل ، والسقم الداخل ، والشغل الشاغل ، وإن صفتك لو سمعها من لم يرها لفقد لبه : وقضى نحبه

وسئل إسحاق عن المجيد من المغنين فقال : من لطف فى اختلاسه ، وتمكن من أنفاسه ، وتفرع فى أجناسه ، يكاد يعرف أهواء مجالسيه ، وشهوات معاشريه ، يقرع مسمع كل واحد منهم بالنحو الذى يوافق هواه ، ويطابق معناه

اسحق الموصلى

وكان اسحق بن ابراهيم قد جمع إلى حذقه فى صناعته حسنَ التصرف فى العلوم وجودة الصنعة للشعر . وحدث عن نفسه فقال : كنت أيام الرشيد أبكر إلى هشيم ووكيع فأسمع منهما ثم أنصرف إلى عاتكة بنت شهدة فتطارحنى صوتين ثم أسير إلى زلزل الضارب فآخذ منه طريقين ثم أسير إلى منزلى فأبعث إلى أبى عبيدة والأصمعى فلا يزالان عندى إلى الظهر ، ثم أذهب إلى الخليفة (١)

---

(١) عبارة معجم الأدباء « بقيت زمانا من دهرى أجلس إلى هشيم فأسمع منه الحديث ثم أصير إلى الكسائى فأقرأ عليه جزءا من القرآن، وآتى الفراء فأقرأ عليه جزءا ، ثم آتى منصور زلزل فيضارب بى طريقين أوثلاثة ثم آتى عاتكة بنت شهدة فآخذ منها صوتا أوصوتين ، ثم آتى الأصمعى فأناشده ، وآتى أبا عبيدة فأذاكره . ثم أصير إلى أبى فأعلمه ماصنعت ومن لقيت وما أخذت ، وأتغدى معه ، وإذا كان العشاء رحت إلى الرشيد »

ونزل أبوه بالموصل وليس من أهلها فنسب إليها . وهو مولى خزيمة ابن أبي حازم التميمي . وفي ذلك يقول اسحاق

إذا مضر الحمراء كانت أرومتي * وقام بنصري حازمٌ وابن حازمِ
عطست بأنفي شامخاً وتناولت * بنانى الثريا قاعداً غير قائم

وفيه يقول محمد بن عامر الجرجاني يرثيه

على الجدث الشرقيّ عوجا فسلما * ببغـــداد لما صرعته عوائده
أاسحق لاتبعد وإن كان قد رمى * بك الموت مرمىً ليس يصدر وارده
متى تأته يوماً تحـاول منفساً * من الدين والدنيا فانك واجده
إذا هزل اخضرّت فروع حديثه * ورقّت حواشيه وطابت مشاهده
وإن جدّ كان القول جداً وأقسمت * مخارجه أن لاتلين شدائده (١)

شعر اسحاق الموصلي

ومن جيد شعر اسحق قصيدته في اسحق بن ابراهيم المصعبي بعد إيقاعه بالخرمية

تقضّت لبانات وجدّ رحيـــــلُ * ولم يشف من أهل الصفاء غليلُ
ومُدّت أكف للوداع فصافحت * وفاضت عيون للفراق تسيل
ولابدّ للالاّف من فيض عبرةٍ * إذا ما خليـــلٌ بان عنه خليل
فكم من دم قد طُل يوم تحملت * أوانس لا يُودى لهن قتيل
غداة جعلت الصبر شيئاً نسيته * وأعولت لو أجدى عليّ عويل
ولم أنس منها نظرة هاج لي بها * هوىً منه بادٍ ظاهرٌ ودخيل
كما نظرت حوراء في ظل سدرةٍ * دعاها إلى ظل الكناس مقيل
فلا وصل إلا أن تلافاه أينقٌ * عِتاق نماها شذقم وجديل

---

(١) انظر مارثي به اسحق في معجم الأدباء ج ٢ ص ٢٧٢

إذا قلبت أجفانها بتنوفة * طوى البعد منها هزة وذميل
تفرّد اسحقُ بنصح أميره * فليس له عند الأنام عديل
يفرج عنه الشكَّ صدقُ عزيمة * ولبٌ به يعلو الرجال أصيل
أغر نجيب الوالدين كأنّه * جسام جلت عنه القيون صقيل
بني مصعب للمجد فيكم إذا بدت * وجوهكم للناظرين دليل
كرُمتم فما فيكم جبان لدى وغًى * ولا منكم عند العطاء بخيل
غَلَبتم على حسن الثناء فراقكم * ثناء بأفواه الرجال جميل
اذا استكثر الأعداء ماقلت فيكمُ * فان الذى يستكثرون قليل .

وهذا نمط الحذاق الفحول — وقال :

ومدرجة للريح غبراء لم يكن * ليجشمها زُمّيْلة غير صارم
يضل بها السارى وإن كان هادياً * وتقطع أنفاس الرياح النواسم
تعسفت أبرى جوزها بشِملة * بعيدة مابين البُرَى والمحازم
كأن شرار المرو من نبذها به * نجومٌ هوت إحدى الليالى العواتم
إذا ضمها والسفر ليل فغيبت * دياجيره عنهم رؤوس المعالم
تنادوا فصاروا تحت أكناف رحلهم * يهدّيهمُ قدح الحصى بالمناسم .

وقال :

ولما رأينا البين قد جدّ جدهُ * ولم يبق إلا أن تَبين الركائبُ
دنونا فسلمنا سلاماً مُخالساً * فردت علينا أعينٌ وحواجبُ
تصد بلا بغض وتخلص لمحةً * إذا غفلت عنا العيون الرواقبُ
نذاد إذا حُمنا لنشفيَ غلةً * كما ذيد عن ورد الحياض الغرائب

وما أحسن ماقال أبوالعباس الناشىء فى هذا المعنى :

ولما رأين البين زُمّت ركابهُ * وأيقنّ منا بانقطاع المطالبِ
طلبن على الركب المجدين علةً * فعجن علينا من صدور الركائب
فلما تلاقينا كتبن بأعينٍ * لنا كتباً أعجمنها بالحواجب

فلما قرأناهنّ سراً طوينها * حِذار الأعادى بازورار المناكب

وقال :

ألا من لقلب لايزال رَميّةً * للمحة طرفٍ أو لكسرة حاجبِ

وللخُمْر اللاتى تساقط لوثها * فتور الخطاعن واردات الذوائب[1]

جمال الذوائب

وعلى ذكر الذوائب قال ابن المعتز :

سقتنىَ فى ليل شبيه بشعرها * شبيهة خديها بغير رقيب

فأمسيت فى ليلين بالشعر والدجا * وخمرين من راح وخد حبيب

وقال بكر بن النطاح :

بيضاء تسحب من قيامٍ شعرَها * وتغيب فيه وهو جثلٌ أسحمُ[2]

فكأنها فيه نهار مبصرٌ * وكأنه ليل عليها مظلمُ

وقال المتنبى :

نَشَرَتْ ثلاث ذوائبٍ من شعرها * فى ليلة فأرت ليالىَ أربعا

واستقبلت قمر السماء بوجهها * فأرتنىَ القمرين فى وقت معا

وقال ابن الرومى :

وفاحم وارد يقبل مم * شاه اذا اختال مُسْبلاً غُدُرَهْ

أقبل كالليل فى مفارقهِ * منحدراً لا يروم منحدره

حتى تناهى إلى مواطئه * يَلثم من كل موطىء عَفَرَه

كأنهُ عاشق دنا شغفاً * حتى قضى من حبيبه وطَرَه

تغشى غواشى قرونه قدما * بيضاء للناظرين معتذرَه

مثل الثريا إذا بدت سحراً * بعد غمام وحاسر حسره

(١) أنظر شعره فى الشوق إلى بغداد ص ٢١١ ج ٢ من المعجم ، وانظر رأى الرشيد فى شعره ص ٢٠٥ ج ٢

(٢) جثل : كثير لين ، وأسحم : أسود

أخذه بعض أهل العصر وهو أبو محمد بن مطرف فقال :

ظباء أعارتها المها حسن مَشْيها * كما قد أعارتها العيون الجآذرُ
فمن حسن ذاك المشى قامت فقبلت * مواطىء من أقدامهن الغدائر

وقال مسلم بن الوليد :

أجدك هل تدرين أنْ رُبَّ ليلةٍ * كأن دجاها من قرونك ينشرُ
نصبت لها حتى تجلت بغرة * كغرة يحيى حين يذكر جعفر

وحدة القصيدة

قال الحاتمى :

مَثَل القصيدة مثَل الانسان فى اتصال بعض أعضائه ببعض ، فتى انفصل واحد عن الآخر وباينه فى صحة التركيب ، غادر الجسم ذا عاهة تتخوّن محاسنه ، وتعفّى معالمه . وقد وجدت حذاق المتقدمين ، وأرباب الصناعة من المحدثين ، يحترسون فى مثل هذا الحال احتراساً يجنبهم شوائب النقصان ، ويقف بهم على محجة الاحسان ، حتى يقع الاتصال ، ويؤمن الانفصال ، وتأتى القصيدة فى تناسب صدورها وأعجازها ، وانتظام نسيبها بمديحها ، كالرسالة البليغة ، والخطبة الموجزة ، لا ينفصل جزء منها عن جزء . وهذا مذهب اختص به المحدثون لتوقّد خواطرهم ، ولطف أفكارهم ، واعتمادهم البديع وأفانينه فى أشعارهم ، وهو مذهب سهلوا حَزنه ، ونهجوا دارسه ، فأما الفحول الأوائل ومن تلاهم من المخضرمين والاسلاميين ، فمذهبهم التعالم عن كذا إلى كذا ، وقصارى كل أحد منهم وصف ناقته بالعتق ، والنجابة ، والنجاء ، وأنه امتطاها فادرع عليها جلباب الليل ، وربما اتفق لأحدهم معنى لطيف يتخلص به إلى غرض لم يعتمده إلا أن طبعه السليم ، وصراطه فى الشعر المستقيم ، قد نُضِيَ بناره ، وأوقد باليفاع ناره . فمن أحسن تخلص شاعر إلى معتمده قول النابغة الذبيانى

فكفكفت منى عبرة فرددتها * على النحر منها مستهِلٌّ ودامعُ

على حينَ عاتبت المشيب على الصبا * وقلت ألمّا أصحُ والشيب وازع(١)
وقد حال همٌّ دون ذلك شاغلٌ * مكان الشّغافِ تبتغيه الأصابع(٢)
وعيدُ أبي قابوس فى غير كنهه * أتانى ودونى راكس فالضواجع(٣)

وهذا كلام متناسب تقتضى أوائله أواخره ، ولا يتميز منه شيء عن شيء

أتانى ، أبيت اللعنَ ، أنك لمتنى * وتلك التى تَستكُّ منها المسامعُ(٤)
مقالة أن قد قلت سوف أناله * وذلك من تلقاء مثلك رائع

ولو توصل إلى ذلك بعض الشعراء المحدثين الذين واصلوا تفتيش المعانى ، وفتحوا أبواب البديع ، واجتنوا ثمر الآداب ، وفتّحوا زهر الكلام ، لكان معجزاً عجبا ، فكيف بجاهل بدوى إنما يغترف من قليب قلبه ، ويستمد عفو هاجسه(٥)

ظلام الليل

وقال على بن هرون المنجم عن أبيه : لم يتوصل أحد إلى مدح بمثل قول وهيب

مازال يلثمنى مراشفهُ * ويعلنى الابريق والقدحُ
حتى استرد الليل خلعتهُ * وبدا خلال سواده وضحُ
وبدا الصباح كأن غرتهُ * وجه الخليفة حين يمتدح

وقال على ابن الجهم:

وليلةٍ كحلت بالنقس مقلتها * ألقت قناع الدجى عن كل أخدود(٦)

(١) وازع : زاجر (٢) الشغاف، بفتح الشين ، داء يأخذ تحت الشراسيف فى الشق الأيمن تبتغيه أصابع المطببين لتنظر أنزل من ذلك الموضع أم لم ينزل وانما ينزل عند البرء . والشغاف أيضا = حجاب القلب

(٣) راكس اسم واد والضواجع منحنيات الوادى (٤) تستك : من السكك بفتحتين وهو الصمم (٥) فى الجزء الثانى من كتاب (النثر الفنى) بحث مفصل عن الحاتمى ومذهبه فى النقد الأدبى

(٦) النقس بالكسر المداد ويجمع على أنقاس

قد كان يغرقنى أمواج ظلمتها * لولا اقتباسى سنا وجه ابن داود

قوله (كحلت بالنقس مقلتها) مأخوذ من قول أعرابى :

واللیل قد صبغ الحصى بمداد

أخذ هذا أبو نواس فقال :

أبِنْ لى كيف صرت إلى حريمى * وجفن الليل مكحولٌ بقارِ

وقد أخذ هذا أبو تمام فقال :

اليك هتكنا جنح ليل كأنهُ * قد اكتحلت منه البلاد بإثمدِ

وقد أخذ لفظ الأعرابى المتقدم أبو نواس فقال :

قد أغتدى والليل كالمدادِ * والصبح ينفيه عن البلاد

طرد المشيب حالك السوادِ

وإنما نظر فى هذا إلى قول الأعرابى

أقول والليل قد مالت أواخره * إلى الغروب : تأملْ نظرةً حارِ

ألمحة من سنا برقٍ رأى بصرى * أم وجه نُعمٍ بدا لى أم سنا نار

بل وجه نعم بدا والليل معتكرٌ * فلاح ما بين حُجّاب وأستار

حسن التخلص

ومن بديع الخروج قول على بن الجهم وذكر سحابة :

وسارية تزدار أرضا بجودها * شغَلت بها عينا طويلا هجودها(١)

أتتنا بها ريح الصبا فكأنها * فتاة تزجّيها عجوز تعودها

فلما قضت حق العراق وأهله * أتاها من الريح الشمال بريدها

فمرت تفوق الطير سبقا كأنها * جنود عبيد الله ولت بنُودها

يريد انصراف أصحاب عبيد الله بن خاقان عن الجعفرى إلى سُرّ من رأى عند قتل المتوكل ، وقد أخذ هذا التشبيه معكوسا من قول أبى العتاهية

ورايات يحل النصر فيها * تمر كأنها قطع السحابِ

(١) السارية : السحابة تسير ليلا ، وتزدار : تزور ، والجود بالفتح الغيث

وقال ديك الجن

وغرير يقضى بحكمين: فى الرا * ح، بجور، وفى الهوى بمحال
للنقا ردفه وللخوط ما * حُمّل ليناً وجيده للغزال (١)
فعلت مقلتاه بالصب ماتف * عل جَدوى يديك بالأموال

ومن بارع الخروج قول المتنبي

مرت بنا بين تربيها فقلت لها * من أين جانس هذا الشادن العربا
فاستضحكت ثم قالت كالمغيث يُرى * ليث الشرى وهو من عِجْل اذا انتسبا

واشتهار شعره، يمنعني من ذكره

فضل النسيب

قال ابن قتيبة (٢) : سمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصّد القصيد إنما ابتدأ بوصف الديار، والدمن، والآثار، فبكى، وشكا، وخاطب الربع، واستوقف الرفيق، ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الظاعنين، إذ كانت نازلة العُمُد فى الحلول والظعن، على خلاف ماعليه نازلة المدر، لانتقالهم من ماء إلى ماء، وانتجاعهم الكلأ، وتتبعهم مساقط الغيث حيث كان، ثم وصل ذلك بالنسيب، فبكى شدة الوجد، وألم الصبابة والشوق، ليميل نحوه القلوب، ويصرف إليه الوجوه، ويستدعى إصغاء الأسماع، لأن النسيب قريب من النفوس، لائط بالقلوب، لما جعل الله تعالى فى تركيب العباد من محبة الغزل. وإلف النساء، فليس يكاد أحد يخلو من أن يكون منه متعلقاً بسبب، وضارباً بسهم، حلال أو حرام، فاذا استوثق من الاصغاء اليه، والاستماع له. عقب بايجاب الحقوق، فرحل فى شعره. وشكا التعب والسهر، وسُرى الليل، وقرر عند صاحبه ما نالته من المكاره فى المسير، ثم بدأ فى المديح فبعثه على المكافأة، وفضله على الأشباه، وصغر فى قدره الجزيل، وهزه لفعل الجميل. فالشاعر المجيد من سلك هذه

(١) الخوط بالضم الغصن الناعم الرقيق (٢) مختصر من مقدمة الشعر والشعراء

الأساليب ، وعدل بين هذه الأقسام ، فلم يجعل واحداً أغلب على الشعر ، ولم يطل فيمل السامعين ، ولم يقطع بالنفوس ظمأً إلى المزيد

أبو تمـام والبحترى

ويتعلق بهذه القطعة ماحـدث به الحاتمى عن نفسه ، وإن كانت الحكاية طويلة فهى غير مملولة، لما لبسته من حلل الآداب ،وتزينت به من حلى الألباب ،قال جمعنى ورجلين من مشايخ البصرة،ومن يؤبه إليه فى علم الشعر،مجلس بعض الرؤساء ، وكان خبره قد سبق إلىّ فى عصبيته للبحترى، وتفضيله إياه على أبى تمام ووجدت صاحب المجلس مؤثراً لاستماع كلامنا فى هذا المعنى ، فأنشأت قولا أنحيت فيه على البحترى إنحاءً أسرفت فيه ، واقتدحت زناد الرجل ، فتكلم وتكلمت ، وخضنا فى أفانين من التفضيل والمماثلة ، غلوت فى جميعها غلوا شهده جميع من حضر ، وخضنا فى أفانين فى المجلس . وكانوا أجلة الوقت ، وأعيان الفضل ، فاضطر إلى أن قال مايحسن أبوتمام يبتدىء ، ولا يخرج ولا يختم ، ولو لم يكن للبحترى عليه من الفضل إلا حسن ابتداآته ، ولطف خروجه ، وسرعة انتهائه ، لوجب أن يقع التسليم له ، فكيف بأوابده التى تزداد على التكرار غضارة وجدة ؟ ثم أقبل علىّ فقال : أين يُذهب بك عن ابتدائه :

عارضننا أُصُلاً فقلنا الرَّبربُ * حتى أضاء الأقحوان الأشنب (١)
واخضرّ موشىُّ البرود وقد بدا * منهن ديباج الخـــدود المُذهَب

وأنّى لأبى تمام مثل خروجه حيث يقول :

أدارَهمُ الأولى بدارة جلجل * سقاك الحيا ريحانهُ وبوا كره
وجاءك يحكى يوسف بن محمد * فروّتك ريّاه وجادك ماطِره

وقد كرر هذا وزاد فيه فقال :

---

(١) الأشنب من الشنب بفتحتين وهو رقة وعذوبة فى الأسنان

تنصّب البرق مختالا فقلت له * لو جدت جود بنى يزداد لم تزد

ومن ذا الذى لَطُف لأن يخرج من وصف روض إلى مدح ، فقال أحسن من قوله :

كأن سناها بالعشىّ لصحبها * تبلّج عيسى حين يلفظ بالوعدِ

وأنى لأبى تمام مثل حسن انتهائه حيث يقول :

إليك القوافى نازعات شوارداً * يسيّر ضافى وَشْيها وينمنمُ

ومشرقةً فى النظم غرّا يزيدها * بهاءً وحسناً أنها لك تنظم

وقوله فى هذا المعنى :

ألست الموالى فيك نظم قصائدٍ * هى الأنجم اقتادت مع الليل أنجما

ثناء تخال الروض فيه منوراً * ضحى وتخال الوشى فيه منمنما

ولقد تقدم البحترى الناس كلهم فى قوله :

لو أن مشتاقا تكلف فوق ما * فى وُسْعِهِ لسعى إليك المنبرُ

قال أبو على : وكنت ساكناً إلى أن استتم كلامه ، وكأن الجماعة أعجبهم ذلك ، عصبيةً علىّ لا على أبى تمام ، لأنى كنت كالشجا معترضاً فى لهواتهم ، وأسرّ كل واحد منهم إلى صاحبه سرا يومىء به إلى استيلاءِ الوجل علىّ ، فلما استتم كلامه ، وبرقت له بارقة طمع فى تسليمى له ، ابتدأت فقلت : لست ممن يقعقع له بالحصا ، أو تقرع له العصا ، لا إله إلا الله ! استنت الفصال حتى القَرعى ! هل هذه المعانى إلاّ عَوانٌ مفترعة ؟ وقد تقدم أبو تمام إلى سبك نضارها ، وافتضاض أبكارها ، وجرى البحترى على وتيرته فى انتزاع أمثالها وأتباعها . فأما قوله :

« عارضننا أُصُلا فقلنا الربرب »

فمن قول أبى جويرية العبدى

سلمن نحوى للوداع بمقلة * فكأنما نظرت إلينا الربرب

وقرأن بالحدق المراض تحيةً * كادت تكلمنا وإن لم تعرب

وأما قوله فى صفة الغيث مخاطبا للدار :

(وجاءك يحكى يوسف بن محمد)

وقوله فى هذا المعنى :

(لو جدت جود بنى يزداد لم تزد)

فمن قول أبى تمام

وبيوتها فى القلب نُوىً شفه * وله بظاعنها وبالمتخاف (١)

وكأنما استسق لهن محمد * من سومهن من الحيا فى زخرف

ومن قوله الذى نقدم فيه كل أحد لفظا رشيقا ومعنى دقيقا

ديمة سمحة القياد سكوب * مستغيثٌ بها الثرى المكروبُ

لو سعت بقعة لإعظام نعمى * لسعى نحوها المكان الجديب

ومن هنا أخذ البحترى (لسعى إليك المنبر) — وأما قوله

كأن سناها بالعشى لصحبها * تبلج عيسى حين يلفظ بالوعد

فانما نظر فيه إلى قول دعبل بن على

وميثاء خضراء زربية * بها النَّوْر يلمع فى كل فن (٢)

ضحوكا إذا لاعبته الرياح * تأودكالشارب المرجحن (٣)

فشبه صحبى سنا نَورها * بديباج كسرى وعصب اليمن

فقلت صدقتم ولكننى * أشبهه بجناب الحسن

فتى لا يرى المال إلا العطاء * ولا الكنز إلا اعتقاد المنن

وأما قوله فى صفة القوافى (يسير ضاف وشيها وينمنم) وقوله فى وصفها

(١) الظاعن الراحل ، والمتخلف المقيم

(٢) الميثاء الأرض السهلة ، والزربى من النبت مااصفر أو احمر وفيه خضرة

(٣) المرجحن : المترنح

(وتخال الوشي فيه منمنما) فمن قول أبي تمـام:

حلوا بها عُقدالنسيم ونمنموا * من وشيها نشرا لها وقصيدا

ومن قوله الذي أبدع فيه :

ووالله لاأنفك أهدي شوارداً * إليك تحملن الثناء المبجلا
تخال به برداً عليك محبراً * وتحسبه عقدا عليك مفصلا
ألذ من السلوى وأطيب نفحةً * من المسك مفتوقاً وأيسر محملا
أخف على قلبي وأثقل قيمةً * وأقصر في قلب الجليس وأطولا

وقول البحتري :

(هي الأنجم اقتادت مع الليل أنجما)

مأخوذ من قول أبي تمام مقصراً عنه كل تقصير عن استيفاء إحسانه حيث يقول:

أصخ تستمع حر القوافي فانها * كواكب إلا أنهن سعود
ولا يمكن الإخلاق منها فانما * يلذ لباس البرد وهو جديد

فهذه خصال صاحبك فيما عددته من محاسنه التي هتكت بها ستر عواره ، ونشرت مطوي أسراره ، حتى استوضحت الجماعة أن احسانه فيها عارية مرتجعة ، ووديعة منتزعة ، فاسمع ماقال أبو تمـام في نحو أبياتك التي أوجبت الفضل لصاحبك حين قال مبتدئا

لاأنتِ أنتِ ولا الديار ديارُ * خف الهوى وتقضت الأوطارُ
كانت مجاورة الطلول وأهلها * زمنا عذاب الوِرد وهي بحار

وقوله :

رقت حواشي الدهر فهي تمرمرُ * وغدا الثرى في حَلْيه يتكسر

وقوله :

أرأيت أي سوالف وخدود * عنّت لنا بين اللوى وزَرود

وهل يستطيع أحد أن يبتدىء بمثل ابتدائه :

طلل الجميع لقد عفوت حميدا * وكفى على رزئي بذاك شهيدا

دِمنٌ كأن البين أصبح طالبا * دَيناً لدى آرامها وحقودا

أو مثل قوله مبتدئا :

يادارُ درّ عليك أرهام الندى * واهتز عودك للثرى فتأودا

وكسيت من خِلع الحيامستأسِدا * أنفا يغادر وحشه مستأسدا

أو مثل قوله مبتدئا

غدت تستجير الدمع خوف نوى غدِ * وعاد قتادًا عندها كل مَرقد

فأذرى لهـا الاشفاق دمعا موردا * من الدم يجرى فوق خد مورّد

ولقد أحسن حين ابتدأ فقال :

نَوارٌ فى صواحبها نوار * كما فاجاك سِربٌ أو صوار(١)

تكذّب حاسدٌ فنأت قلوبٌ * أطاعت واشيا ونأت ديار

وحيث يقول

مافى وقوفك ساعة من باسِ * تقضى ذمام الأربُع الأدراس

فلعل عينك أن تجود بدمعها * والدمع منه خاذل ومواسى

وحيث يقول

ماعهدْنا كذا نحيب المشُوقِ * كيف والدمع آية المعشوقِ

وحيث يقول

دِمَن ألمّ بها فقال سلامُ * كم حل عقدة صبره الإلمامُ

نحرت ركاب الركب حتى يعبروا * رجلا وقد حَنَقوا علىّ ولاموا

وحيث يقول

أما الرسوم فقد أذكرن ماسلفا * فلا تكفنّ عن شأنيك اويكفا

لاعذر للصب أن يفنى السلو ولا * للدمع بعـد مضى الحى أن يقفا

ومن اقتضاباته البديعة قوله

لهان علينـا أن نقول وتفعلا * ونذكر بعض الفضل منك وتفضلا

---

(١) الصوار قطيع البقر ، والسرب قطيع الغزلان

وقوله أيضاً مقتضبا

الحق أبلج والسيوف عَوارِ * فحذار من أسد العَرين حذارِ

ومما تقدم فيه كل أحد فى حسن التخلص إلى المدح قوله

إساءةَ الحادثات استنبطى نفقا * فقد أظلك إحسان ابن حسانِ

وقوله

إذا العيس لاقت بى أبا دلف فقد * تقطع ما بينى وبين النوائب

وقوله

لم يجتمع قط فى مصر ولا طرف * محمد ابن أبى مروان والنُّوَب

وقوله المنقطع دونه كل قول فى هذا المعنى

إن الذى خلق الخلائق قاتها * أقواتها لتصرّف الأحراسِ

فالأرض معروف السماء قِرًى لها * وبنو الرجاء لهم بنو العباس

القوم ظل الله أسكن دينه * فيهم وهم جبل الملوك الرامى

وقوله

عامى وعام العيس بين تنوفةٍ * مسجورة ووديقةَ صيهودِ (١)

حتى أغادر كل يوم بالفلاً * للطير عيداً من بنات العيد

هيهات منها روضةٌ محمودةٌ * حتى تناخ بأحمد المحمود

بمعرّس العرب الذى وجدَت به * أمن المروع ونجدة المنجود

ومن أبدع ابتدائه قوله

أسقى ديارهمُ أجشُّ هزيمُ * وغدت عليهم نضرة ونعيمُ (٢)

ثم تخلص الى المدح فقال وأحسن كل الاحسان :

لا والذى هو عالم ان النوى * مرٌّ وأن أبا الحسين كريمُ

ما حُلت عن سَنن الوداد ولا غدت * نفسى على إلف سواك تحوم

---

(١) الصيهود : الفلاة لا ينال ماؤها ، والوديقة شدة الحر ، والتنوفة الصحراء والمسجورة الموقدة

(٢) الأجش : الغليظ الصوت ، والهزيم الرعد الشديد الصوت

ثم عاد إلى المدح فقال :

محمد بن الهيثم بن شبابةٍ * مجدٌ إلى جنب السماك مقيم
ملك إذا نُسِبَ الندى من ملتقى * طرفيه فهو أخٌ له وحميم

وأبو تمام الذى وصف القوافى بما لم يستطع وصفها به أحد فقال :

فان أنا لم يحمدك عنىَ صاغراً * عدوك فاعلم أننى غير حامدِ
بسيَّاحة تنساق من غير سائق * وتنقاد فى الآفاق من غير قائد
مخيَّمة ما إن تزال ترى لها * الى كل أفق وافداً غير وافد
ومحلفة لما ترد أذن سامع * فتصدر الا عن يمين وشاهدِ

والذى قال أيضاً فى صفتها

جاءتك من نظم اللسان قلادةٌ * سِمطان فيها اللؤلؤ المكنونُ
أنسية وحشيـة كثرت بهـا * حركات أهل الأرض وهى سكون
جُليت جلاء الحضرمية أرهفت * وأجادها التخصير والتلسين
ينبوعها خضِلٌ وَحليٌ قريضها * حلْيُ الهدى ونسيجها مَوْضون(١)
قد حاكها صنَع الضمير يمده * جفرٌ إذا نضب الكلام معين(٢)
أما المعانى فهى أبكار إذا * نصت ولكن القوافى عُون

وقد أبدع فى وصفها فقال

لم تبق حلية منطق إلا وقدْ * سبقت سوابقها إليك جيادى
أبقين فى أعناق جودك جوهرا * أبقى من الأطواق فى الأجياد

هل يستطيع أحد أن ينسب هذا أو شيئا منه إلى السرقة والاختلاس ؟ وهل يستطيع مماثلته بشيء من شعر البحترى أو أشعار المحدثين فى عصره ومن قبله ؟ فعيي عن الجواب قصوراً ، وأحجم عن المساجلة تقصيراً ، وحكمت الجماعة لى بالقهر ، وعليه بالنصر ، ولم ينصرف عن المجلس حتى اعترف

(١) موضون . محكم (٢) الجفر : البئر

بتقديم أبى تمام فى صنعة البديع واختراع المعانى ، على جميع المحدثين ، وكان يوماً مشهودا

اختيار المغنى الجميل

وقال ثمامة بن أشرس : كنت عند المأمون يوما فاستأذن الغلام لعمير المغنّى فكرهت ذلك ، ورأى المأمون الكراهية فى وجهى ، فقال يا ثمامة ما بك ؟ فقلت يا أمير المؤمنين إذا غنى عمير ، ذكرت مواطن الإبل ، وكثبان الرمل وإذا غنتنا فلانة انبسط أملى ، وقوى جذلى ، وانشرح صدرى ، وذكرت الجنان والولدان ، كم بين أن تغنيك جارية غادة ، كأنها غصن بان ، ترنو بمقلة وسنان ، كأنما خلقت من ياقوتة ، أو خرطت من فضة ، بشعر عكاشة العمى حيث يقول :

من كف جارية كأن بنانها * من فضة قد طرّفت عنابا
فكأن يمناها إذا ضربت بها * ألقت على الكف الشمال حسابا

وبين أن يغنيك رجل كث اللحية ، غليظ الأصابع ، خشن الكف ، بشعر ورقاء بن زهير حيث يقول :

رأيت زهيراً تحت كلكل خالد * فأقبلت أسعى كالعجول أبادره[1]

وبين أن يحضرك من تشتهى النظر إليه ، ومن لا يقف طرفك عليه ؟ فتبسم المأمون وقال : الفرق بينهما واضح ، والمنهج فسيح ، يا غلام لا تأذن له وأحضر أطيب قيناته ، فظللنا فى أمتع يوم .

عكاشة بن عبد الصمد

وعكاشة هذا هو عكاشة بن عبد الصمد البصرى ، ظريف الشعر ، نقى الديباجة ، وكان شاعراً مجيداً . وقد أخذ معنى قوله أبو العباس الناشى ، وزاد فيه فقال

وإذا بصُرت بكفها اليسرى حكت * يد حاسب تلقى عليك صنوفا

(١) العجول : الثكلى والواله من الابل والنساء

وكأنما المضراب فى أوتاره * قلم يجمجم فى الكتاب حروفا
ويجيبه إبهامها فكأنما * فى النقر تنفى بهرجا وزيوفا

اخذ هذا البيت من قول أبى شجرة السلمى وذكر ناقته :

تطير عنها حصى الظرّان من بلد * كما توقّد عند الجسّة الورق

وأصله قول امرىء القيس :

كأن صليل المرو حين تشده * صليل زيوف ينتقدن بعبقرا

وقال أبو الفتح كشاجم :

لو لم تحركه أناملها * كان الهواء يفيده نطقا
جسته عالمة بحالته * جس الطبيب لمدنف عرقا
غنت فخلت أظنني طربا * أسعى إلى الأفلاك أو أرقى
وحسبت يمناها تحركها * رعدا وخلت يسارها برقا

وصف الغناء

وأنشد الحاتمى لأبى بكر الصولى :

وغناءٍ أرق من دمعة الصب * وشكوى المتيم المهجور
شغَل المرء منظرٌ ثم نطقٌ * فهو يصغى بظاهر وضمير
صافح السمع بالذى يشتهيه * وأذاق النفوس طعم السرور
ليس بالقائل الضعيف اذا ما * رام نغما ولا شنيع الجهيرِ

وقال أبو نواس :

وأهيفَ مثل طاقة ياسمينٍ * له حظان من دنيا ودينِ
يحرك حين يشدو ساكناتٍ * فتنبعث الطبائع للسكون

وهذا مليح : يريد حركة الجوانح للغناء ، وسكون الجوارح للسماع

وقال الحمدونى يصف عوداً :

وناطق بلسان لا ضمير لهُ * كأنه فخذ نيطت إلى قدمِ

يبدى ضمير سواه للقلوب كما * يبدى ضمير سواه منطق القلم

صفات القيان

ومن أحسن ما قيل فى صفه القيان قول ابن الرومى :

وقيـان كأنها أمهاتٌ * عاطفات على بنيها حوانى
مُطْفلات وما حملن جنيناً * مرضعات ولسنَ ذات لبانِ
ملقمات أطفالهن ثديًا * ناهداتٍ كأحسن الرمان
منعمات كأنها حافلات * وهى صِفر من درّة الألبان
كل طفل يدعى بأسماء شتى * بين عود ومزهر وكِران
أمه دهرَها تترجم عنهُ * وهو بادى الغنى عن الترجمان

وقال أبو الفتح كشاجم :

جاءت بعود كأن نغمتهُ * صوت فتاة تشكو فراق فتى
محفف حفّت العيون بهِ * كأنما الزهر حوله نبتا
دارت ملاويه فيه فاختلفت * مثل اختلاف اليدين مذ ثبتا
لو حركته وراء منهزم * على بريد لعاج والتفتا

كيف المتاب

وقال :

يقولون تب والكاس فى كف أغيد * وصوت المثانى والمثالث عالى
فقلت لهم لو كنت أزمعت توبة * وشاهدت هذا فى المنام بدا لى

دلال القيان

وقال :

أفدى التى كلف الفؤاد من آجلها * بالعود حتى شفَى إطراباً

تاهت بجمع صناعتين وأظهرت * كبراً بذاك وأعجبت إعجابا
قالت فضلتك بالغناء وأنت لا * تشدو وكنا مثلكم كتابا
فغنيت بالأوتار حتى لم أدع * نغما ولم أغفل لهن حسابا
وألفتها فأغار ذاك على يدى * قلبى وعاتبها عليه عتابا
فجعلت للقرطاس جانب صدره * وجعلت جانب عجزه مضرابا

وقال:

جاءت بعود كأن الحب أنحلهُ * فما يرى فيه إلا الوهم والشبَحُ
فحركته وغنت بالثقيل لهُ * صوتاً به الشوق فى الأحشاء ينقدح
بيضاء يحضر طيب كلما حضرت * فان نأت عنك غاب اللهو والفرح
كل اللباس عليها مِعرَضٌ حسنٌ * وكل ما تتغنى فهو مقترَح

هذا من قول ابن المعتز:

وغَنت فأغنت عن المسمعيـ * ـن وارتجّ بالطرب المجلسُ
محاسنها نزهة للعيون * ومِعرَضها كل ما تلبس

بحة الصوت

وقال أيضا:

أشتهى فى الغناء بحة حلق * ناعم الصوت متعب مكدودِ
كأنين المحب أضعفه الشو * ق فضاهى به أنين العود
لا أحب الأوتار تعلو كما لا * أشتهى الضرب لازماً للعود
وأحب المحننات كحبى * للمبادى موصولة بالنشيد
كهبوب الصبا توسّط حالا * بين حالين شدة وركود

وقال:

آه من بحة بغير انقطاع * لفتاة موصولة الايقاع

أتعبت صوتها وقد يُجتنى من * تعب الصوت راحة الأسماع
فغدت تكثر الشجاج وحطت * طبقات الأوتار بعد ارتفاع
كأنين المحب خفض منهُ * صوتَ شكواه شدة الأوجاع

وقال بعض أهل العصر وهو أبو الحسن بن يونس :

غنت فأخفت صوتها فى عودها * فكأنما الصوتان صوت العودِ
غيداء تأمر عودها فيطيعها * أبداً ويتبعها اتباع ودود
أندى من النوّار صبُحاً صوتها * وأرق من نشر الثنا المعهود
فكأنما الصوتان حين تمازجا * ماء الغمامة وابنة العنقود

أبو الحسن بن يونس

وأبو الحسن هذا هو أبو على بن عبدالرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى صاحب عبدالله بن وهب الفقيه ، وكان لأبى الحسن فى الشعر مذهب حسن ، وطبع صحيح ، وحَوْك مليح ، وكان عالماً بالنجوم وما يتعلق بها من علوم الأوائل . وهو القائل :

سقى الله أكناف اللوى كلما سقى * بصوب من المزن الكنهور هامل(١)
اذا نشرت ريحُ جُمانَ سحابةٍ * غدا وهو حلىٌ للرياض العواطلِ
به وجد رعد ليس بين جوانح * ووسواس وَدْق ليس بين مفاصل
اذا كان خد البرق يلبس نبتهُ * تلقاه دُرُّ النوّر فوق الخمائل

فضل المرآة

وقال وذكر غلاما :

يجرى النسيم على غلائل خدهِ * وأرق منه مايمر عليهِ
ناولته المرآة ينظر وجههُ * فعكستْ فتنة ناظريه إليهِ

(١) الكنهور : السحاب المتراكم

وقال ابن المعتز وذكر المرآة

فبيتني لي كلما رمت نظرةً * وناصحتني من دون كل صديق
يقابلني منك الذي لاعدمتهُ * بلجة ماء وهو غير غريقِ

وقال أبوالفتح كشاجم يصف مرآة أهداها :

أخت شمس الضّحا في الحسن والاشـ * ـراق غير الإعشاء للأجفان
ذات طوق مشرّق من لجين * أجريت فيه صفرة العقيان
فهي كالهالة المحيطة بالبد * ر لستٌ مضين بعد ثمان
وعلى ظهرها فوارس تلهو * ببزاة تعدو على غزلان
لم يكن قبلها من الماء جرم * حاضنٌ نفسه بغير أوان
عدلت عكسها الشعاع فبدا * هُ إليها وربعه سيان
هي دنيا بها تفاءلت إلا * أنها خلوة من الأحزانِ
وهي شمس فانْ مثالك يوماً * لاح فيها فانها شمسان
أينما قابلت مثالك من أر * ضٍ ففيها تقابل النيران
فالقها منك بالذي ما رآه * خائفٌ فانثني بغير أمان

مدح الغناء

ومن ألفاظ أهل العصر في مدح الغناء :

— غناؤه كالغنى بعد الفقر ، وهو جبر للكسر ، يبسط أسرة الوجه ، ويرفع حجاب الاذن ، ويأخذ بمجامع القلب ، ويحرك النفوس ، ويرقص الرءوس

— فلان طبيب القلوب والاسماع ، ومحيي مَوَات الخواطر والطباع ، يطعم الآذان سروراً ، ويقدح في القلوب نوراً

— القلوب من غنائه على خطر ، فكيف الجيوب !

— السكر على صوته شهادة

— كل مايغنيه مقترَح

— لغنائه فى القلوب ، مواقع القطر فى الوادى الجديب

— نغمة نغمته تطرب ، وضروب طربه لاتضرب

— وقيل : السماع متعة الاسماع ، وإدام المدام

فضل الاقلام

أهدى بعض الكتاب إلى أخ له أقلاماً وكتب إليه :

إنه أطال الله بقاءك ، لما كانت الكتابة قِوام الخلافة ، وقرينة الرياسة ، وعقود المملكة ، وأعظم الأمور الجليلة قدراً ، وأعلاها خطراً ، أحببت أن أتحفك من آلاتها بمايخف عليك محمله ، وتثقل قيمته ، ويكثر نفعه ، فبعثت إليك أقلاماً من القصب النابت فى الاعذاء ، المغذوّ بماء السماء ، كاللآلىء المكنونة فى الصدف ، والأحجار المحجوبة بالصدف ، تنبو عن تأثير الأسنان ، ولا يثنيها غمز البنان ، قد كستها طباعها جوهراً كالوشى الخطير ، والفرقد المنير ، فهى كما قال الكميت :

وبيضٍ رقاقٍ صِحاح المتو * ن تسمع للبيض فيها صريرا
مهنَّدة من عِتاد الملوك * يكاد سناهنّ يُعشى البصيرا

وكقدح النبل فى ثقل أوزانها ، وقصب الخيزران فى اعتدالها ، ووشيج الخط فى اطرادها ، تمر فى القراطيس كالبرق اللائح ، وتجرى فى الصحف كالماء السائح ، أحسن من العقيان ، فى نحور القيان

الأقلام القصبية

وكتب عبيد الله بن طاهر إلى اسحق بن إبراهيم من خراسان إلى بغداد يسأله أن يوجه اليه بأقلام قصبية :

أما بعد فإنّا على طول الممارسة لهذه الصناعة التى غلبت على الاسم ، ولزمت لزوم الرسم ، فحلت محل الأنساب ، وجرت مجرى الألقاب ، وجدنا الأقلام القصبية أسرع فى الكواغد ، وأمرّ فى الجلود ، كما أن البحرية منها أملس فى القراطيس ، وألين فى المعاطف ، وأكل عن تمزيقها ، والتعلق بما ينبو عن شظاياها ، ونحن فى بلاد قليلة القصب ، ردىء مايوجد بها منه ، فأحببت أن تتقدم باختيار أقلام قصبية ، وتتأنق فى انتقائها قِبلك ، وطلبها فى منابتها ، من شطوط الأنهار ، وأرجاء الكروم ، وأن تتيمم باختبارك منها الشديدة المجسّ الصلبة المعضّ ، الغليظة الشحوم ، المكتنزة الجوانب ، الضيقة الأجواف ، الرزينة الوزن ، فانها أبقى فى الكتابة ، وأبعد من الحفاء ، وأن تقصد بانتقائك منها الرقاق القضبان ، اللطاف المنظر ، المقومات الأوَد ، المُلس العقد ، ولا يكون فيها عوج ، ولا أمْت ، وضم الصافية القشور ، الخفية الابر ، الحسنة الاستدارة ، الطويلة الأنابيب ، البعيدة مابين الكعوب ، الكريمة الجواهر ، المعتدلة القوام ، تكاد أسافلها تهتز من أعلاها ، لاستواء أصولها برؤوسها ، المستكلمة يبساً ، القائمة على سوقها ، قد تشرّب الماء فى لحائها ، وانتهت فى النضج منتهاها ، لم تعجل عن تمام مصلحتها ، وإبان ينعها ، ولم تؤخر فى الأيام المخوفة عاهاتها ، من خصر الشتاء ، وعفن الندى ، فاذا استجمعت عندك أمرت بقطعها اذراعا اذراعا ، قطعاً رفيقاً تتحرز معه أن تتشعث رؤوسها ، وتنشق أطرافها ، ثم عبأت منها حزماً فيما يصونها من الأوعية ، وعليها الخيوط الوثيقة ، ووجهتها مع من تحتاطه فى حراستها وحفظها وإيصالها ، إذ كان مثلها يتوانى فيها ، لقلة خطرها عند من لا يعرف فضل جوهرها ، وا كتب معه بعدتها وأصنافها وأجناسها وصفاتها ، على الاستقصاء ، من غير تأخير ولا إبطاء (١)

فأجابه ووجه اليه مع الأنابيب :

---

(١) اختيار الأقلام له أثر عظيم فى نفسية الكاتب. راجع « الرسالة العذراء »

أتانى كتاب الأمير أعزه الله تعالى بماأمرنى به ولخصه : من البعث بماشاكل نعته ، وضاهى صفته ، من أجناس الأقلام ، فسمت بغيته قاصداً لها ، وانتهجت معالم سبله آخذا بها ، فأنفذت اليه حزماً أنشئت بلطيف السقيا ، وحسن العهد والبقيا ، لم تعجل باخراجها ، ولا بودرت قبل إدراكها ، فهى مستوية الأنابيب معتدلتها ، مثقفة الكعوب مقومتها . لا يرى فيها أمت ولا عوج ، وقد رجوت أن يجدها الأمير عند إرادته حسب بغيته

وصف القلم

ومن كلام أبى منصور بن عمار فى صفة القلم ويقال إنه لسليمان بن الوليد الكاتب :

أوليس من عجائب الله فى خلقه ، وإنعامه على عباده ، وتعليمه إياهم ، الكتاب المفيد للباقين حكم الماضين ، والمخاطب للعيون بسرائر القلوب ، على لغات مختلفة ، بمعان مفرقة معقودة ، وأحرف مقلوبة ، من ألف وباء ، وجيم وتاء ، متباينات الصور ، مختلفات الجهات ، لقاحها التفكير ، ونتاجها التأليف تخرس مفردة ، وتنطق مزدوجة ، بلا أصوات مسموعة ، ولا ألسن محدودة ولا حركات ظاهرة ، بل قلم حرف باريه قطته ، ليعلق المداد به ، وأرهف جانبيه ليرد ما انتشر عنه اليه ، وشق فى رأسه ليحتبس الامداد عليه ، ورفع من شعبتيه لتجمع حواشى تصويرها ، فهنالك روى القلم فى شقه ، وقذف المادة إلى صدره ، فاذا علقتها العيون حكتها الالسن ، فالقلوب حينئذ راعية ، والآذان واعية ، لكلام سداه العقل ، وألحمه اللسان ، وأدته اللهوات ، ولفظته الشفاه ، ووعته الآذان ، على اختلاف أنحاء ، من صفات وأسماء . فتبارك الله أحسن الخالقين

أبو إسحق البخترى

جملة فصول من رسالة كتبها بعض أهل العصر ، وهو أبو اسحق إبراهيم

ابن عبد الله البخترى فى القلم إلى ابن عمران بن رباح

إنه لما كان القلم مطية الفكر والبيان ، ومخرج الضمير إلى العيان ، ومستنبطاً ما تواريه ظُلَم الجَنان إلى نور البيان ، ومريح الفطن العوازب ، وجالب الفكر الغرائب ، ومفرق الجلائب ، وعماد السلام ، وزناد الحرب ، ويد الحدثان ، وخليفة اللسان ، ورأس الأدوات ، التى خص الله بها الانسان ، وشرفه بها على سائر الحيوان ، ومركباً لآلة تقدمت كل آلة ، وحكمة سبقت فى الانسان كل حكمة ، وقياماً لهندسة عقلية ، ومصدراً لعقل العاقل ، وجهل الجاهل ، الناقل إلينا حكم الأولين ، وحاملها عنا إلى الآخرين ، الحافظ علينا أمر الدنيا والدين ، أول شىء خلقه الله وأمره فسبحه ، وقدسه ، ومجده ، وحمده ، وسجد له ، وله فرسان خاق لهم ، وكنت عميدهم ، وأقران قصر عليهم ، وأنت صنديدهم ، وميدان كنت زينه ، ومضمار كنت عينه ، وحلبة كنت سابقها ، ومعجزها ، وغاية كنت مالكها ، ومحرزها ، ورمت بى الأيام إلى معدنه الذى كلفت به وعنيت بطلبه ، فانفردت منه بقدح فذ ، أوحد ، فرد فى منبته ، قد ساعدت عليه السعود فى فلك البروج حولا كاملا ، تؤلفه مختلفة أركانها وطباعها ، ومتباينة ألوانها وأنحائها ، وتؤيده بقواها وجواهرها ، حتى غذته عرقا فى الثرى معرقاً ، وأرضعته ناجماً ، وسقته مكعباً ، وأروته مقصباً ، وأظمأته مكتهلا ، ولوحته مستحصداً ، وجللته بهاءها وألقت عليه عنوانها ، وأودعته أعراقهـا وأوراقها وأخلاقها ، حتى إذا شق بازله ، ورقت شمائله ، وابتسم من غشائه ، وتأدى من لحائه ، وتعرى عن حر المصيف ، بانقضاء الخريف ، وانكشف عن لون البيض المكنون ، والصدف المخزون ، ودر البحار ، وفتات الجمار ، ترى منه نقوة العاج ، وبيضة الديباج ، وقميص الدرر بطراز النساج ، فاجتمعت له زينة الأيدى البشرية ، إلى الأيدى العلوية ، والأنساب الأرضية إلى الأنساب السماوية ، فلما قادته السعادة إلىّ ورأيته نسيج وحده فى الأقلام ، رأيت أولى الناس به نسيج وحده فى الأنام ،

فآثرتك به مؤثراً للصنيعة ، عالما أن زين الجياد فرسانها ، وزين السيوف أقرانها ، وزين بزة لابسها ، وزين أداة عارسها ، فالآن أعطيت القوس باريها ، وزناد المكارم موريها ، والصمصامة مصلتها ، والقناة معملها ، وحلة المجد لابسها

بديهته فى مجلس كافور الاخشيدى

وكان البخترى جيد الروية والبديهة فى نظمه ونثره ، جيد التصنيف ، مليح التأليف ، وكان يوماً عند أبى المسك كافور الاخشيدى فدخل عليه أبو الفضل بن عياش فقال : أدام الله أيام سيدنا الأستاذ بالخفض (١) ، فتبسم كافور إلى أبى إسحق فقال ارتجالا

لاغَرْوَ إن لحن الداعى لسيدنا * وغُصَّ من هيبة بالريق والبهرِ
فمثل سيدنا حالت مهابتهُ * بين البليغ وبين القول بالحصَر
فان يكن خفض الأيام من دهش * من شدة الخوف لامن قلة البصر
فقد تفاءلت فى هذا لسيدنا * والفال مأثرة عن سيد البشر
بأن أيامه خفض بلا نَصَبٍ * وأن دولته صفو بلا كدر

فأمر له بثلثمائة دينار ولابن عياش بمائتين

رجع إلى وصف القلم

وقال حماد الدمشقى يصف قلماً :

للأيم نفثته وشق لسانه * وله إذا لم يجرها إطراقهُ
كالحية النضناض إلا أنه * من حيث يجرى سمه درياقه

قال العتابى سألنى الأصمعى فقال : أى الأنابيب أصلح للكتابة ، وعليها أصبر ؟ فقلت : مانشف بالهجير ماؤه ، وستره عن تلويحه غشاؤه ، من التبرية

(١) يريد انه خفض كلمة (أيام)

القشور، الدرية الظهور ، الفضية الكسور . قال فأى نوع من البرى أكتب وأصوب ؟ قلت البرية المستوية القط ، عن يمين شقها ، برية تامن معها المجة عند الخط ، الهواء فى شقها فتيق ، والريح فى جوفها خريق ،[1] والمداد فى خرطومها رقيق ،

قال : فصار الأصمعى شاخصاً إلىّ ضاحكا لايحير مسألة ولا جوابا

مواهب العتابى

والعتابى هوكلثوم بن عمرو بن الحرث التغلبى يكنى أباعمرو ، قال الجاحظ : كان العتابى ممن اجتمع له الخطابة ، والبيان ، والشعر الجيد ، والرسائل الفاخرة ، وعلى ألفاظه وحذوه يقول فى البديع جميع من يتكلف ذلك من الشعراء المولدين كنحو منصور النميرى ، ومسلم بن الوليد الأنصارى ، وأشباههما ، وكان العتابى يحذو حذو بشار فى البديع ، ولم يكن فى المولدين أجود بديعاً من بشار وابن هرمة — والعتابى من ولد عمرو بن كلثوم بن مالك ابن عتاب بن أسيد ولذلك قال

إنى امرؤ هدم الإقتار مأثرتى * واجتاح ماأبدت الأيام من خطرى
إلى ابن عمرو بن كلثوم يسوّدُه * حيّا ربيعةَ والأحياء من مضر
أرومة عطّلتنى من مكارمها * كالقوس عطلها الرامى من الوتر

وكان صاحب بديهة فى المنظوم والمنثور ، حسن العقل والتمييز . والعرب تقول من تمنى رجلا حسن العقل ، حسن البيان ، حسن العلم ، تمنى شيئاً عسيراً . وقد اجتمع ذلك كله للعتابى

وعاتبه يحيى بن خالد على لباسه ، وكان لا يبالى أى ثوبيه ابتذل ؛ فقال أبعد الله رجلا يرى أن يكون جماله فى لباسه وعطره . إنما ذلك حظ النساء، وأهل الأهواء ، حتى يرفعه أكبراه : همته ولبه ، ويعلو به معظماه : لسانه وقلبه

---

(١) ريح خريق . باردة شديدة الهبوب

ودخل على الرشيد فقال : تكلم ياعتابى ! فقال الإيناس قبل الإبساس ، لايمدح المرء بأول صوابه ، ولا يذم بأول خطئه ، لأنه بين كلام زوّره ، أو عيّ حصره.

زهده فى طيبات الحياة

وذكر أبوهفان أن الرشيد لقيه بعد قتل جعفر بن يحيي وزوال نعمته فقال : ماأحدثت بعدُ ياعتابى ؟ فأنشده ارتجالا :

تلوم على ترك الغنى باهليةٌ * طوى الدهر عنها كل طرف وتالدِ
رأت حولها النسوان يرفلن فى الكسا * منظمة أجيادها بالقلائد
يسرك أنى نلت مانال جعفرٌ * من الملك أو مانال يحيي بن خالد
وأن أمير المؤمنين أعظّنى * معظهما بالمرهفات البوارد (١)
فان رفيعات المعالى مشوبةٌ * بمستودعاتٍ فى بطون الأساود (٢)

انحرافه عن البرامكة

وكان منحرفاً عن البرامكة وفيهم يقول :

إن البرامك لاتنجيك أنجيــة * بصنجة الدين من نجواهم نَدَبُ
تصرّمت حجج منهم ومُنْصلُهم * مضرّج بدم الاسلام مختضب

زيارة ابن طاهر للعتابى

واجتاز عبد الله بن طاهر بالرقة بمنزل العتابى ، فقال : أليس هذا منزل كلثوم بن عمرو ؟ قيل نعم ، فثنى رجله ، ودخل اليه ، فألفاه جالسا فى بيت كتبه ، فحادثه وذاكره ، ثم انصرف . فتحدث الناس فى ذلك وقالوا : إن

(١) عظه وأعظه : رماه ، والعظ فى الأصل العض وفى رواية (أغصنى مغصهما)
(٢) الأساود : الحيات

الأمير لم يقصده ، وإنما اجتاز به فأخطره ذلك الزيارة ، فكتب اليه :

يامن أفادتني زيارته * بعد الخمول نباهة الذكر
قالوا الزيارة خَطْرَة خطرت * وبجاز خطرك ليس بالخطر
فادفع مقالتهم بثالثة * تستنفد المجهود من شكري
لا تجعلن الوتر واحدة * إن الثلاث تتمة الوتر

فبعثته الابيات إلى أن زار ثلاثة

ميل العتابي الى المأمون

وكان يميل إلى المأمون ، فلما خرج المأمون إلى خراسان شيعه حتى وصل معه إلى سندان كسرى ، فقال له المأمون : سألتك بالله ياعتابي إلا عملت على زيارتنا إن صار لنا من هذا الامر شيء ، فلما ولي المأمون الخلافة ، ودخل بغداد سنة أربع ومائتين ، توصل اليه العتابي ، فلم يمكنه الوصول ، فقال للقاضي يحي بن أكثم : إن رأيت أن تعلم أمير المؤمنين بمكاني ! فقال لست بحاجب ! قال قد علمت ، ولكنك ذو فضل ، وذو الفضل معوان ! فقال سلكت بي غير طريقي ! قال إن الله تعالى ألحقك بجاه ونعمة ، وهما يقيمان عليك بالزيادة إن شكرت ، والتغيير إن كفرت ، وأنا اليوم لك خير منك لنفسك ، أدعوك لما فيه زيادة نعمتك ، وأنت تأبى ذلك ، ولكل شيء زكاة ، وزكاة الجاه بذله للمستعين ، فدخل يحي على المأمون فقال : أجرني من لسان العتابي ، فلما عنه ، ولم يأذن له ، فلما طال عليه كتب له :

ما على ذلك افترقنا بسندا * ن ولا هكذا عهدنا الاخاء
لم أكن أحسب الخلافة يزدا * د بها ذو الصفاء إلا صفاء
تضرب الناس بالمثقفة السمـ * ـر على غدرهم وتنسى الوفاء

يعرّض بقتله لأخيه على غدره ، ونكثه لما عقد الرشيد ، فلما قرأ المأمون الأبيات أمر أن يدخل عليه فلما سلم قال : ياعتابي بلغتني وفادتك فسرتني ،

وقد كانت بلغتنى وفاتك فساءتنى ، وإنى لحرىّ بالغم لبعدك ، والسرور لقربك ! فقال ياأمير المؤمنين : لو قسم هذا الكلام على أهل الأرض لوسعهم عدلا ، وأعجزهم شكراً ، وإن رضاك لغاية المنى ، لانه لادين إلا بك ، ولادنيا إلا معك ، قال سلنى ، قال يدك بالعطية أطلق من لسانى بالمسئلة ، فأمر له بخمسين ألفا

وداعه لجاريته

وقال وودع جارية له :

ما غَناء الحذار والإشفاقِ * وشآبيب دمعك المهراقِ
ليس يقوى الفؤاد منك على الصد ولا مقلتا طليح المآقى
غدرات الأيام منتزعاتٌ * ما غنمنا من طول هذا العناق
إن قضى الله أن يكون تلاقٍ * بعد ما ترأيين كان تلاقِ[1]
هوّنى ما عليك وأقنىْ حياء * لست تبقين لى ولست بباقِ
أينا قدّمت صروف المنايا * فالذى أخّرت سريع اللحاقِ
ويد الحادثات رهن بمرّا * ت من العيش خادعات المذاق
غرّ من ظن أن تفوت المنايا * وعُراها قلائد الأعناق
كم صفيّين مُتّعا باتفاقٍ * ثم صارا لغربة وافتراقِ
قلت للفرقدين والليل ملقٍ * سُود أكنافه على الآفاقِ
إبقيا ما بقيتما سوف يُرمى * بين شخصيكما بسهم الفراقِ
بينما المرء فى غضارة عيش * وصلاح من أمره واتفاق
عطفت شدة الزمان فأدته إلى فاقة وضيق الخناق
لا يدوم البقاء للخلق لكنْ * دوام البقاء للخلاق

(١) ترأيين على وزن تفعلين من الرؤية ، ولم يلحقه إعلال

مدحه للرشيد

وقال فى الرشيد :

إمامٌ له كف تضم بنانها * عصا الدين ممنوعاً من البَرْى عودها
وعين محيط بالبرية طرفها * سواء عليهـــا قربها وبعيدها

وقال فيه :

رعى أمة الاسلام فهو إمامها * وأدى إليها الحق فهو أمينها
مقيم بمستن العلا حيث يلتقى * طوارق أبكار الخطوب وعُونُها

اعتذار العتابى

وكان منصور النميرى سعى به إلى الرشيد فخافه ، فهرب إلى بلد الروم ، وله قصائد يعتذر فيها جيدة مختارة ، وهو مشبَّهٌ فى حسن الاعتذار بالنابغـة الذبيانى ، ومن جيد اعتذاره قوله للرشيد ، ويقال بل قالهـا على لسان عيسى ابن موسى الهاشمى يخاطب الرشيد :

جعلت رجاء العفو عذراً ونهيةً * بهيئـــة إما غافر أو معاقبِ
وكنت إذا ما خفت حادث تبرةٍ * جعلتك حصناً من حذار النوائب
فأنزل بى هجرانك اليأس بعد ما * حللت بواد منك رحب المشارب
أظل ومرعاىَ الجديب مكانه * وآوى إلى حافات أكدرَ ناضب
ولم يثن عن نفسى الردى غير انها * تثوب بباق من رجائك ثائب
هى النفس محبوس عليك رجاؤها * مقيدة الآمال دون المطالب
وتحت ثياب الصبر منى ابن لوعةٍ * يظل ويمسى مستلين الجوانب
فتى ظفرت منه الليالى بذلةٍ * فأقلعن عنه داميات المخالب
حنانيك انى لم أكن بعت عزة * بذل وأحرزت المنى بالمواهب
فقد سُمتنى الهجران حتى أذقتنى * عقوبة زلاتى وســـوء المناقب

فما أنا ماض فى رضاك وقابض * على حد مصقول الذبابين قاضب
ومنتزح عما كرهت وجاعلٌ * هواك مثالا بين عين وحاجب

وفى هذه القصيدة ممـا يختار أهل الصناعة :

وأشعث مشتاق رمى فى جفونه * غريب الكرى بعد الفجاج السباسب
سحبت له ذيل السرى وهو لابسٌ * دجى الليل حتى مج ضوء الكواكب
ومن فوق أكوار المهارى لبانة * أحل لهـا أكل الذرى والغوارب
وكل فتى عاداته قصر شوقهِ * وطىٌّ الحشى دون الهموم العوازب
يسر الهوى لم يبـده نعت فرقةٍ * صراخاً ولم تسمع به أذن صاحب
إذا ادّرع الليـل انجلى وكأنه * بقية هندىٍّ حسام المضارب
بركب ترى كسر الكرى فى جفونهم * وعهد الليـالى فى وجوهٍ شواحب

وقال أيضاً :

لو رأتنى بذى المجازة فرداً * وذراع ابنة الفلاة وسادى
أطفىء الحرق بالدموع إذا ما * حُمّة الشوق أثرت فى فؤادى
خاشع الطرف قد توحشنى الضرُّ * فلانت له قنـاة قيادى
ترب بؤس أخا هموم كأن الحز * ن والبؤس وافيا ميلادى
وكأنى استشعرت مالغط النا * س من النائرات والاحقاد
أتصدى الردى وأدّرع الليـ * ل بهوجاء فوقهـا أقتادى
حظ عينى من الكرى خفقات * بين سرجى ومنحنى أعوادى
أوحش الناس جانبىَّ فما آ * نس إلا بوحـدتى وانفرادى
قد رددت الذى به أتقى النا * س وأبرزت للزمان سوادى
فاستهلت علىَّ تمطرنى الشو * ق شآبيب مزنة من غادى

وقال :

أما راع قلب العامرية اننى * غدوت ومرجوع السقام قرينى
أكاتم لوعات الهوى وبينها * تحلّل ماء الشوق بين جفونى

ومطروفة الانسان فى كل لوعةٍ * لها نظرةٌ موصولة بحنين

آل وهب

وقال الحسن بن وهب بن سعيد :

ابك فمن أحسن ما فى البكا * أن البكا للوجد تحليلُ
وهو اذا أنت تأملته * حزن على الخدين محلول

وقد أعرق بنو وهب فى الكتابة فأنجبوا ، ولهم فى هذا الكتاب ما يشهد لهم بما نسب إليهم ، وفيهم يقول الطائى :

كل شعب أنتم به آلَ وهبٍ * فهو شعبى وشعب كل أديب
إن قلبى لكم لكالكبد الحرّى * وقلبى لغيركم كالقلوب

وفى هذه القصيدة يقول فى مدح سليمان بن وهب :

ما على الرزّح المراقل من عتـ * ـب إذا ما أتتْ أبا أيوبِ
سيدٌ لا فعاله مرتع الذمّ * ولا عرضه مناخ العيوبِ
واجد بالصديق من برحاء الشـ * ـوق وِجدان غيره بالحبيبِ

أخذ سليمان منه معنى هذا البيت الأخير فقال فى رسالة لبعض إخوانه : طرف الصداقة ، أرق من طرف العلاقة ، والنفس بالصديق ، آنس منها بالعشيق .

فقال له أبو تمام : كلامك هذا أرق من شعرى

الحسن بن وهب

والحسن بن وهب حسن الشعر والبلاغة ، جيد اللسان ، حلو البيان ، وكان يحب بنان جارية محمد بن حماد ، وله فيها شعر جيد ، ولها يقول :

أقول وقد حاولت تقبيل كفها * وبى رِعدةٌ أهتز منها وأسكنُ
ليهنك أنى أشجع الناس كلهم * لدى الحرب إلا أننى عنك أجبنُ

وحضرتُ مجلسه وبين يديه نار فأمرت بإزالتها ، فقال :

بأبي كرهت النار حتى أبعدتْ * فعلمت ما معناك فى إبعادها
هي ضرة لك فى التماع ضيائها * وشبوب نفحتها لدى إيقادها
وأرى صنيعك فى القلوب صنيعها * بسيالها وأراكها وعرادها(١)
شَرَكتك فى كل الأمور بفعلها * وضيائها وصلاحها وفسادها

وإلى هذا ينظر قول الأمير تميم بن المعز :

ما هجرت المدام والورد والبد * رَ بطوع لكن برغم وكره
منعتنى من الثلاثة من لو * قتلتنى لم أَحك بالله من هى
قالت الورد والمدامة والبد * رُ ضيائى ولون خدى ووجهى
قلت بخلاً بكل شيء فقالت * لا ولكن بخلت بى وبشبهى
قلت ياليتنى شبيهك قالت * إنما يقتل المحب التشهى

سليمان بن وهب

ولما مات الحسن بن وهب وكان موته بالشام عزى عنه أخوه سليمان فجاء أبو العيناء فقال أنشدنى أبو سعيد الأصمعى :

لعمرى لنعم المرء من آل جعفر * بحوران أمسى أعاقته الحبائلُ
لقد فقدوا عزما وحزما وسؤدداً * وعلما أصيلا خالفته المجاهل
فإن عشت لم أملل حياتى وإن تمت * فما فى حياتى بعد موتك طائل

فقال سليمان: أحسن الله جزاك ، ووصل أخاك ، إن هذا لمن أحسن الشعر ، وقد تمثل به قتيبة حين بلغه موت الحجاج ، ولكنى أقول كما قال كعب بن سعد الغنوى يرثى أخاه أبا المغوار :

أخى ما أخى لا فاحشٌ عند بيته * ولا وَرَعٌ عنــد اللقاء هيوبُ
حليم إذا ما سَوْرة الجهل أطلقت * حُبَى الشيب للنفس اللجوج غلوب

(١) العراد هو الغليظ من النبات

حبيبٌ إذا الزوّار يغشون بيته * جميـــل المحيا شبّ وهو أديبُ
إذا ما تراآه الرجال تحفّظوا * فما تنطق العـوراء وهو قريب
فانصرف الناس يعجبون من علم سليمان ، وحسن جوابه، وصحة تمثله .

الحطيئة

والأبيات التى أنشدها الأصمعى للحطيئة ، واسمه جرول بن أوس بن جؤية بن مخزوم بن مالك بن غالب بن قطيفة بن عياش بن بغيض يقولها فى علقمة بن علاثة وفيها يقول :

فما كان بينى لو لقيتك سالما * وبين الغنى إلا ليالٍ قلائلُ

بلاغة سليمان بن وهب

قال سليمان بن وهب: لما جار علينا بالنكبة السلطان ، وجفانا من أجلها سائر الاخوان ، أنصفنا ابن أبى دُوَاد بتطوله ، وكفانا الحاجة إليهم بتفضله، فكنا وإياه كما قال الحطيئة

جاورت آل محمد فحمدتهم * إذ لا يكاد أخو جوارٍ يحمدُ
أيام من يرد الصنيعة يصطنع * فينا ومن يرد الزهادة يزهد

وله فصل إلى بعض إخوانه يعتذر إليه :

لك أن تعتب ، ويشبهك أن تعذر ؛ فهب أقل الأمرين لأكثرهما ، وقدم فضلك على حقك ، ويقينك على شكك

ووصف رجلا بليغاً فقال : كان والله واسع المنطق ، جزل الألفاظ ، ليس بالهذر فى لفظه ، حبيب إلى السمع * وهذا ضد قول محمد بن عبد الملك الزيات فى عبيد الله بن يحى بن خاقان: هو مهزول الألفاظ ، غليظ المعانى ، سخيف العقل ، ضعيف العقدة ، واهى العزم ، مأفون الرأى

ذم أدعياء البيان

ألفاظ لأهل العصر فى ذم الكتاب والكتابة والنثر والشعر

— الخرس أحسن من كلامه ، والعى أبلغ من بيانه

— خاطره ينبو ، وقلمه يكبو

— يسهو ويغلط ، ويخطىء ويسقط

— هو قصير باع الكتابة ، قاصر سعى الخطابة

— كتبه مضطربة الألفاظ ، متفاوتة الابعاض ، منتشرة الأوضاع ، متباينة الأغراض .

— الجلم أولى بكفه من القلم[1] والطاس أليق بها من القرطاس .

— كلام تنبو عن قبوله الطباع ، وتتجافى عن استماعه الأسماع .

— ألفاظ تنبو عنها الآذان فتمجها ، وتنكرها الطباع فتزجها .

— كلام لا يرفع الطبع له حجابا ، ولا يفتح السمع له بابا .

— كلام يصدى الريان ، ويصدىء الأفهام والأذهان

— كلام فيه تبديل وتكلف ، وتحريف وتعسف ، طبع جاس ، ولفظ قاس ، لامساغ له فى سمع ، ولا وصول له مع خلو ذرع .

— كلام لا الروية ضربت فيه بسهم ، ولا الفكرة جالت فيه بقدح .

— كلام تتعثر الأسماع فى حزونته ، وتتحير الأفهام من وعورته .

— كلمات ضعيفة الاتقان ، قليلة الأعيان ، مضمحلة على الامتحان .

— ألفاظ تستعار من الدياجى ، ومعان تقدر من الأثافى .

— كلام بمثله يتسلى الأخرس عن كلمه ، ويفرح الأصم بصممه ، أثقل من الجندل ، وأمر من الحنظل ، هو هذيان المحموم ، وسورة الهموم .

— كلام رث ، ومعنى غث ، لا طائل فيهما ، ولا طلاوة عليهما .

— أبيات ليست من محكم الشعر ، وحكمه ، ولا من أحجال الكلام وغرره .

---

(١) الجلم : ما يجز به الصوف .

— شعر ضعيف الصيغة ، ردىء الصنعة بغيض الصفة ، لا حظى فى شعره بشعرة ، ولا سقى قطرة .

— لو شعر بالنقص ماشعر، لايميز بين خبيث القول وطيبه ، ولايفرق بين بكره وثيبه .

— هو بارد العبارة ، ثقيل الاستعارة

— هو من بين الشعراء منبوذ بالعراء ، لم يلبس شعره حلة الطلاوة .

— له شعر لا يطيب درسه،ولا يخف سرده، وخط مضطرب الحروف ، متضاعف التضعيف ، والتحريف ، خط يقذى العين ويشجى الصدر .

— خط منحط ، كأنه أرجل البط ، وأنامل السرطان ، على الحيطان .

— قلمه لا يستجيب بريه ، ومداده لا يساعد جريه .

— قلمه كالولد العاق،والأخ المشاق،إذا أدرته استطال، وإذا قومته مال، وإذا بعثته وقف ، وإذا وقفته انحرف ، قلم مائل الشق ، مضطرب المشق ، متفاوت يخدش القرطاس ، وينفش الانقاس ، ويأخذ بالانفاس .

—قلم لا يبعث إذا بعثته ،ولا يقف إذا وقفته ،قدوقف اضطراب جريه ، واقتطع تفاوت قطه عن تجويد خطه .

كلام العرب

ذكر عتبة بن أبى سفيان كلام العرب فقال :

إن للعرب كلاماً هو أرق من الهواء ، وأعذب من الماء ، مرق من أفواههم مروق السهام من قسيها ، بكلمات مؤلفات إن فسرت بغيرها عطلت ، وإن بدلت بسواها من الكلام استصعبت ، فسهولة ألفاظهم توهمك أنها ممكنة إذا سمعت ، وصعوبتها تعلمك أنها مفقودة إذا طلبت . هم اللطيف فهمهم ، النافع علمهم . بلغتهم نزل القرآن ، وبها يدرك البيان ، وكل نوع من معناه مباين لما سواه . والناس إلى قولهم يصيرون ، وبهديهم يأتمون ، هم أكثر الناس أحلاماً وأكبرهم أخلاقا

المطمع الممتنع

وكان يقال : خير الكلام المطمع الممتنع .

وأنشد ابراهيم بن العباس الصولى لخاله العباس بن الأحنف :

إليك أشكو رب ماحلّ بى * من صد هذا العاتب المذنبِ
إن قال لم يفعل وإن سِيل لم * يبذل وإن عوتب لم يُعتب
صبٌ بعصيانى ولو قال لى * لاتشرب البارد لم أشرب

ثم قال : هذا والله الشعر الحسن المعنى ، السهل اللفظ ، العذب المستمع ، الصعب الممتنع ، العزيز النظير ، القليل الشبيه ، البعيد مع قربه ، الحزن مع سهولته

فجعل الناس يقولون : هذا الكلام أحسن من الشعر

وقال أبو العباس الناشىء يصف شعره

يتحير الشعراء إن سمعوا بهِ * فى حسن صنعته وفى تأليفهِ
فكأنه فى قربه من فهمهم * ونكولهم فى العجز عن ترصيفه
شجر بدا للعين حسن نباتهِ * ونأى عن الأيدى جنى مقطوفه
وإذا قرنت أبيّه بمطيعهِ * وقرنته بغريبه وطريفه
ألفيت معناه يطابق لفظهُ * والنظم منه جليله بلطيفه
فأتاه متسقا على إحسانه * قد نِيط منه رزينه بخفيفه
هذبته فجعلته لك باقيا * ومنعت صرف الدهر عن تصريفه

فضل الشعر

وقال الناشىء فى فصل من كتابه فى الشعر :

الشعر قيد الكلام ، وعقل الآداب ، وسور البلاغة ، ومعدن البراعة ، ومجال الجنان ، ومسرح البيان ، وذريعة المتوسل ، ووسيلة المتوصل ،

وذمام الغريب ، وحرمة الأديب ، وعصمة الهارب ، وعدة الراهب [١] ، ورحلة الدانى ، ودوحة المتمثل ، ورروحة [٢] المتحمل ، وحاكم الاعراب ، وشاهد الصواب

صفات الشعر الجميل

وقال فى هذا الكتاب :

الشعر ما كان سهل المطالع ، فصل المقاطع ، فحل المديح ، جزل الافتخار ، شجى النسيب ، فكه الغزل ، سائر المثل ، سليم الزلل ، عديم الخلل ، رائع الهجاء ، موجب المعذرة ، محب المعتبة [٣] ، مطمع المسالك ، فائت المدارك ، قريب البيان ، بعيد المعانى ، نائى الأغوار ، ضاحى القرار ، نقى المستشف ، قد هريق فيه ماء الفصاحة ، وأضاء له نور الرجاحة ، فانهلّ فى صادى الفهم ، وأضاء فى بهم المرائى ، لمتأمله تشوق ، ولمستشفّه تألق ، يروق المتوسم ، ويسر المتبرم ، قد أبدت صدوره متونه ، وزهت فى وجوهه عيونه ، وانقادت كواهله لهواديه ، وطابقت آثاره لمستوضحه ، وأشبه الروض فى وشى ألوانه ، وتعمم أفنانه ، وإشراق أنواره ، وابتهاج أنجاده وأغواره ، وأشبه الوشى فى اتفاق رقومه ، واتساق رسومه ، وتسطير كفوفه ، وتحبير حروفه ، وحكى العقد فى التئام فصوله ، وانتظام وصوله ، وازديان ياقوته بدرّه ، وفريده بشذره ، قد كشف الايجاز موارده ، وصقلت مداوس الدربة مناصله ، وشحذت مدارس الأدب فواصله ، فجاء سليما من المعايب ، مهذبا من الأدناس ، تتحاشاه الابن ، وتتحاماه الهجن ، مهديا إلى الاسماع بهجته ، وإلى العقول حكمته

(١) لعل الصواب « الراغب »

(٢) فى بعض النسخ « منحة » (٣) لعل الصواب « ماحى المعتبة »

منظومة أبى العباس الناشىء

وقد قلت فى الشعر قولا جعلته مثلا لقائليه ، وأسلوبا لسالكيه ، وهو

الشعر ما قومت زيغ صدوره * وشددت بالتهذيب أسر متونه
ولأمت بالاطناب شعب صدوعه * وفتحت بالايجاز عَوْر عيونه
وجمعت بين قريبه وبعيده * ووصلت بين مجمه ومعينه (١)
وعهدت منه لكل أمر يقتضى * شبهاً به فقرنته بقرينه
فاذا بكيت به الديار وأهلها * أجريت للمحزون ماء شؤونه
ووكلته بهمومه وغمومه * دهراً ولم يسر الكرى بجفونه
وإذا مدحت به جواداً ماجداً * وقضيته بالشكر حق ديونه
أصفيته بصفيّه ورضيّه * ومنحته بخطيره وثمينه
فيكون جزلا فى اتفاق صنوفه * ويكون سهلا فى اتساق فنونه
وإذا أردت كناية عن ريبة * باينت بين ظهوره وبطونه
فجعلت سامعه تشاب شكوكهُ * ببيانه وظنونهُ بيقينه
وإذا عتبت على أخ فى زلة * أدمجت شدته له فى لينه
فتركته مستأنسا لدياسه * مستسيا لرعونه وحزونه
وإذا نبذت إلى التى علقتها * إن صار منك بغاشيات شؤونه
تمقتها بلطيفه ودقيقه * وشغفتها بخبيثه وكمينه
وإذا اعتذرت إلى أخ فى زلة * واشكت بين مخيله وسنينه
فيحور ذنبك عند من يعتدهُ * عتبا عليك مطالبا بيمينه
والقول يحسن منه فى منثوره * ماليس يحسن منه فى موزونه (٢)

---

(١) المجم الذى تجمع ماؤه ، ويقال : بئر جموم ، والمعين : الماء الذى يفيض

(٢) انظر تفصيل ما يشير اليه هذا البيت فى كتاب (النثر الفنى) ص ١٧ — ٢٤ ج ١

ما يباح للشعراء

وقال الخليل بن أحمد :

الشعراء أمراء الكلام، يصرفونه أنىّ شاءوا ، وجائز لهم مالا يجوز لغيرهم: من إطلاق المعنى وتقييده، ومن تصريف اللفظ وتعقيده ، ومدّ مقصوره ، وقصر ممدوده ، والجمع بين لغاته ، والتفريق بين صفاته.

وقال : الشعر حلية اللسان ، ومدرجة البيان ، ونظام الكلام، مقسوم غير محظور ، ومشترك غير محصور ، إلا أنه فى العرب جوهرى ، وفى العجم صناعى .

لا يفل الحديد إلا الحديد

قال أعرابى لشاعر من بنى الفرس : الشعر للعرب ، فكل من يقول الشعر منكم فانما نزا على أمه رجل منا ! فقال الفارسى : وكذلك من لا يقول الشعر منكم فانما نزا على أمه رجل منا !

الشعر الجيد

وقال عمارة بن عقيل :

أجود الشعر ما كان أملس المتون ، كثير العيون ، لا يمجه السمع ، ولا يستأذن على القلب .

وأنشد الجاحظ شعر أبى العتاهية فلم يرضه ، وقال : هو أملس المتون ، ليس له عيون ، كأنه وحماره تجاريا كلاً واحدا

وقال أبو عقيل : الشعر بضاعة من بضائع العرب ، ودليل من أدلة الأدب ، وأثارة من سالف ذوى الحسب . ولن يهدى الشعر إلا الكريم المحتد ، الكثير السؤدد ، الكلف بذكر اليوم والغد .

جزاء الكاذبين !

ومدح بشار المهدى فلم يعطه شيئاً فقيل له : لم تُجِد فى مدحه ، فقال : لا والله ، لقد مدحته بشعر لو قلت مثله فى الدهر ، لما حتف صرفه على حرّ ، ولكنى أكذِب فى العمل ، فأكذّب فى الأمل ،

نظمه الناجم فقال

ولى فى أحمدٍ أمل بعيدٌ * ومدح حين أنشده طريفُ
مدائح لو مدحت بها الليالى * لما دارت علىّ لها صروف

جرير والفرزدق والأخطل

قال هشام بن عبد الملك لخالد بن صفوان صف لى جريراً والفرزدق والاخطل فقال :

ياأمير المؤمنين أما أعظمهم فخراً ، وأبعدهم ذكراً ، وأحسنهم عذرا ، وأسيرهم مثلا ، وأقلهم غزلا ، وأحلاهم عللا ، البحر الطامى إذا زخر ، والحامى إذا ذعر ، والسامى إذا خطر ، الذى إذا هدر جال ، واذا خطر صال ، الفصيح اللسان ، الطويل العنان ، فالفرزدق

وأما أحسنهم نعتا ، وأمدحهم بيتا ، وأقلهم فوتا ، الذى إذا هجا وضع ، وإذا مدح رفع ، فالأخطل

وأما أغزرهم بحرا ، وأفهمهم شعراً ، وأكثرهم ذكراً ، الأغر الأبلق ، الذى إن طلب لم يسبق ، وإن طلب لم يلحق ، فجرير

وكلهم ذكى الفؤاد ، رفيع العماد ، وارى الزناد

قال مسلمة بن عبد الملك ، وكان حاضرا ، ماسمعنا بمثلك يابن صفوان فى الأولين ولا فى الآخرين ، أشهد أنك أحسنهم وصفا ، وألينهم عِطفا ، وأخفهم مقالا ، وأكرمهم فعالا . فقال خالد : أتم الله عليك نعمته ، وأجزل

لك قسمته ، أنت والله أيها الأمير ماعلمت كريم الغِراس ، عالم بالناس ، جوادفى المحل ، بسام عند البذل ، حليم عند الطيش ، فى الذروة من قريش ، من أشراف عبد شمس ، ويومك خير من الأمس .

فضحك هشام وقال : مارأيت مثلك يابن صفوان لتلخصك فى مدح هؤلاء ، ووصفهم ، حتى أرضيتهم جميعاً وسلمت منهم

بغض العجاج للهجاء

دخل العجاج على عبد الملك بن مروان فقال له .

بلغنى أنك لاتحسن الهجاء ، فقال ياأمير المؤمنين : من قدر على تشييد الأبنية ، أمكنه خراب الأخبية ، قال:مايمنعك من ذلك ؟ قال : إن لنا عزا يمنعنا من أن نُظلم ، وحلماً يمنعنا من أن نَظلم ، قال : لكلماتك أحسن من شعرك ، فما العز الذى يمنعك أن تظلم ؟ قال : الأدب المستطرف ، والطبع التالد ، قال : لقد أصبحت حكيما . قال ومايمنعنى من ذلك وانا نجىّ أمير المؤمنين ؟

قال أبو اسحاق : وليس كما قال العجاج ، بل لكثير من الشعراء طباع تنبو عن الهجاء كالطائى وأضرابه ، وأصحاب المطبوع ، أقدر عليه من أهل المصنوع ، إذ كان الهجو كالنادرة التى إذا حدثت على سجية قائلها ، قربت من يد متناولها ، وكلما كان الشاعر واسع العطن ، كثير الفطن ، قريب القلب من اللسان ، التهب بنار الاحسان .

المقامة القريضية

ومما ينحو هذا النحو من مقامات أبى الفتح الاسكندرى انشاء بديع الزمان قال

حدثنا عيسى بن هشام قال : طرحتنى النوى مطارحها ، حتى إذاوطئت جرجان الأقصى ، فاستظهرت على الأيام بضياع أجلت فيها يد العمارة ،

وأموال وقفتها على التجارة ، وحانوت جعلته مثابة ، ورفقة اتخذتهم صحابة ، وجعلت للدار ، حاشيتي النهار ، والحانوت مابينهما ، فجلسنا يوما نتذاكر الشعر والشعراء ، وتلقاءنا شاب قد جلس غير بعيد ، ينصت وكأنه يفهم ، ويسكت وكأنه لا يعلم ، حتى إذا مال الكلام بنا ميله ، وجرّ الجدل فيناذيله[1] قال أصبتم عذَيقه ، ووافيتم جذَيله[2] ولو شئت للفظت ، ولو أردت لسردت ، ولجلوت الحقّ فى معرض بيان يسمع الصم ، ويردى العُصم[3]

فقلت : يافاضل ، ادنُ فقد منّيت ، وهات فقد أثنيت .

فدنا وقال : سلونى أجبكم ، واستمعوا أعجبكم

قلنا : فما تقول فى امرىء القيس ؟ قال : هو أول من وقف بالديار وعرصاتها ، واغتدى والطير فى وكناتها ، ووصف الخيل بصفاتها ، ولم يقل الشعر كاسبا ، ولم يجد القول راغبا ، ففضل من تفتق للحيلة لسانه ، وانتجع للرغبة بنانه ،

قلنا : وماتقول فى النابغة ؟ قال : ينسب إذا عشق ، ويثلب إذا حنق ، ويمدح إذا رغب ، ويعتذر اذا رهب ، فلا يرمى إلا صائباً .

قلنا فما تقول فى طرفة ؟ قال هو ماء الأشعار وطينتها ، وكنز القوافى ومدينتها ، مات ولم تظهر أسرار دفائنه ، ولم تطلق عتاق خزائنه .

قلنا فما تقول فى جرير والفرزدق ؟ قال جرير أرقّ شعراً ، وأغزر غزرا ، والفرزدق أمتن صخرا ، وأكثر فخراً ، وجرير أوجع هجوا ، وأشرف يوما ، والفرزدق أكثر روما ، وأكرم قوما ، وجرير إذا نسب أشجى ، وإذا ثلب أردى ، واذا مدح أسنى ، والفرزدق إذا افتخر أجزى ، واذا وصف أوفى ، واذا احتقر أزرى

---

(١) جر الكلام ذيله : كناية عن التطويل (٢) عذيق : تصغير عذق بفتح العين وهو النخلة بحملها ، وجذيل تصغير جذل بكسر الجيم وهو عود ينصب للجربى من الابل لتحتك به (٣) العصم : جمع أعصم وهو من الوعول والظباء مافى ذراعيه أو أحدهما بياض وسائره أسود أو أحمر وهو يلزم رءوس الجبال

قلنا : فما تقول فى المحدثين من الشعراء والمتقدمين منهم ؟ قال : المتقدمون أشرف لفظا ، وأكثر فى المعانى حظاً ، والمتأخرون ألطف صنعا ، وأرق نسجا .

قلنا : فلو أريت من أشعارك ، ورويت من أخبارك ، قال : خذهما فى معرض واحد ، وأنشد :

أما ترونى أتغشى طمرا * ملتحفا بالضر أمراً مرا
منطويا على الليالى غمرا * ملاقيا منها صروفا حُمرا
أقصى أمانىّ طلوع الشِّعرى * فقد عنينا بالأمانى دهرا
وكان هذا الحر أعلى قدراً * وماء هذا الوجه أغلى سعرا
ضربت للسَّرا قباباً خضرا * فى دار دارا أو إوان كسرى
فانقلب الدهر لبطن ظهرا * وعاد عرف العيش عندى نكرا
لم يُبق من وفرىَ إلا ذكرا * ثُم إلى اليوم هلمَّ جرا
لولا عجوزٌ لى بسرَّ من را * وأفرخ دون جبال بصرى
قد جلب الدهر إليهم شراً * قتلت يا سادة نفسى صبرا

قال عيسى بن هشام : فأنلته ماتاح ، وأعرض عنا فراح ، وجعلت أنفيه وأثبته ، وأنكره وكأنى أعرفه ، ثم دلتنى عليه ثناياه ، فقلت الاسكندرى والله ، فقد كان فارقنا خشفا ، ووافانا جلفا [1] ونهضت على أثره ، ثم قبضت على خصره ، وقلت : ألست أباالفتح ، ألم نربك فينا وليدا ، ولبثت فينا من عمرك سنين ، فأى عجوز لك بسرَّ من رأى ؟ فضحك وقال :

ويحك هذا الزمان زورُ * فلا يغرنك الغرورُ
غرِّق وبرِّق وكل وطرِّق * واسرف وطلِّق لمن تزور
لاتلتزم حالةً ولكن * دُر بالليالى كما تدور

(١) الخشف : بالكسر ولد الظبية ، والجلف : الجافى الغليظ

المقامة الغيلانية

ومن انشائه مقامة ولّدها على لسان عصمة وذى الرمة حدثنا عيسى بن هشام قال :

بينا نحن فى مجتمع لنا ومعنا يومئذ رجل العرب حفظا ورواية عصمة بن بدر الفزارى ، فأفضى الكلام إلى ذكر من أعرض عن خصمه حلما ، أو أعرض عنه خصمه احتقارا ، حتى ذكر الصلتان العبدى والبعيث المنقرى ، وما كان من احتقار جرير والفرزدق لهما ، فقال عصمة : سأحدثكم بما شاهدته عينى ، ولا أحدثكم عن غيرى ، بينا أنا سائر فى بلاد تميم مرتحلا نجيبة ، وقائدا جنيبة ، عنّ لى راكب على أورق جعد اللغام (١) فاجتاز بى رافعا صوته بالسلام ، فقلت : من الراكب الجهير الكلام ، المحيي بتحية الاسلام ؟ فقال : أنا غيلان بن عقبة ، فقلت : مرحبا بالكريم حسبه ، الشهير نسبه ، السائر منطقه ، فقال : رحب واديك ، وعز ناديك ، فمن أنت ؟ قلت عصمة بن بدر الفزارى فقال : حياك الله ، نعم الصديق ، والصاحب والرفيق . وسرنا فلما هجرنا قال : ألا نقيل ياعصمة فقد صهرتنا الشمس ؟ فقلت أنت وذاك ، فمال إلى شجرات ألاء (٢) كأنهن عذارى مُتبرجات ، قد نشرن الغدائر ، وسرحن الضفائر ، لأثلات متناوحات ، فحططنا رحالنا ونلنا من الطعام ، وكان ذو الرمة زهيد الأكل ، ومال كل منا إلى ظل أثلة يريد القائلة ، واضطجع ذو الرمة ، وأردت أن أصنع صنيعه : فوليت ظهرى الارض ، وعيناى لا يملكهما غمض . فنظرت غير بعيد إلى ناقة كوماء ، قد ضَحِيَتْ وغبيطها ملقى (٣) وإذا رجل قائم يكلؤها كأنه عسيف أو

(١) الأورق : مافيه بياض وسواد ، وجعد اللغام : كثير الزبد

(٢) الألاء شجر مر الطعم ورقه دائم الخضرة (٣) كوماء : عظيمة السنام ، وضحيت : اصابتها الشمس

أسيف ؟ (١) فلهيت عنهما ، وما أنا والسؤال عما لا يعنينى ! ونام ذو الرمة غرارا (٢) ثم انتبه ؛ وكان ذلك فى أيام مهاجاته لذلك المرء ، فرفع عقيرته ينشد فيه

أمن ميـة الطلل الدارسُ * ألظ به العاصف الرامس (٣)
فلم يبق إلا شجيج القذال * ومستوقدٌ ماله قابس (٤)
وحوض تثلم من جانبيه * ومحتفل دائر طامس (٥)
وعهدى به وبه سَكْنُهُ * وميـة والأنس والآنس (٦)
ستأتى امرأ القيس مأثورةٌ * يغنّى بها العابر الجالسُ
ألم تر أن امرأ القيس قد * ألظ به داؤه الناجسُ (٧)
هم القوم لا يألمون الهجاء * وهل يألم الحجرُ اليابسُ
فما لهمُ فى العلا راكبٌ * ولا لهمُ فى الوغى فارسُ
إذا طمح الناس للمكرمات * فطرفهمُ المطرق الناعسُ
تعاف الأكارم إصهارهم * فكل نسائهمُ عانسُ

فلما بلغ هـذا البيت جعل ذلك المرء يمسح عينيه ويقول : أذو الرميمة يمنعنى النوم بشعر غير مثقف ولا سائر ، فقلت : يا غيلان من هذا ؟ فقال الغرير — يعنى الفرزدق — وحمى ذو الرمة فقال :

وأما مجاشعٌ الأرذلون * فلم يسق ميتهم راجسُ
سيعقلهم عن مساعى الكرام * عقـالٌ ويحبسهم حابسُ

فقلت الآن يشرق فيثور ويعم الفرزدق هذا وقبيله بالهجاء . فوالله ما زاد على أن قال : قبحاً لك يا رميمة ! أتعرض لمثلى بمقال منتحل ! ثم عاد الى

(١) العسيف : الأجير ، والأسيف : العبد (٢) غراراً : قليلا
(٣) ألظ به لازمه ، والعاصف الشديد ، والرامس الذى يصير ما يمر عليه كالرمس فهو يدفنه (٤) شجيج القذال : مكسور الرأس ، ويريد به الوتد
(٥) طامس : مطموس (٦) سكنه : ساكنوه (٧) الناجس : العضال

نومه كأن لم يسمع شيئاً وسار ذو الرمة وسرت وانى لأرى فيه انكساراً حتى افترقنا .

عقال وحابس

قلت : قول الفرزدق بعقال منتحل يريد أن البيت الأخير منقول من قول جرير :

ألم تر أن الله أخزى مجاشعاً * إذا ما أفاضت فى الحديث المجالسُ
وما زال معقولاً عقالٌ عن الندى * وما زال محبوساً عن المجد حابسُ

عقال بن محمد بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم وهو جد الفرزدق . وحابس بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم وهوأبو الأقرع بن حابس أحد المؤلفة قلوبهم .

فضل الايجاز

فقر فى الشعر

— قيل لابن الزِّبَعْرى : لم تقصر أشعارك ؟فقال لأنها أعلق بالمسامع ، وأجول فى المحافل

وقيل ذلك لعقيل بن عُلَّفة فى أهاجيه فقال : يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق .

خطر الشعراء

عمره

— لسان الشاعر أرض لا تخرج الزهر حتى تستسلف المطر ، وما ظنك بقوم الاقتصاد محمود إلا فيهم . والكذب مذموم إلا منهم ، إياكم والشاعر فانه يطلب على الكذب مثوبة ، ويفزع جليسه بأدنى زلة .

أبو القاسم الصاحب بن عباد : النثر يتطاير كتطاير الشرر ، والنظم يبقى بقاء النقش فى الحجر .

قيمة العروض

أبو عبيدة : الزحاف فى الشعر كالرخصة فى الدين لا يقدم عليها إلا فقيه
قال أبو فراس الحمدانى :

تناهض الناس للمعالى * لما رأوا نحوها نهوضى
تكلفوا المكرمات كدًا * تكلف الشعر للعروضى[1]

وقد مدح الجاحظ العروض وذمه فقال فى مدحه : العروض ميزان ، وبمعياره يعرف الصحيح من السقيم ، والعليل من السليم ، وعليه مدار الشعر وبه يسلم من الأوَد والكسر

وقال فى ذمه : هو علم مولّد ، وأدب مستبرد ، ومذهب مرفوض ، وكلام مجهول ، يستكد العقل بمستفعل وفعول ، من غير فائدة ولا محصول .

أدب الشاعر

ومن مفردات الأبيات فى هذا المعنى قول دعبل :

يموت رديء الشعر من قبل أهلهِ * وجيده يبقى وإن مات قائله

ـــ البحترى :

أعيا علىّ فلا هيابةٌ فرِق * يخشى الهجاء ولا هشٌ فيمتدَحُ

ـــ آخر :

ومما يقتل الشعراء غماً * عداوة من يقلّ عن الهجاء

ـــ أحمد بن أبى فنن :

وإن أحق الناس باللوم شاعرٌ * يلوم على البخل اللئام ويبخل

(١) يريد تكلّف العروضى للشعر

وهذا كقول على بن العباس الرومى فى أبى الفياض سوار بن أبى نراعه وكان سوار شاعراً مجيداً :

يامن صناعته الدعاء إلى العلا * ناقضت فى فعليك أىَّ نِقاضِ
عجباً لحضاض الكرام على الذى * هو فيه محتاجٌ إلى حضاض
وَصفَ المكارم وهوفيهازاهدٌ * ورأى الجميل وعنه فيه تغاضِ
لم ألق كالشعراء أكثر صارخا * وأشدَّ معتبة على الحرّاض
كم فيهمُ من آمر برشيدةٍ * لم يأتها ومرغب عن قاض
ياحسرتى لمودة أدبيةٍ * لم نفترق عنها افتراق راضِ
ليس العتاب بنافع فى قاطعٍ * أعيا المشيبُ تتابعَ المقراضِ

وقال بعد هذا التنكيت والعتاب مامنعه أن يتوهم أنه هجاه :

ولمّا هجوتك بل وعظتك إننى * لا أجعل الأعراض كالأغراضِ
فاكففْ سهامَك عن أخيك فانما * أثبتَه فرماك بالمعراض
فتى حلمتَ لقيت أحنف دهرهِ * ومتى جهلت مُنيت بالبرّاض
فاعذر أخاك على الوعيد فانما * أنذرت قبل الرمى بالانباض

ثم هجاه بقوله :

وما تكلمت إلا قلت فاحشةً * كأن فكيك للأعراض مقراضُ
مهما تقل فسهامٌ منك مرسلة * وفوكَ قوسك والاعراض أغراض

وابن الرومى هذا كما قال مسلم بن الوليد الانصارى فى الحكم بن قنبر المازنى

عابنى من معايب هن فيه * حكَمٌ فاشتفى بها من هجائى

وكما قال الآخر :

ويأخذ عيب الناس من عيب نفسه * مرادٌ لعمرى ما أراد قريبُ

الاحنف عند عمر بن الخطاب

وروى عيسى بن داب قال : أول ماعرف من تقدم الأحنف بن قيس

أنه وفد على عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان أحدث القوم سنا ، وأقبحهم منظراً ، فتكلم كل رجل من الوفد بحاجته فى خاصته ، و الأحنف ساكت ، فقال له عمر : قل يافتى ! فقام فقال : ياأمير المؤمنين ، ان العرب نزلت بمساكن طيبة ، ذات ثمار وأنهار عذبة ، وأكنة ظليلة ، ومواطن فسيحة ، وانا نزلنا بسبخة نشاشة ، ماؤهاملح ، وأفنيتها ضيقة ، وإنما يأتينا الماء العذب فى مثل حلق النعامة بالانزار ، كنا ياأمير المؤمنين نحفر نهراً يقدر ماؤه ، حتى تأتى الأمة فتغرف بجرتها وإنائها ، ونوشك أن نهلك. قال ثم ماذا؟ قال تزيد فى صاعنا ومدنا ، وتثبت من تلاحق فى العطاء من ذريتنا . قال: ثم ماذا؟ قال: تخفف عن ضعيفنا ، وتنصف قوينا ، وتتعاهد ثغورنا ، وتجهز بعثنا ،

قال : ثم ماذا ؟ قال الى هنا انتهت المطالب ، ووقف الكلام ، قال أنت رئيس وفدك ، وخطيب مصرك ؛ قم عن موضعك الذى أنت فيه . فأدناه حتى أقعده الى جانبه ثم سأله عن نسبه ، فانتسب له ، فقال : أنت سيد تميم ؛ فبقيت له السيادة حتى مات ـ وهو الأحنف واسمه الضحاك بن قيس بن معاوية بن حصين بن حصن بن عبادة ابن النزال بن مرة بن عبيد بن مقاعس ابن عمر بن كعب بن زيد مناة بن تميم

كلمات الأحنف

•قال بعض بنى تميم : حضرت مجلس الأحنف وعنده قوم مجتمعون فى أمر لهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

ان الكرم ، مَنْعُ الحرم

ماأقرب النقمة من أهل البغى

لاخير فى لذة تعقب ندماً

لم يهلك من اقتصد ، ولم يفتقر من زهد

رب هزل قد عاد جداً

من أمن الزمان خانه ، ومن تعظم عليه أهانه
دعوا المزاح فانه يورث الضغائن ، وخير القول ماصدقه الفعل
احتملوا لمن أدلّ عليكم ، واقبلوا عذر من اعتذر اليكم
أطع أخاك وإن عصاك ، وصله وإن جفاك
أنصف من نفسك قبل أن ينتصف منك
إياكم ومشاورة النساء
واعلم أن كفر النعم لؤم ، وصحبة الجاهل شؤم ، ومن الكرم الوفاء بالذمم
ماأقبح القطيعة بعد الصلة ، والجفاء بعد اللطف ، والعداوة بعد الود
لاتكونن على الاساءة أقوى منك على الاحسان ، ولا الى البخل أسرع منك الى البذل ، واعلم أن لك من دنياك ماأصلحت فى مثواك ، فأنفق فى حق ، ولاتكن خازناً لغيرك .
واذا كان الغدر موجوداً فى الناس فالثقة بكل أحد عجز .
اعرف الحق لمن عرفه لك ، واعلم أن قطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل
قال : فما سمعت كلاماً أبلغ منه فقمت وقد حفظته .

وصف الأحنف للبنين

ودخل الأحنف على معاوية ويزيد بين يديه وهو ينظر اليه اعجاباً فقال : ياأبا بحر ماتقول فى الولد ؟ فعلم ماأراد ، فقال : ياأمير المؤمنين هم عماد ظهورنا ، وثمرة قلوبنا ، وقرة أعيننا ، بهم نصول على أعدائنا ، وهم الخلف منا بعدنا ، فكن لهم أرضاً ذليلة ، وسماء ظليلة ، إن سألوك فأعطهم ، وان استعتبوك فأعتبهم ولاتمنعهم رفدك ، فيملوا قربك ، ويستثقلوا جنابك ، ويتمنوا وفاتك
فقال : لله درك يا أبا بحر ، هم كما قلت !

شعر الأحنف وبخله

وزعمت الرواة أنها لم تسمع للأحنف إلا هذين البيتين :

فلو مدّ سَرْوى بمال كثير * لجدت وكنت له باذلا

فان المروءة لاتستطاع * إذا لم يكن مالها فاضلا

وكان يبخل . وقال لبني تميم : أتزعمون أني بخيل ؟ والله إني لأشير بالرأى قيمته عشرة آلاف درهم ! فقالوا : تقويمك لرأيك بخل !

وكان الأحنف من الخطباء الفضلاء النساك ، وبه يضرب المثل في الحلم

استغفار النبي له

وقد ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم فاستغفر له ، فقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم رجلا من بني ليث إلى قومه بني سعد يعرض عليهم الاسلام فقال الأحنف إنه يدعوكم إلى خير ، ولا أسمع إلا حسناً ، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : اللهم اغفر للأحنف ! وكان الأحنف يقول : ماشيء عندي أرجى من ذلك

دمامة الأحنف

قال عبد الملك بن عمير : قدم الينا الأحنف فما رأينا خطة تذم في رجل إلا رأيناها فيه ، كان أصلع الرأس ، متراكم الأسنان ، أشدق ، مائل الذقن ، ناتيء الوجنتين ، ماحق العينين ، خفيف العارضين ، أحنف الرجلين ، وكانت العين تقتحمه دمامة وقلة رُواء ، ولكنه إذا تكلم جلى نفسه ، وهو الذي خطب بالبصرة حين اختلف الأحياء ، وتنازعت القبائل ، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : يامعشر الأزد وربيعة ، أنتم اخواننا في الدين ، وشركاؤنا في الصهر ، وأكفاؤنا في النسب ، وجيراننا في الدار ، ويدنا على العدو ، ووالله لأزد البصرة أحب إلينا من تميم الشام ، وفي أموالنا وأحلامنا سعة لكم ولنا

وقد كان خطباء البصرة فى هذا اليوم تكلموا وأسهبوا ، فلما قام الأحنف أصغت القبائل إليه ، وانثالت عليه ، وقال الناس : هذا أبو بحر ، هذا خطيب بنى تميم ؛ وحضر ذلك الجمع جارية لآل المهلب فذهبت تروم النظر إليه ، فاعتاص ذلك عليها ، فأشرفت عليه من دارها ، فلما رأته والأبصار خاشعة لكلامه ، ورأت دمامة خَلقه ، وكثرة آفات جوارحه ، قالت : فُقِدتْ هذه الخلقة ولو اقترّت عن فصل الخطاب .

وفوده على معاوية

وذكر المدائنى أن الأحنف بن قيس وفد على معاوية رضى الله عنه مع أهل العراق ، فخرج الآذن ، فقال : إن أمير المؤمنين يعزم عليكم أن لا يتكلم أحد إلا لنفسه ، فلما وصلوا إليه قال الأحنف : لولا عزمة أمير المؤمنين لأخبرته أن دافة دفتْ ، ونازلة نزلت ، ونابتة نبتت ، كلهم بهم حاجة إلى معروف أمير المؤمنين وبره . قال حسبك يا أبابحر ، فقد كفيت الشاهد والغائب

ولما عزم معاوية على البيعة إلى يزيد كتب إلى زياد أن يوجه إليه بوفد أهل العراق فبعث إليه بوفد البصرة والكوفة فتكلمت الخطباء فى يزيد ، والأحنف ساكت ، فلما فرغوا قال : قل يا أبابحر ، فان العيون إليك أشرع منها إلى غيرك ، فقام الأحنف فحمد الله وأثنى عليه . وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال :

يا أمير المؤمنين إنك أعلمنا بيزيد فى ليله ونهاره ، وإعلانه وإسراره ، فان كنت تعلمه لله رضا فلا تشاور فيه أحداً ، ولا تقم له الخطباء والشعراء ، وإن كنت تعلم بُعده من الله فلا تزوّده من الدنيا، وترحل أنت إلى الآخرة ؛ فانك تصير إلى يوم يفر المرء من أخيه ، وأمه وأبيه ، وصاحبته وبنيه .

فكأنه أفرغ على معاوية ذَنوب ماء بارد ، فقال له : اقعد يا أبا بحر ، فان خيرة الله تجرى ، وقضاء الله يمضى ، وأحكامه تنفذ لامعقّب لحكمه ، ولا رادّ

لقضائه ، وإن يزيد فتى قد بلوناه ، ولم نجد فى قريش فتى هو أجدر بأن يُجتمع عليه منه . فقال : يا أمير المؤمنين أنت تحكى عن شاهد ، ونحن نتكلم على غائب ، وإذا أراد الله شيئاً كان .

حقوق الأديب

قال ابن الرومى :

إن امرأً رفض المكاسب واغتدى * يتعلم الآداب حتى أحكما
فكسا وحلى كل أروع ماجد * من حر ما حاك القريض ونظما
لثقة برعى الأكرمين حقوقه * لأحق ملتمس بأن لا يحرما

مغارم الشعراء

قال أبو العباس أحمد بن عبيد الله بن عمار : ومن نادر شعر أبى الحسن فى هذا المعنى قوله ووصف إتعاب الشعراء أنفسهم بدؤوبهم فى صناعتهم ، وما ينصرم من أعمارهم ، وإن إلحاحهم فى طلب ما فى أيدى من أسلفوه مديحهم ، لو كان رغبة منهم إلى ربهم ، كان أجدى عليهم ، وأقرب من درك بغيتهم ، ونجح طلبتهم ، ثم انحرف إلى توبيخ من مدحه فحرمه ، بأحسن عبارة ، وأرصن استعارة ، فقال :

للناس فيما يكلفون مغارمٌ * عند الكرام لها قضاء ذمامِ
ومغارم الشعراء فى أشعارهم * إنفاق أعمارٍ وهجر منام
وجفاء لذاتٍ ورفض مكاسب * لو خُولفت حرست من الاعدام
وتشاغل عن ذكر رب لم يزل * حسن الصنائع صانع الانعام
من لو بخدمته تشاغل معشرٌ * خدموا فكم أجد على الخدام؟
أفما لذلك حرمة مرعيةٌ * إن الكرام اذاً لغير كرامِ
لم أحتسب فيك الثواب لمدحتى * إياك يابن أكارم الأقوامِ

لو كان شعرى جبة لم أكسه * أحداً أحقّ به من الأيتام
لا تقبلنّ المدح ثم تعافهُ * فتنام والشعراء غير نيام
واحذر معرّتهم إذا دنستهم * فلهم أشد معرة العرام
واعلم بأنهمُ إذا لم ينصفوا * حكموا لأنفسهم على الحكام
وجناية العادى عليهم تنقضى * وعقابهم يبقى على الأيام

أبو الطيب المتنبى :

ومكايد السفهاء واقعة بهم * وعداوة الشعراء بئس المقتنى

جنازة الأحنف بن قيس

مات الأحنف بن قيس بالكوفة ، فمشى مصعب ابن الزبير فى جنازته بغير رداء ، وقال قوم : مات سر العرب ، فلما دفن قامت امرأة على قبره فقالت :

لله درك من مجنّ فى جنن ، ومدرج فى كفن ، نسأل الذى فجعنا بموتك ، وابتلانا بفقدك ، أن يجعل سبيل الخير سبيلك ، ودليل الرشد دليلك ، وأن يوسع لك فى قبرك ، ويغفر لك يوم حشرك ، فوالله لقد كنت فى المحافل شريفاً ، وعلى الأرامل عطوفاً ، ولقد كنت فى الحىّ مسوّداً ، وإلى الخليفة موفداً ، ولقد كانوا لقولك مستمعين ، ولرأيك متبعين

ثم أقبلت على الناس فقالت : ألا إن أولياء الله فى بلاده ، شهود عباده ، وانى لقائلة حقا ، ومثنية صدقا ، وهو أهل لحسن الثناء ، وطيب البقاء ، أما والذى كنت من أجله فى عدة ، ومن الحياء إلى مدة ، ومن المقدار إلى غاية ، ومن الآثار إلى نهاية ، الذى رفع عملك ، لما قضى أجلك . لقد عشت حميداً مودوداً ، ومت سعيداً مفقوداً

ثم انصرفت وهى تقول :

لله درك يا أبا بحرٍ * ماذا تغيّب منك فى القبر؟
لله درك أى حشو ثرًى * أصبحت من عرف ومن نكرِ؟

إن كان دهر فيك جدّ لنا * حدثاً به وهنت قوى الصبر
فلكم يد أسديتها ويدٍ * كانت ترد جرائر الدهر

ثم انصرفت فسئل عنها ، فاذاً هى امرأته ، وابنة عمه ، فقال الناس : ماسمعنا كلام امرأة قط أبلغ ولاأصدق منه .

ترك الفضول

وكان الأحنف قدم الكوفة فى أيام مصعب بن الزبير ، فرآه رجل أعور قصيراً دميماً أحنف الرجلين ، فقال له : ياأبابحر بأى شىء بلغت فى الناس ما أرى ، فوالله ماأنت بأشرف قومك ، ولا أجودهم ، فقال : ياابن أخى بخلاف ماأنت فيه ؛ قال وما هو ؟ قال تركى من أمرك مالا يعنينى ، كما عناك من أمرى مالا تتركه .

تحكم المعتصم فى الشعراء

اجتمع الشعراء بباب المعتصم فبعث إليهم : من كان منكم يحسن أن يقول مثل قول أبى منصور النميرى فى أمير المؤمنين الرشيد :

إن المكارم والمعروف أوديةٌ * أحلك الله منها حيث تجتمعُ
من لم يكن بأمين الله معتصماً * فليس بالصلوات الخمس ينتفع
إذا رفعت أمرءاً فالله رافعه * ومن وضعت من الأقوام يتضع
ان أخلف المزن لم تخلف أنامله * أو ضاق أمر ذكرناه فيتسع

فليدخل ، فقال محمد بن وهب فينا من يقول خيراً منه ، وأنشد :

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتهم * شمس الضحى وأبو اسحق والقمرُ
يحكى أفاعيله فى كل نائبةٍ * الغيث والليث والصمصامة الذكر

فأمر بادخاله وأحسن صلته . أخذ معنى البيت الأول من بيتى محمد بن وهب أبو القاسم محمد بن هانىء الأندلسى فقال :

المدنفان من البرية كلها * قلبي وطرفٌ بابليٌّ أحورُ

والمشرقات النـــيرات ثلاثة * الشمس والقمر المنير وجعفر

وبيت أبى القاسم الأول مأخوذ من قول ابن الرومى :

يا عليلا جعل العلّـ * ـة مفتاحاً لسقمى

ليس فى الأرض عليل * غير جفنيك وجسمى

نـكتة مؤلمة

ومر النميرى بالعتابى مغموماً فقال : مالك أعزك الله ؟ فقال امرأتى تطلق منذ ثلاث ونحن على يأس منها . فقال له العتابى: وإن دواءها منك أقرب من وجها . قل (هارون الرشيد) فان الولد يخرج ! فقال شكوت إليك ما بى ، فأجبتنى بهذا ؟ فقال : ماأخذت هذا إلا من قولك :

إن أخلف المزن لم تخلف أنامله * أو ضاق أمر ذكرناه فيتسعُ

بكاء الشباب *

وأبيات منصور بن سلمة بن الزبرقان النميرى التى ذكرها المعتصم من قصيدة له وهى أحسن ما قيل فى الشيب أولها :

ما تنقضى حسرة منى ولا جزع * إذا ذكرت شباباً ليس يرتجع

بان الشـــباب ونابتنى بفرقته * خطوب دهر وأيام لها خِدع

ماكنت أوفى شبابى كنه غرته * حتى انقضى فاذا الدنيا له تبـــع

تعجبت أن رأت أسراب دمعته * فى حلبة الخد أجراها حتّى وجعُ

أصبحتِ لم تطعمى ثكل الشباب ولم * تشجىْ بغصـــته والعذر لا يقعُ

لا ألحينّ فتاتى غير كاذبةٍ * عين الكذوب فما فى ودكم طمع

ما بالشيبة من وانٍ وإن رفعت * إلا لهـــا نَبْوة عنه ومرتدعُ

انى لمعترف ما فىّ من أربٍ * عند الحسان فما فى النفس منخدَعُ

---

* ارجع إلى هذا الباب فى (مدامع العشاق)

قد كدت تقضى على فوت الشباب أسىً * لولا أعزيك ان الأمر منقطع

وذكر أن الرشيد لما سمع هذا بكى ، وقال : ما خير دنيا لا يحظى فيها ببرد الشباب ؛ وأنشد متمثلا :

أتأمل رجعة الدنيا سفاها * وقد صار الشباب إلى ذهاب
فليت الباكيات بكل أرض * جمعن لنا فنُحْنَ على الشبابِ

منصور النميرى

وكان الرشيد يقدم أبا منصور النميرى لجودة شعره ، ولما متّ إليه من النسب إلى العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه ، وكانت نثيلة أم العباس من النمر بن قاسط ، ولما كان يظهر من الميل إلى امامة العباس وأهله ، والمنافرة لآل على رضى الله عنه ، ويقول

بنى حسن وقل لبنى حسينٍ * عليكم بالسواء من الأمور
أميطوا عنكمُ كذب الأمانى * وأحلاما يعِدن عِداتِ زور
تسمّون النبى أباً ويأبى * من الأحزاب سطر فى سطور

يريد قول الله تعالى ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ، وهذا انما نزل فى شأن زيد بن حارثة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم تبنّاه ، فقال له الرشيد : ماعدوت مافى نفسى ، وأمره أن يدخل بيت المال فيأخذ ما أحب ، وكان يضمر غير مايظهر ، ويعتقد الرفض ، وله فى ذلك شعر كثير لم يظهر إلا بعد موته ، وبلغ الرشيد قوله :

آلُ النبى ومن يحبهمُ * يتطامنون مخافة القتل
أمن النصارى واليهود ومَن * من أمة التوحيد فى أزْل (١)
إلا مصالت ينصرونهم * بظبا الصوارم والقنا الذُّبل (٢)

(١) الأزل : الشدة (٢) المصالت : جمع مصلت وهو المقدام

فأمر الرشيد بقتله فمضى الرسول فوجده قد مات ، فقال الرشيد : لقد هممت أن أنبش عظامه فأحرقها ! وكان يلغز فى مدحه لهرون ، وإنما يريد قول النبى صلى الله عليه وسلم لعلى رضوان الله عليه أنت منى بمنزلة هرون من موسى .

قال الجاحظ وكان يذهب أولاً مذهب الشراة ، فدخل الكوفة وجلس إلى هشام بن الحكم الرافضى وسمع كلامه ، فانتقل إلى الرفض ، وأخبرنى من رآه على قبر الحسين بن على رضى الله عنهما ينشد قصيدته التى يقول فيها :

فلو وُجدت على الأكتاف منهم * ولا الأقفاء آثارُ النصولِ
ولكنَّ الوجوه بها كلومٌ * وفوق حجورهم مجرى السيولِ
أريق دم الحسين ولم يراعوا * وفى الأحياء أموات العقول
فدت نفسى جبينك من جبينٍ * جرى دمه على خد أسيل
أيخلو قلب ذى ورع ودينٍ * من الأحزان والألم الطويلِ
وقد شرقت رماح بنى زيادٍ * برِىٍّ من دماء بنى الرسول
بتربة كربلاء لهم ديارٌ * نيام الأهل دارسة الطلول
بأوصال الحسين يبطن قاع * ملاعب للدَّبور وللقَبول
تحيات ومغفرة وروحٌ * على تلك المحلة والحلول
برئنا يارسول الله ممن * أصابك بالأذية والذحول

أحمد بن المعذل

وقال أحمد بن المعذل :

أخو دنفٍ رمته فأقصدته * سهامٌ من جفونك لا تطيش
كئيب إن ترحّل عنه جيشٌ * من البلوى ألم به جيوش

وكان أحمد بن المعذل بن غيلان العبدى فى اللغة والبيان والأدب والحلاوة غاية . قال : دخلت المدينة فتحملت على عبد الملك بن الماجشون برجل ليخصنى ويعنى بى ، فلما فاتحنى قال : ما تحتاج أنت إلى شفيع ، معك من الحذاء

والسقاء ما تأكل به لب الشجر ، وتشرب صفو الماء.

وكان أخوه عبد الصمد يؤذيه ويهجوه ، فكتب إليه أحمد :

أما بعد ، فان أعظم المكروه ما جاء من حيث يرجى المحبوب ، وقد كنت مؤملا مرجوا ، حتى شمل شرك ، وعمّ أذاك ، فصرت فيك كأبى العاق إن عاش نغصه ، وإن مات نقصه . واعلم لقد خشّنت (١) صدر أخ جيبهُ لك ناصحٌ والسلام

وكان يقول له : أنت كالأصبع الزائدة إن تركت شانت ، وإن قطعت آلمت .

ومثل هذا قول النعمان بن شمر الغسانى :

وصال أبى برد عناء وتركه * بلاء فما أدرى به كيف أصنع
إذا زرته يومين ملّ زيارتى * وان غبت عنه ظلت العين تدمع

وقول الضحاك بن همام الرقاشى :

وأنت امرؤ منا خلقت لغيرنا * حياتك لا ترجى وموتك فاجع
وأنت على ما كان منك ابن حرةٍ * وانى لما يرضى به الخصم طائع
وفيك خصال صالحات يشينها * لديك جفاء عندك الود ضائع

وقال بعض المحدثين :

اذا ساءنى فى القول والفعل جاهداً * وفى حاله من قد أحب وأمحض
فياليت شعرى مايعاملنى بهِ * على الذنب منى من أعادى وأبغض

عبد الصمد بن المعذل

وقال أبو العباس المبرد : وكان أحمد بن المعذل من الأبهة ، والتمسك بالمنهاج والتجنب للعبث ، والتعرض للاشفاق لما فى أيدى الناس ، وإظهار الزهد فيه والتباعد عنه ، على غاية ، حتى حمل فقهاً وأدباً من أهل البصرة

(١) خشن صدره بذر فيه أصول القسوة

فأخذ الصلة غير ممتنع ولا منكر ، ووصله إسحق بن ابراهيم فقبل ، واستدعى أخاه فأبى ، وتخلى جهده فقال عبد الصمد :

عذيرى من أخ قد كان يبدى * على من لابَسَ السلطان عتبه
وكان يذمهم فى كل يوم * له بالجهل والهذيان خطبه
فلما ان أتته دريهمات * من السلطان باع بهن ربه

وقال فيه :

لى أخ لايرى له * سائل غير عاتب
أجمع الناس كلهم * للئيم المذاهب
دون معروف كفه * لمس بعض الكواكب
ليت لى منك يا أخى * جارة من محارب
نارها كل شتوة * مثل نار الحباحب

بائيه القطامى فى هجاء محارب

ذهب إلى قول القطامى من حيث الهجاء ، وكان نزل بامرأة من محارب ابن حفصة ابن قيس بن عيلان بن مضر فذم مثواه عندها فقال (١)

وإنى وإن كان المسافر نازلا * وان كان ذاحق على الناس واجب
فلا بد أن الضيف يخبر مارأى * مُخَبِّرُ أهل أو مخبر صاحب
سأخبر بالأنباء عن أم منزل * تضيفتها بين العذيب فراسب
تلفعتُ فى ظل وريح تلفنى * إلى طرمساء غير ذات كواكب (٢)
الى حيزبون توقد النار بعدما * تلفعت الظلماء من كل جانب (٣)
تصلّى بها برد العشاء ولم تكن * تخال وميض النار يبدو لراكب
فجئت إليها من دلاص مناخة * ومن رجل عارى الأشاجع شاحب

(١) أول هذه القصيدة

نأتك بليلى نية لم تقارب وماحب ليلى من فؤادى بذاهب

(٢) طرمساء : ليلة مظلمة (٣) حيزبون : عجوز

سرى فى جليد الليل حتى كأنما * تخرم بالاطراف شوك العقارب

تقول وقد قربت كورى وناقتى * اليك فلا تذعر علىّ ركائبى

فسلمت والتسليم ليس يسرها * ولكنه حق على كل جانب

فردت سلاما كارهاً ثم أعرضت * كما انحاشت الأفعى مخافة ضارب

فلما تنازعنا الحديث سألتها * من الحىّ قالت معشر من محارب

من المشتوين القِدّ مما تراهمُ * جياعاً وريف الناس ليس بناضب

فلما بدا حرمانها الضيف لم يكن * علىّ مبيت السوء ضربة لازب

وقمت إلى مهرية قد تعودت * يداها ورجلاها حثيث المراكب

ألا إنما نيران قيس إذا اشتووا * لطارق ليل مثل نار الحباحب

ومحارب قبيلة منسوبة إلى الضعف وقد ضرب العرب بها المثل قال الفرزدق لجرير :

وما استعهد الاقوام من زوج حرة * من الناس إلا منك أو من محارب

أى يأخذون العهد عليه أنه ليس من كليب ولا من محارب

وقال أبو نواس فى قصيدته التى نخر فيها باليمانية وهجا قبائل معد

وقيس عيلان لا أريد لها * من المخازى سوى مخازيها

امرأة ابن المعذل

وكانت امرأة عبد الصمد بن المعذل طباخة ، فكان أحمد يقول إذا بلغه هجاؤه : ماعسيت أن أقول فيمن ألقح بين قدر وتنور ، ونشأ بين زق وطنبور ، وعبد الصمد شاعر أهل البصرة فى وقته ، وهو القائل :

تكلفنى إذلال نفسى لعزها * وهان عليها أن أهان لتكرما

تقول سل المعروف يحيى بن أكثم * فقلت سليه رب يحيى بن اكثما

راشد بن اسحق

قال أبوشراعة القسي : كنت فى مجاس العتبى مع عبد الصمد بن المعذل فتذاكرنا أشعار المولدين فى الرقيق ، فقال عبد الصمد : أنا أشعر الناس فيه وفى غيره ، فقلت أحذق والله منك بالرقيق الذى يقول ، وهو راشد بن اسحق أبو حكيمة الكوفى :

ومستوحش لم يمس فى دار غربةٍ * ولكنه ممن يحب غريبُ
طواه الهوى واستشعر الوصل غيره * فشطت نواه والمزار قريب
سلام على الدار التى لاأزورها * وان حلها شخصٌ إلىَّ حبيبُ
وان حجبت عن ناظرىَّ ستورُها * هوىً تحسن الدنيا به وتطيبُ
هوىً تضحك اللذات عند حضوره * ويسخن طرف اللهوى حين يغيب
تثنىَّ به الأعطاف حتى كأنهُ * إذا اهتز من تحت الثياب قضيبُ
ألم تر صمتى حين يجرى حديثهُ * وقد كنت أدعى باسمه فأجيب
رضيت بسعى الدهر بينى وبينهُ * وان لم يكن للعين فيه نصيبُ
أحاذر إن واصلته أن ينالنى * وإياه سهم للفراق مصيبُ
أرى دون من أهوى عيونا تريبنى * ولا شك أنى عندهنَّ مريبُ
أدارى جليسى بالتجلد فى الهوى * ولى حين أخلو زفرة ونحيبُ
وأخبرُ عنه بالذى لاأحبهُ * فيضحك سنى والفؤاد كئيب
مخافة أن تغرى بنا ألسن العدا * فيطمع فينا كاشح فيعيب
كأن مجال الطرف فى كل ناظر * على حركات العاشقين رقيبُ
أرى خطرات الشوق يبكين ذا الهوى * ويصبين عقل المرء وهو لبيب
وكم قد أذل الحب من متمنع * فأضحى وثوب العز منه سليب
وإن خضوع النفس فى طلب الهوى * لأمرٌ إذا فكرت فيه عجيب

فلم ينطق بحرف

ابراهيم بن رياح

ولأبى شراعة يمدح بنى رياح

بنى رباح أعاد الله نعمتكم * خير المعاد وأسقى ربعكم دِيَمَا
فكم بهم من فتى حلو شمائله * يكاد ينهلُ من أعطافه كرما
لم يلبسوا نعمة لله مذ خلقوا * إلا تلبسها اخوانهم نعما

وفى ابراهيم بن رباح يقول عبدالصمد بن المعذل :

قد تركت الرياح يابن رياح * وهى حسرى إن هب منها نسيمُ
نهكت مالك الحقوق فأضحى * لك مال نِضوٌ وفعل جسيمُ

وكان عبدالصمد متصلا بابراهيم وبنيه، وأفاد منهم أموالا جليلة ، واعتقد عقدا نفيسة ، فما شكر ذلك ولا أصحبه مايجب عليه من الثناء عند نكبته ، وكان الواثق عزله عن ديوان الضياع ، ودفعه إلى عمر بن فرخ الراجحى ، فحبسه فهجاه عبد الصمد .

لؤم عبد الصمد بن المعذل

قال أبوالعباس محمد بن يزيد وكان عبدالصمد شديد الاقدام على الاعراض ردىء السريرة فيما بينه وبين الناس ، خبيث النية ، يرصد لصديقه المكروه، تقدير أن يعاديه فيسوءه بأمر يعرفه ، ولا يكاد يسلم لأحد، وكان مشهورا فى ذلك الأمر يُلبَس عليه ويحمَل على معرفة به ، عجباً بظرف لسانه ، وطيب مجلسه ، وأيضا لقبح مسبته ، وشائن معرته .

كرم أبى العيناء

قال أبوالعيناء : ولما حبس الواثق ابراهيم بن رياح ، وكان لى صديقا ، صنعت له هذا الخبر راجيا أن ينتهى إلى أمير المؤمنين فينتفع به فأخبرنى

زيد بن على بن الحسين انه كان عند الواثق حين قرىء عليه فضحك واستظرفه، وقال : ماصنع هذا كله أبوالعيناء إلا بسبب ابراهيم بن رياح وأمر بتخليته

والخبر قال : لقيت اعرابيا من بنى كلاب فقلت له ماعندك من خبر هذا العسكر ؟ . فقال : قتل أرضاً عالمها .

فقلت : فماعندك فى خبرالخليفة ، قال بخبخ فى عزه، وضرب بجرانه ، وأخذ الدرهم من مصره ، وأرعف قلم كل كاتب بجبايته .

قلت : فما عندك فى أحمد بن أبى دُواد ؟ قال عضلة من العضل لاتطاق ، وجندلة لاترام ، ينتحى بالمدى لتنحره فيجوز ، وتنصب له الحبائل حتى تقول الآن ، ثم يطفر طفرة الذئب ، ويخرج خروج الضب ، والخليفة يحنو عليه ، والقرآن آخذ بضبعيه .

قلت : فما عندك فى عمر بن فرخ ؟ قال ضخم ، حِضَجر ، غضوب ، هرير ، قد أهدفه القوم لبعضهم ، وانتضلوا له عن قسيهم ، وأهلّ له بمصرع من يصرع .

قلت : فما عندك فى خبر ابن الزيات ؟ قال ذلك رجل وسع الورى شره ، وبطن بالأمور خيره ، فله فى كل يوم صريع، لايظهر فيه أثر ناب ولا مخلب ، إلا بتسديد الرأى .

قلت : فما عندك فى خبر ابراهيم بن رياح : قال ذاك رجل أوبقه كرمه ، وإن بقره للكرام قدح ، فلا عزبهجائه ، ومعه دعاء لايخذله ، ورب لايسلمه، وفوقه خليفة لايظلمه .

قلت : فما عندك فى خبر نجاح بن سلمة ؟ قال لله دره من نابض أوتار ، يتوقد كأنه شعلة نار ، له فى الفينة بعد الفينة عند الخليفة خلسة كخلسة السارق ، أوكحسوة الطائر ، يقوم عنها وقد أفاد نعما ، وأوقع نقما .

قلت : فما عندك فى خبر ابن الوزير ؟ قال إخاله كبش الزنادقة ، ألا ترى ان الخليفة إذا سلمه خصما رتع ، واذا أمر بتقصيته أمطر فأمرع .

قلت : فما عندك فى خبر الخصيب ؟ قال ذاك أحمق أكل أكلة نهم ، فاختلف اختلاف بشم .

قلت : فما عندك فى خبر المعلى بن أيوب ؟ قال ذاك رجل قُدَّ من صخرة ، فصبره صبرها ، ومسه مسها ، وكل مافيه بعد فمنها ولها .

قلت : فما عندك من خبر أحمد بن اسرائيل ؟ قال كتوم غدور ، وجلد صبور ، رجل حرد ، نمر . كلما خرقوا له إهابا ، حرق لهم بابا .

قلت : فما عندك فى خبر الحسن ابن وهب ؟ قال ذاك رجل اتخذ السلطان أخا ، فاتخذه السلطان عبدا .

قلت : فما عندك من خبر عبد الله بن يعقوب ! قال أموات غير أحياء ، وما يشعرون أيان يبعثون .

قلت : فما عندك فى خبر أخيه سليمان بن وهب ؟ قال شد مااستوفيت مسألتك أيها الرجل ! ذلك حرمة حبست مع صواحبها فى جريرة محرمة ، ليس من القوم فى ورد ولاصدر ، هيهات !

كتب القتل والقتال علينا * وعلى الغانيات جر الذيول

قلت : أين نزلت فأؤمك ؟ قال : مالى منزل تؤمه ، أنا أستتر فى الليل إذا عسعس ، وأنتشر فى الصبح إذا تنفس .

شعر راشد بن اسحق

ومن مليح شعر راشد بن أرشد وهو أبو حكيمة وكان قوىّ أسر الشعر :

تحيرت فى أمرى وانى لواقف * أجيل وجوه الرأى فيك وماأدرى
أأعزم عزم اليأس فالموت راحة ؟ * أو اقنع بالاعراض والنظر الشزر
وانى وان أعرضت عنك لمنطوٍ * على حُرق بين الجوانح والصدر
اذا هاج شوقى مثلتك لىَ المنى * فألقاك ما بينى وبينك فى السر
فمن تيك لم أصبر ولى فيك حيلة * ولكن دعانى اليأس فيك الى الصبر

تصبرت مغلوباً وانى لموجعٌ * كما يصبر الظمآن فى البلد القفر

وقال :

عتبت عليك فى قطع العتاب * فما عطفتك ألسنة العتابِ
وفيما قات يظهر لى دليل * على عتب الضمير المستراب
وماخطرت دواعى الشوق إلا * هززت إليك أجنحة التصابى

وقال أيضاً :

ضحكت ولو تدرين مابى من الهوى * بكيت لمحزون الفؤاد كئيب
لمن لم تُرَحْ عيناه من فيض عبرةٍ * ولا قلبه من زفرة ونحيب
لمستأنس بالهم فى دار وحشةٍ * غريب الهوى باكٍ لكل غريب
ألا بأبى العيش الذى بان وانقضى * وما كان من حسن هناك وطيب
وترداد مستور الأحاديث بيننا * على غفلة من كاشح ورقيب
ليالىَ يدعونا الصبا فنجيبهُ * ونأخذ من لذاته بنصيب
إلى أن أجرى صرف الحوادث فى الهوى * فبُدل منا مشهدٌ بمغيب

وله مذهب أستفرغ فيه أكثر شعره ، صنت الكتاب عن ذكره(١)

عبد الملك بن صالح

دعا الرشيد عبد الملك بن صالح وكان معتقلا فى حبسه ، فلما مثل بين يديه التفت إليه ، وكان يحدث يحي بن خالد بن برمك وزيره ، فقال متمثلا :

أريد حياته ويريد قتلى * عذيرك من خليلك من مُرادِ

وقال ياعبد الملك كأنى أنظر إلى شريومها قد همع ، وإلى عارضها قد لمع ، وكأنى بالوعيد قد أروى ، بل أدمى ، فأبرزعن براجم بلامعاصم ، ورءوس بلا غلاصم ، فمهلا بنى هاشم فبى والله سهل لكم الوعر ، وصفا لكم الكدر .

(١) تجد نقد هذه الفكرة فى المقدمة التى صدرنا بها الجزء الأول من هذا الكتاب

وألقت إليكم الأمور أزمتها ، فتداركتكم من حلول داهية ، نارخبوط باليد والرجل ، فقال عبد الملك : أفذّا أتكلم أم توأماً ؟ قال بل فذّا ، قال اتق الله يا أمير المؤمنين فيما ولاك ، واحفظه فى رعاياك التى استرعاك ، ولا تجعل الكفر بموضع الشكر ، والعقاب بموضع الثواب ، فقد والله سهلت لك الوعود ، وجمعت على خوفك ورجائك الصدور ، وشددت أواخى ملكك بأوثق من ركن ململم ، وكنت لك كما قال أخو بنى جعفر بن كلاب يعنى لبيدا :

ومقام ضيق فرجتـهُ * بلسان وبيان وجدلْ
لويقوم الفيل أوفيالهُ * زلّ عن مثل مقامى وزحل

فأدناه إلى مجلسه وقال : لقد نظرت إلى موضع السيف من عاتقه مراراً فنعفو عن قتله ، إبقاء على مثله .

مدح الحقد

وأراد يحي بن خالد أن يضع من عبد الملك ليرضى الرشيد ، فقال له : يا عبد الملك بلغنى أنك حقود ! فقال عبدالملك : أيها الوزير ، إن كان الحقد هو بقاء الخير والشر ، إنهما لباقيان فى قلبي ! فقال الرشيد تالله ما رأيت أحداً احتج للحقد بأحسن مما احتج به عبد الملك

وقد مدح ابن الرومى الحقد وأخذ هذا المعنى من قول عبد الملك وزاد فيه فقال لعائب عابه :

لئن كنت فى حفظى لمـا أنا مودعٌ * من الخير والشر انتحيت على عرضى
لمـا عبتنى إلا بفضل إبانةٍ * وربّ امرىء يزرى على خلق محض
ولا عيب أن تجزى القروض بمثلها * بل العيب أن تدّان ديناً ولا تقضى
وخـير سجيات الرجال سجية * توفيّك ما تسدى من القرض بالقرض
اذا الأرض أدت رَيْع ما أنت زارعٌ * من البذر فيها فهى ناهيك من أرض

ولولا الحقود المستكنات لم يكنْ * لينقض وتراً آخرَ الدهر ذو نقض
وما الحقد إلا توأم الشكر فى الفتى * وبعض السجايا ينتمين إلى بعض
فحيث ترى حقداً على ذى إساءة * فثمَّ ترى شكرا على حَسَن القرض

ذم الحقد

وقال يرد على نفسه ويذم ما مدح توسعاً واقتداراً :

ياما دح الحقد محتالا له شبهاً * لقد سلكت اليه مسلكا وعِثا
إن القبيح وإن صنّعت ظاهرهُ * يعود مالمَّ منه مرة شعثا
كم زخرف القول ذو زور ولبّسهُ * على القلوب ولكن قل مالبثا
قد أبرم الله أسباب الأمور معاً * فلن نرى سبباً منهن منتكثاً
يادافن الحقد فى ضعفى جوانبه * ساء الدفين الذى أضحت له جدثا
الحقد داءٌ دوىٌ لادواء لهُ * يَرى الصدور إذا ماجمره حُرثا
فاستشف منه بصفحٍ أومعاتبةٍ * فانما يبرأُ المصدور مانفثا
واجعل طلابك بالأوتار ماعظمت * ولا تكن لصغير القول مكترثا
فالعفو أقرب للتقوى وإن جُرمٌ * من مجرم جرح الأكباد أو فرثا
يكفيك فى العفو أن الله قرّظهُ * وحيا إلى خير من صلى ومن بعثا
شهدت أنك لو أذنبت ساءك أن * تلقى أخاك حقوداً صدره شرثا
إذنْ وسرّك أن ينسى الذنوب معاً * وأن تصادف منه جانباً دمثا
إنى إذا خلط الأقوام صالحهم * بسيّء الفعل جدا كان أو عبثا
جعلت قلبى كظرف السبك حينئذ * يستخلص الفضة البيضاء لا الخبثا
ولست أجعله كالحوض أمزجهُ * بحفظ ماطاب من ماء وما خبثا

على بن أبى طالب

والبيت الذى تمثل به الرشيد هو لعمرو بن معد يكرب يقوله لقيس بن

الكشوح المرادى وقد تمثل به على بن أبى طالب رضى الله عنه حين رأى عبد الرحمن بن ملجم المرادى فقال له : أنت تخضب هذه من هذه ، وأشار إلى لحيته و ثغر ته . فقيل له : ياأمير المؤمنين ألا تقتله ؟ ، فقال كيف يقتل المرء قاتله ؟

مسلمة بن عبد الملك

وكان بين مسلمة بن عبد الملك وبين العباس بن الوليد تباعد فبلغ العباس أن مسلمة ينتقصه ، فكتب اليه يقول :

ألا تبقى الحياء أبا سعيدٍ * وتقصر عن ملاحاتى وعذلى
فلولا أن فرعك حين تنمى * وأصلك منتهى فرعى وأصلى
وأنى إن رميتك هضت عظمى * ونالتنى إذا نالتك نبلى
لقد أنكرتنى إنكار خوفٍ * يصم حشاك عن شتى وأكلى
فكم من سورة أبطأت عنها * بنى لك مجدها طلبي وحملى
ومبهمة عييت بها فأبدى * عويلى عن مخارجها وفضلى
كقول المرء عمرو فى القوافى * لقيس حين خالف كل عدل
عذيرى من خليلى من مراد * أريد حياته ويريد قتلى

لم يتفق له فى القافية كما قال عمرو فغيره . وعبد الملك هذا هو صالح بن على وكان بليغاً جهيراً فاضلا عاقلا .

حسن الاستماع

وقال الجاحظ : قال عبد الرحمن مؤدب عبد الملك بن صالح : قال لى عبد الملك بعد أن خصنى وصيرنى وزيراً بدلا من قمامة : ياعبد الرحمن أنظر فى وجهى ؛ فأنا أعرف منك بنفسك ولا تستعد على مايقبح ؛ دع كيف أصبح الأمير وكيف أمسى ، واجعل مكان التقريظ حسن الاستماع

منى ، واعلم أن صواب الاستماع أحسن من صواب القول ، وإذا حدثتك حديثاً فلا يفوتنك شيء منه ؛ وأرنى فهمك فى طرفك ، إنى اتخذتك مؤدبا بعد أن كنت معلما ، وجعلتك جليساً مقربا بعد أن كنت مع الصبيان مبعداً ، ومتى لم تعرف نقصان ماخرجت منه لم تعرف رجحان ماصرت اليه

الرشيد وعبد الملك بن صالح

وساير الرشيد عبد الملك فقال له قائل : طأطىء من أشرافه ، واشدد من شكائمه ، وإلا فسد عليك . فقال له الرشيد : مايقول هذا ؟ قال حاسد نعمة ، ونافس رتبة ، أغضبه رضاك عنى ، وباعده قربك منى ، وأساءه إحسانك إلىّ ، فقال له الرشيد : انخفض القوم وعلوتهم فتوقدت فى قلوبهم جمرة التأسف ، فقال عبد الملك : أضرمها الله بالتزيد عندك ؛ فقال الرشيد : هذا لك وهذا لهم .

أنموذج في الاعتذار عن الافحام

وصعد المنبر فأرتج عليه فقال : أيها الناس إن اللسان بضعة من الانسان تكل بكلاله إذا كل ، وتنفسح إذا ارتجل ، إن الكلام بعد الافحام كالاشراق بعد الاظلام ، وإنا لانسكت حَصَرًا ، ولا ننطق هذرا ، بل نسكت مفيدين ، وننطق مرشدين ، وبعد مقامنا مقام ، ووراء أيامنا أيام ، بها فصل الخطاب ، وموقع الصواب ، وسأعود فأقول إن شاء الله تعالى

مرارة العقوق

قال الأصمعى : كنت عند الرشيد فدعا بعبد الملك بن صالح من حبسه فقال : ياعبد الملك أكفراً بالنعمة ، وغدراً بالسلطان ، ووثوباً على الامام ؟ فقال ياأمير المؤمنين : بؤت بأعباء الندم ، واستحلال النقم ، وماذاك إلا من

قول حاسد ، ناشدتك الله والولاء ومودة القرابة ! فقال الرشيد : ياعبدالملك تضع لى لسانك ، وترفع لى جنانك ، بحيث يحفظ الله لى عليك ، ويأخذ لى منك ، هذا كاتبك قمامة ينبىء عن عملك ، فالتفت عبد الملك إلى قمامة فقال : حقا لقد رمت ختر أمير المؤمنين ! فقال عبدالملك : وكيف لا يكذب علىّ ياأمير المؤمنين فى غيبتى ، من يبهتنى فى حضرتى ؟

فقال الرشيد : دع قمامة ، هذا ابنك عبد الرحمن ينبىء عنك بمثل خبر قمامة ، فقال : إن عبد الرحمن مأمور أو عاق ، فان كان مأمورا فهو معذور ، وإن كان عاقا فما أتوقع من عقوقه أكثر

بديهة الحسن بن عمران

وقال الرشيد للحسن بن عمران وقد دخل عليه يرسف فى قيوده : وليتك دمشق وهى جنة مونقة ، تحيط بها غُدُر كاللجين ، فتكيف على رياض كالزرابى ، وكانت بيوت وأموال فما برح بك التعدى ، حتى تركتها أجرد من الصخر ، وأوحش من القفر ! فقال : ياأمير المؤمنين ماقصدت تغير التوفيق من جهته ، ولكنى وليت أقواماً ثقل على أعناقهم الحق ، فتفرغوا فى ميدان التعدى ، ورأوا أن المراغمة بترك العمارة أوقع باضرار السلطان ، وأنوه بالشنعة ، فلا جرم أن موجدة أمير المؤمنين قد أخذت لهم بالحظ الأوفر من مساءتى ! فقال عبيد بن مالك : هذا أجزل كلام سمع لخائف ، وهذا ما كنا نسمعه عن الحكماء « أفضل الأشياء بديهة أمن وردت فى مقام خوف »

يزيد بن مزيد

ولما رضى الرشيد عن يزيد بن مزيد دخل عليه فقال : الحمد لله الذى سهل لى سبل الكرامة بلقائك ، وردّ علىّ النعمة بوجه الرضا منك ، وجزاك

الله فى حال سخطك حق المنيبين المراقبين ، وفى حال رضاك حق المنعمين المتطولين ، فقد جعلك الله ، وله الحمد ، تتثبت عند الغضب ، وتتطول بالنعم ، وتستبق المعروف عند الصنائع تفضلا بالعفو

وفى يزيد بن مزيد يقول مسلم بن الوليد مرثيته وقد رويت له فى يزيد ابن أحمد السلمى :

قبر ببرذعة استسرّ ضريحهُ * خطراً تقاصر دونه الاخطارُ
نفضت بك الاحلاس نفض إقامةٍ * واسترجعت نزّاعها الأمصار
فاذهب كما ذهبت غوادى مزنةٍ * أثنى عليها السهل والأوعار
سلكت بك العرب السبيل الى العلى * حتى إذا سبق الردى بك حاروا

محمد بن أبى عطية

وقال أبو عبدالرحمن محمد بن أبى عطية يرثى أخاه :

حنطته يانصر بالكافور * ورفعته للمنزل المهجورِ
هلاّ ببعض صلاحه حنطته * فيضوع أفق منازل وقبور
والله لو بنسيم أخلاق لهُ * تعزى الى التقديس والتطهير
حنطت من وطىء الحصى وعلا الربى * لتزوّد بل عـدة لنشور
فاذهب كما ذهب الشباب فانهُ * عصفت به ريحا صباً ودَبور
والله ماأثنيته لأزيدهُ * شرفاً ولكن نفثة المصدور

أجمل ماقيل فى الرثاء

ومات رجل من العرب كان يعول اثنى عشر ألفا فلما حُمل سريره صرّ فقال بعض من حضر :

وليس صرير النعش ماتسمعونهُ * ولكنه أصلاب قوم تَقصفُ
وليس فتيق المسك ماتجدونهُ * ولكنه ذاك الثناء المخلفُ

وقال عبدالله بن المعتز فى عبيد الله بن سليمان بن وهب يرثيه :

ياابن وهب بالكره منى بقيتُ * عجبى يوم متَّ كيف حييت
إنمـا طيبك الثناء الذى خلف * ت لامسك نعشك المفتوتُ
واختصرت الطريق بعدك للمو * ت فلاقيته ولست أفوت
كيف يبقى على الحوادث حىٌّ * يـد الدهر عوده منحوت

وقال أيضاً :

ذكرت ابن وهب ولله ما * ذكرت وماغيّبوا فى الكفنْ
تقطِّر أقلامه من دم * ويعلم بالظن مالم يكن
وظاهر أطرافه ساكنٌ * وما تحته حركات الفطن

وقال :

ذكرت عبيدالله والترب دونهُ * فلم تحبس العينان منى بكاهما
وحاشاه من قول سقى الغيث قبرهُ * يداه تروّى قبره من نداهما

وهذا مأخوذ من قول الطائى :

سقى الغيث غيثاوارت الأرض شخصهُ * وان لم يكن فيه سحاب ولا قطرُ
وكيف احتمالى للسحاب صنيعةً * بإسقائها قبرا وفى لحده البحر

وقال ابن المعتز :

لم تمت أنت إنمـا مات من لم * يبق فى المجد والمكارم ذكرا
لست مستسقيا لقبرك غيثاً * كيف يظما وقد تضمّن بحرا

والبيت الثانى من هذين من بيت الطائى — وقال :

محمد بن حميد أخلقت رمّه * أريق ماء المعالى إذ أريق دمه
رأيته بنجاد السيف محتبياً * كالبدر حين انجلت عن وجهه ظُلمه
فى روضة حفّها من حولها زَهَرٌ * أيقنت عند انتباهى أنها نِعَمُهْ
فقلت والدمع من وجد ومن حُرَق * يجرى وقد خدّ دا الخدين منسجمهْ
ألم تمت ياسليل المجد من زمن * فقال لى لم يمت من لم يمت كرمه

وقال بعض أهل العصر :

عُمر الفتى ذكره لاطول مدته * وموته موته لاموته الدانى

فأحى ذكرك بالاحسان تزرعهُ * تُجمع به لكَ فى الدنيا حياتان

وقال عبدالسلام بن رغبان الحمصى

سقى الغيث أرضا ضُمّنتك وساحةً * لقبرك فيها الغيث والليث والبدرُ

وما هى أهلٌ إذ أصابتك بالبلى * لسقيا ولكن من حوى ذلك القبر

أخذ هذا البيت الرضى فقال يرثى أباه المقتدر :

أليث الشرّى ضمنت فى ساحة البلى * لقد ضم منك الغيث والليث والبدرا

فلو أن عمرى كان طوع مشيئتى * وأسعدنى المقدور قاسمتك العمرا

ولو أن حيًا كان قبراً لميت * لصيرت أحشائى لأعظمه قبرا

هذا البيت ينظر إلى قول المتنبى :

حتى أتوا جدثاً كأن ضريحهُ * فى قلب كل موحّد محفورُ

قطر الندى بنت خمارويه

لما حُملت قطر الندى بنت خمارويه بن أحمد بن طولون إلى المعتضد كتب معها أبوها يذكره بخدمة سلفها، ويذكر ماترد عليه من أبهة الخلافة ، وجلالة الخليفة ، وسأل إيناسها وبسطها . فبلغت من قلب المعتضد لما زفت إليه مبلغا عظيما ، وسر بها غاية السرور ، وأمر الوزير أباالقاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب بالجواب عن الكتاب فأراد أن يكتبه بخطه ، فسأله أبو الحسين بن ثوابة أن يؤثره بذلك ففعل ، وغاب أياما وآتى بنسخة يقول فى فصل منها : وأما الوديعة فهى بمنزلة شىء انتقل من يمينك إلى شمالك ، عناية بها ، وحياطة عليها ، ورعاية لمودتك فيها ، ثم أقبل عبيد الله يعجب من حسن ماوقع له من هذا ، وقال تسميتى لها بالوديعة نصف البلاغة ، فقال عبيد الله ماأقبح هذا ! تفاءلت لامرأة زفت إلى صاحبها بالوديعة ، والوديعة مستردة ، وقولك من يمينك إلى شمالك أقبح ، لأنك جعلت أباها اليمين وأمير المؤمنين الشمال ، ولو قلت « وأما الهدية فقد حسُن موقعها منا ، وجلّ خطرها عندنا ، وهى وان بعدت عنك ، بمنزلة ماقرب منك ، لتفقدنا لها ، وأنسنا بها ، ولسرورها

بما وردت عليه ، واغتباطها بما صارت إليه » لكان أحسن ، فنفذ الكتاب.

وكانت قطر الندى مع جمالها موصوفة بفضل العقل ، خلا بها المعتضد يوما للأنس فى مجلس أفرده لم يحضره غيرها فأخذت منه الكأس ، فنام على فخذها فلما استثقل وضعت رأسه على وسادة ، وخرجت فجلست فى ساحة القصر على باب المجلس ، فاستيقظ فلم يجدها فاستشاط غضبا ، ونادى بها فأجابته على قرب ، فقال ماهذا ؟ استخليتك اكراما لك ، ودفعت إليك مهجتى دون سائر حظاياى ، فتضعين رأسى على وسادة ! فقالت ياأمير المؤمنين ماجهلت قدر ماأنعمت به علىّ وأحسنت فيه إلىّ ، ولكن فيما أدبنى به أبى أن قال لى : لاتنامى بين الجلوس ، ولا تجلسى بين النيام.

أبو الحسين بن ثوابة

وفى أبى الحسين بن ثوابة يقول ابن المعتز يرثيه :

ليس شىء لصحة ودوام * غلب الدهر حيلة الأقوام
وتولى أبو الحسين حميداً * فعلى روحه سلام السلام
حين عاقدته على الحفظ للعهـ * ـد وصافحته بكف الذمام
واصطفته دون الأخلاء نفسى * كاصطفاء الأرواح للأجسام
كان ريحانة الندامى وميزا * ن القوافى شعراً وبحر كلام
ومكان الوهم الذى لايرى الشك * ولا يستغيث بالأوهام
سامر الوحى فى القراطيس لاتحـ * ـبس عنه أعنة الأقلام
فاذا مارأيته خلت فى خديـ * ـه صبحا منقبا بظلام
نفسُ صبراً لاتجزعى إن هذا * خُلُق من خلائق الأيام

أيام الشباب

وأنشد أبو العباس أحمد بن يحي ثعلب لرجل من بنى كلاب :

سقى الله دهرا قد تولت غياطله * وفارقنا إلا الحشاشة باطلُهْ

لياليَ خِدنى كل أبيضَ ماجدٍ * يطيع هوى الصابى ويُعصى عواذله
وفى دهرنا والعيش فى ذاك غِرةٌ * ألا ليت ذاك الدهر تُثنى أوائله
بما قد غنينا والصِّبا جلٌّ همنا * يمايلنا ريعانُهُ ونمايله
وجرّ لنا أذياله الدهر حقبةً * يطاولنا فى غيه ونطاوله
فسقياً له من صاحب خذلت بنا * مطيتنا فيه وولّت رواحله
أصدّ عن البيت الذى فيه قاتلى * وأهجره حتى كأنىَ قاتله

هذا البيت يناسب قول ذى الرمة وإن لم يكن فى هذا المعنى يصف ظبية وولدها :

إذا استودعته صفصفا أو صريمةً * تنحت ونصت جيدها بالمناظر [١]
حِذاراً على وسنان يصرعه الكرى * بكل مقيل عن ضعاف فواتر
وتهجره إلا اختلاساً نهارها * وكم من محب رهبةَ العين هاجر

وقال أبو حية النميرى :

أما وأبي الشباب لقد أراهُ * جميلا ما يراد به بديلُ
إذ الأيام مقبلة علينا * وظل أراكة الدنيا ظليل

ابن بسام

وقال على بن بسام :

بشاطىء نهر قبرك فالمصلّى * بما والاهما فالقريتين
معاهد لهونا والعيش غضٌّ * وصرف الدهر مقبوض اليدين

وكان ابن بسام هذا وهو على بن منصور بن بسام ، مليح المقطعات ، كثير الهجاء خبيثه ، وله حظ فى التطويل ، وهو القائل :

ولكَمْ قطعت إليك من ديمومةٍ * نطف المياه بها سواد الناظر

---

(١) الصفصف المستوى من الأرض ، والصريمة هى الرملة المنصرمة من الرمال ذات الشجر ، ونصت جيدها رفعته ، والجيد العنق

في ليلة فيها السماء مزادةٌ * سوداء مظلمة كقلب الكافر[1]
والبرق يخفق من خلال سحابه * خفق الفؤاد مواعداً من زائر
والقطر منهملٌ يسح كأنهُ * دمع المودع إثر إلف سائر

وقال في العباس لما وزر للمكتفي :

وزارة العباس من نحسها * ستقلع الدولة من أسّها
شبهته لما بدا مقبلا * في حلل يخجل من لبسها
جارية رعناء قد قدّرت * ثياب مولاها على نفسها

وقال في علي بن يحيى المنجم يرثيه :

قد زرت قبرك يا عليّ مسلماً * ولك الزيارة من أقلّ الواجب
ولو استطعت حملت عنك ترابهُ * فلطالما عني حملت نوائبي

وكان مولعاً بهجاء أبيه وفيه يقول وقد ابتنى داراً :

شِدت داراً خلتها مكرمةً * سلّط الله عليها الغرقا
وأرانيك صريعاً وسطها * وأرانيها صعيدا زلقا

وقال أبوالعباس بن المعتز يهجوه :

من شاء يهجو عليا * فشعره قد كفاهُ
لو أنه لأبيهِ * ما كان يهجو أباه

أحمد بن أبي خالد

وقال المأمون لأحمد بن أبي خالد ، وهو يخلف الحسن بن سهل ، وقد أشار إليه برأى استرجحه : قد اعتل الحسن ولزم بيته ، ووكل الأمر إليك ، فأنا إلى راحته وبقائه ، أحوج إلى إلغائه وفنائه ، وقد رأيت أن أستوزرك ، فان الأمر له مادمت أنت تقوم به ، وقد طالعت رأيه في هذ الأمر ، فأعداك[2] فقال يا أمير المؤمنين : أعفني من التسمى بالوزارة ، وطالبني بالواجب فيها ،

(١) المزادة الراوية الضخمة (٢) أعداه ساعده

واجعل بيني وبين الغاية مايرجوني له ولي ، ويخافني له عدوي ، فما بعد الغايات الا الآفات . فاستحسن كلامه وقال : لابد من ذلك واستوزره .

حسن البديهة

ورأى المأمون خط محمد بن داود فقال : يامحمد إن تشاركنا في اللفظ ، فقد فارقناك في الخط ، فقال ياأمير المؤمنين : ان من أعظم آيات النبي صلى الله عليه وسلم أنه أدى عن الله سبحانه وتعالى رسالاته ، وحفظ عنه وحيه ، وهو أمي لايعرف من فنون الخط فنا ، ولايقرأ من سائره حرفا ، فبقي عمود ذلك في أهله ، فهم يشرفون بالشبه الكريم في نقص الخط ، كما يشرف غيرهم بزيادته . وان أمير المؤمنين أخص الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم ، والوارث لموضعه ، والمتقلد لأمره ونهيه ، فعلقت به المشابهة الجليلة ، وتناهت اليه الفضيلة . فقال المأمون : يامحمد لقد تركتني لا آسى على الكتابة ، ولو كنت أميا

وهذا شبيه بقول سعيد بن المسيب وقد قيل له مابال قريش أضعف العرب شعرا وهي أشرف العرب بيتا ؟ قال : لأن كون رسول الله صلى الله عليه وسلم منها قطع متن الشعراء عنها

رفق الخلفاء

وقال ابراهيم بن الحسن بن سهل كنا في مجلس المأمون وعمرو بن مسعدة يقرأ عليه الرقاع لخاتمه عطسة فلوى عنقه فردها فرآه المأمون فقال : ياعمرو ، لاتفعل فان رد العطسة ، وتحويل الوجه بها ، يورثان انقطاعا في العنق ، فقال بعض ولد المهدي : ماأحسنها من مولى لعبده ، وإمام لرعيته ! فقال المأمون وماقي ذلك ؟ هذا هشام اضطربت عمامته فأهوى الأبرش

الكلبي إلى اصلاحها ، فقال هشام إنا لانتخذ الاخوان خولا [1] ! فالذي قال هشام أحسن مما قلته ، فقال عمرو : ياأمير المؤمنين إن هشاماً يتكلف ماطبعت عليه ، فيما تعدل فيه ، ليس له قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولاقيامك بحق الله ، و إنك والملوك لكما قال النابغة الذبياني

ألم تر أن الله أعطاك سورةً * يرى كل مَلْك دونها يتذبذبُ
لأنك شمس والملوك كواكبٌ * إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

أخذ النابغة هذا من قول شاعر قديم من كندة

تكاد تميد الأرض بالناس أن رأوا * لعمرو بن هند غضبة وهو عاتبُ
هو الشمس وافت يوم دَجن فأفضلت * على كل ضوء والملوك كواكب

جميل بن أوس

قال يزيد بن معاوية لجميل بن أوس وكان اكرمه واجتباه : لم كرهت الافراط في تقديمي ، وتطامنت عن الدرجة التي سما بك اليها مكانك ؟ فقال ان الذين كانوا قبلنا من أهل العلوم والآداب ، والعقول والألباب ، كانوا أطول أعمارا منا ، وأكثر للزمان صحبة ، وأكثر للأيام تجربة ، وقد قال الحكيم بقدر الثواب عند الرضا يكون العقاب عند السخط ، وبقدر السمو في الرفعة تكون الضعة ، ولاخير فيمن لايسمع الوعظ ، ولا يقبل النصيحة ، وأنا يا أمير المؤمنين وان كنت آمناً من التعرض لسخطك والدنو مما يقرب منه ، فلست بآمن من طعن المساوى في الدرجة عندك ، وحقر المشارك في المنزلة منك ، وليس من تقديمك قليل ، ولامن تعظيمك يسير ، بل أقل ذلك فيه النباهة ، والفخر ، والذكر ، وحسبي مما بذلته من أموالك

(١) الخول : العبيد

استحقاق عندك لاكرامك ، وحسبي من تقديمك خالص رضاك ، وصافى ضميرك

عند وفاة الاسكندر

مختار من أقوال الحكماء عند وفاة الاسكندر — لما جعل الاسكندر فى تابوت من ذهب تقدم إليه أحدهم فقال : كان الملك يخبأ الذهب ، وقد صار الآن الذهب يخبؤه . وتقدم اليه آخر والناس يبكون ويجزعون فقال : حركنا بسكونه — أخذه أبو العتاهية فقال

ياعلىّ بن ثابت ، بان منىّ * صاحبٌ جلّ فقده يوم بنتا
قد لعمرى حكيت لى غصص المو * ت وحركتنى لها وسكنتا

وتقدم إليه آخر فقال : كان الملك يعظنا فى حياته ، وهو اليوم أوعظ منه أمس — أخذه أبو العتاهية فقال

وكانت فى حياتك لى عظات * وأنت اليوم أوعظ منك حيا

وتقدم إليه آخر فقال : قد طاف الأرضين وتملكها ثم جعل منها فى أربعة أذرع

ووقف عليه آخر فقال : أنظر إلى حلم النائم كيف انقضى ، وإلى ظل الغمام وقد انجلى !

ووقف عليه آخر فقال : مالك لاتقل عضواً من أعضائك ، وقد كنت تستقل بملك العباد

وقال آخر : مالك لاترغب بنفسك عن ضيق المكان ، وقد كنت ترغب بها عن رحب البلاد

وقال آخر : أمات هذا الميت كثيراً من الناس لئلا يموت . وقد مات الآن

وقال آخر : ما كان أقبح إفراطك فى التجبر أمس ، مع شدة خضوعك اليوم

قالت بنت دارا : ماعلمت أن غالب أبى يُغلب

وقال رئيس الطباخين : قد تضدت النضائد ، وألقيت الوسائد ، ونصبت الموائد ، ولست أرى عميد المجلس !

كلمات ابن المعتز

جملة من كلام ابن المعتز فى الفصول القصار فى ذكر السلطان :

— أشقى الناس بالسلطان صاحبه ، كما أن أقرب الأشياء إلى النار أسرعها احتراقا

— لا يدرك الغنى بالسلطان إلا نفس جائعة ، وجسم تعب ، ودين منثلم

— إن كان البحر كثير الماء ، فانه بعيد الهواء ، ومن شارك السلطان فى عز الدنيا شاركه فى ذل الآخرة

— فساد الرعية بلا ملك كفساد الجسم بلا روح

— إذا زادك السلطان تأنيسا فزده إجلالا

— من صحب السلطان صبر على قسوته ، كصبر الغواص على ملوحة بحره

— الملك بالدين يبقى ، والدين بالملك يقوى

— من نصح الخدمة نصحته المجازاة

— لا تلتبس بالسلطان فى وقت اضطراب الأمور عليه ، فان البحر لا يكاد يسلم صاحبه فى حال سكونه ، فكيف عند اختلاف رياحه ، واضطراب أمواجه

العدل أساس الملك

(ومن كلام أهل العصر وغيرهم فى هذا النحو)

— الأوطان حيث يعدل السلطان

— إذا نطق لسان العدل فى دار الامارة ، فلها البشرى بالعز والامارة

— أحر بالملك العادل أن يستقل سريره فى سرة الأرض

— ريح السلطان على قوم سموم ، وعلى قوم نسيم

— أخلق بالمستخف بالجبابرة أن يكون جبارا

— من غمس يده فى مال السلطان فقد مشى بقدمه على دمه

— الملك خليفة الله فى عباده وبلاده ، ولن يستقيم أمر خلافته مع مخالفته

— الملك مع من ينشر أثواب الفضل ، ويبسط أنواع العدل

— السلطان كالنار إن باعدتها بطل نفعها ، وإن قاربتها عظم ضررها

— إقبال السلطان تعب وفتنة ، وإعراضه حسرة ومذلة

— صاحب السلطان كراكب الأسد يهابه الناس وهو لمركبه أهيب

— السلطان إذا قال لعماله هاتوا ، فقد قال لهم خذوا

— ثلاثة لاأمان لهم : السلطان ، والبحر ، والزمان

— ليكن السلطان عندك كالنار ، لاتدنو منها إلا عند الحاجة اليها ، وإن اقتبست منها فعلى حذر

مَثَل أصحاب السلطان كقوم رقوا جبلا ثم وقعوا منه ، فكان أقربهم إلى التلف أبعدهم فى الرقى

— مَثَل السلطان كالجبل الصعب الذى فيه كل ثمرة طيبة ، وكل سبع حطوم ، فالارتقاء إليه شديد ، والمقام فيه أشد

— لئن عز الملوك فى الدنيا بالجور ليذلنّ فى الآخرة

ولابن عباد الصاحب :

إذا ما ودّك السلطان زده * من التعظيم واحذره وراقب
فما السلطان إلا البحر خضما * وقرب البحر محذور العواقب

وصف جارية كاتبة

ووصف أحمد بن أبي صالح بن بشير جارية كاتبة فقال : كأن خطها أشكال صورتها ، وكأن مدادها سواد شعرها ، وكأن قرطاسها أديم وجهها ، وكأن قلمها بعض أناملها ، وكأن بنانها سحر مقلتها ، وكأن سكينها غنج لحظها ، وكأن مقطها قلب عاشقها

وصف غلام كاتب

وقال بعض الكتاب يصف غلاماً كاتباً

أنظر إلى أثر المداد بخده * كبنفسج الروض المشوب بورده
ما أخطأت نوناته من صدغه * شيئاً ولا ألفاته من قده
ألقت أنامله على أقلامه * شبهاً أراك فرندها كفرنده
وكأنما أنقاسه من شعره * وكأنما قرطاسه من خده (١)

وقال أحمد بن أبي سمرة الدارمي فيما ينظر إلى هذا من طرف خفي

رمتني ولم أسعد بأيام وصلها * بعيني مهاة أحبستني ببعدها
فعلقها قلبي كما قد تعلقت * صوالج صدغيها بتفاح خدها
فقلبيَ لمّا أضعفته كخصرها * ودمعي لمّا نظمته كعقدها
ونيل الثريا ممكن عند وصلها * وأسرع من برق تناقضُ وعدها

كتاب استنجاز

رقعة كتبها بديع الزمان إلى العميد يستنجزه : أين تكرم الشيخ العميد

(١) الأنقاس جمع نقس بكسر النون وهو الحبر

أيده الله عن مولاه ، وكيف معدله إلى سواه ، أيقصر فى النعمة ، لأنى قصرت فى الخدمة ؟ إذن فقد أساء المعاملة ، ولم يحسن المقابلة ، وعثرت فى أذيال السهو ، ولم ينعش بيد العفو ، أم يقول إن الدهر بيننا خدع ، وفيما بعده متسع ، فقد أزف رحيلى ولا ماء بعد الشط ، ولا سطح وراء الخط ، أم ينتظر سؤالى ، وإنما سألته ، يوم أملته ، واستمنحته ، يوم مدحته ، واقتضيته ، يوم أتيته ، وانتجعت سحابه ، لما قرعت بابه ، وليس كل السؤال أعطى ، ولا كل الرد أعفى ، أم يظن أيده الله تعالى انى أرد صلته ، ولا ألبس خلعته ، وهذه فراسة المؤمن إلا أنها باطلة ، ومخيلة العارف إلا أنها فاسدة . أم ليس يجد فىّ مكاناً للنعمة يضعها وأرضاً للمنة يزرعها . فلا أقل من تجربة دفعة ، والمخاطرة بانفاذ خلعة ، ليخرج من ظلمة التخمين، إلى نور اليقين . وينظر أأشكر أم أكفر ، أم يتوقع أيده الله صاعقة تملكنى ، أو بائقة تهلكنى ، فلهذا أمل موفّر ، لأن شيخ السوء باق معمّر ، أم يقدر أيده الله انى أشكره اذا اصطنع ، وأعذره إذا منع ، وتالله لو كنت ينبوع المعاذير ما حظى منها بجرعة ، فليرحنى بسرعة

أبو القاسم الهمذانى

وكتب أبو القاسم الهمذانى إلى البديع : قد طبخت لسيدى حاجة إن قضاها وأمضاها ، ذاق حلاوة العطاء ، وإن أباها وفلّ شباها لقى مرارة الاستبطاء ، فأى الجودين أخف عليه ؟ أجود بالعاق ، أم جود بالعرض ؟ ونزول عن الطريف ، أم عن الخلق الشريف ؟؟ فأجابه : جعلت فداك هذا طبيخ ، كله توبيخ ، وثريد ، كله وعيد ، ولقم ، إلا أنها نقم ، ولم أر قدراً أكثر منها عظما ، ولا آكلا أكثر منى كظما . ولم أر شربة أمر منها طعما ، ولا شارباً أتم منى حلماً ، ما هذه الحاجة . ولتكن حاجتك من بعدُ ألينَ جوانب ، وألطفَ مطالب ، ترافق قضاها ، وتوافق ارتضاها ، إن شاء الله تعالى .

المقامة البخارية

وفى مقامات أبى الفتح الاسكندرى من إنشائه قال :

حدثنا عيسى بن هشام قال : أحلنى جامع بخارى يوم ، وانتظمت مع رفقة فى سمط الثريا ، وحين احتفل الجامع بأهله طلع علينا ذو طمرين (١) قد أرسل صواناً ، واستتلى طفلا عريانا (٢) يضيق بالضر ويسعه ، ويأخذه القر ويدعه (٣) لا يملك لقشره بردة ، ولا يلتقى لَحْياه رعدة (٤) ووقف الرجل وقال : لا ينظر لهذا الطفل إلا من رحم طفله ، ولا يرق لهذا الضر إلا من لا يأمن مثله ، يا أصحاب الخزوز المفروزة ، والأردية المطروزة والدور المنجَّدة ، والقصور المشيَّدة ، إنكم لم تأمنوا حادثاً ، ولن تعدموا وارثاً ، فبادروا الخير ما أمكن ، وأحسنوا مع الدهر ما أحسن ، فقد والله طعمنا السكباج (٥) وركبنا الهملاج (٦) ولبسنا الديباج ، وافترشنا الحشايا بالعشايا (٧) فما راعنا إلا هبوب الدهر بغدره ، وانقلاب المجن لظهره ، فعاد الهملاج قَطوفا (٨) وانقلب الديباج صوفا ، وهلم جرا إلى ما يُشاهد من حالى وزيى ، فها نحن نرضع من الدهر ثدى عقيم ، ونركب من الفقر ظهر بهيم ، ولا نرنو إلا بعين اليتيم ، ولا نمد إلا يد الغريم ، فهل من كريم يجلو عنا غياهب هذه البؤوس ، ويفل شبا هذه النحوس (٩) ثم قعد مرتفعاً وقال للطفل : أنت وشأنك (١٠) فقال وماعسى أن أقول ، وهذا الكلام

---

(١) الطمر : الثوب البالى (٢) الصوان : وعاء الثوب يحفظ فيه ، واستتلى : استتبع خلفه (٣) القر : البرد (٤) لحياه : فكاه (٥) السكباج : لحم يطبخ بالخل وقد يضاف إليه الزعفران (٦) الهملاج : الدابة الحسنة السير فى رفق

(٧) الحشايا : جمع حشية وهى الأريكة ، والعشايا جمع عشية (٨) القطوف : الدابة البطيئة السير (٩) الشبا جمع شباة وهى حد النصل أو ظبة السنان

(١٠) أى تكلم عن نفسك .

لو لقى الشعر لحلقه ، أو الصخر لفلقه ، وإن قلبا لم ينضجه ماقلت لغبيٌّ ! قد سمعتم ياقوم ، مالم تسمعوا قبل اليوم ، فليشغل كل منكم بالجود يده ، وليذكر غده ، واقيا بى ولده ، واذكرونى أذكركم ، وأعطونى أشكركم !

قال عيسى بن هشام : فما آنسنى فى وحدتى الاخاتم ختمت به خنصره ، فلما تناوله أنشأ يقول :

ومنطق من نفسهِ * بقلادة الجوزاء حسنا
كتيم لقى الحيد * ب فضمه شغفاً وحزناً
متألفاً من غير أسـ * ـرته على الأيام خِدنا
عِلق سنىٌّ قدرهُ * لكنٌّ من أهداه أسنى
أقسمت لو كان الورى * فى المجد لفظا كنت معنى

قال عيسى بن هشام : فتبعته حتى أسفرت الخلوة عن وجهه ، فاذاهو والله شيخنا الاسكندرى ، وإذا الصبي غلام له . فقلت :

أبا الفتح شبت وشبَّ الغلام * فأين الكلام ، وأين السلام ؟

فقال : غريبان جمعتنا الطريق ، وأليفان نظمتنا الخيام . فعلمت أنه كره لقائى فتركته وانصرفت .

وصف فص

وقال أبو الفتح كشاجم يصف فصا :

ساجل بفصك من أردت وباههِ * فكفى به كمداً لقلب الحاسدِ
متألق فيه الفرند كأنهُ * وجهى غداة ندًى وضيف قاصد
لو أن ظمآى منه عُلّت لارتوت * من ماء جوهره المعينِ الباردِ
بهر العيون إضاءةً فى رقةٍ * فكأننى متختم بعُطاردِ

وصف خاتم

وقال بعض المحدثين يصف خاتما :

وحيد الكيان صيغ بديعاً * فاذا تم صيغ من جوهرين
خلعت خجلة الخدود عليه * خلعاً قد لبسن فوق اللجين
فاذا ما رأيته فى بنان * قد كساها من حسنه حلتين
قلت نجم هوى من الجو حتى * صار بحراً مروجه فى اليدين

استهداء فص

وقال البحترى يستهدى المعتز فصا :

فهل أنت يا بن الراشدين مختمى * بياقوتة تبهى على وتشرق
يغار احمرار الورد من حسن صبغها * ويحكيه جادى الرحيق المعتق
اذا برزت والشمس قلت تجاريا * الى مدد أو كادت الشمس تسبق
اذا التهبت فى اللحظ ضاهى ضياؤها * جبينك عند الجود إذ يتألق
أسربل منها ثوب فخر معجل * فيبقى بها ذكر على الدهر مخلق

وصف الشفاه اللعس

وعلى ذكر الخاتم قال أبو الفتح كشاجم :

عرضن فعرضن القلوب من الهوى * لأسرع من كى القلوب على الجمر
كأن الشفاه اللعس منها خواتم * من التبر مختوم بهن على الدر

سحر الألحاظ

وقال الناظم :

يروع مناجيه بهاروت لحظه * ويؤنسه منه بصورة آدم
ترى فيه لاماً فردة فوق وردة * وفصامن الياقوت من فوق خاتم

الـكلام والسكوت

وقال أبو تمـام الطائى : تذاكرنا فى مجلس سعيد بن عبدالعزيز الكلام وفضله ، والصمت ونبله ، فقال : ليس النجم كالقمر ، انك انمـا تمدح السكوت بالـكلام ، ولا تمدح الـكلام بالسكوت ، ومن أنبأ عن شىء فهو أكبر منه .

قال الجاحظ : كيف يكون الصمت أنفع من الكلام ، ونفعه لا يكاد يجاوز صاحبه . ونفع الـكلام يعم ويخص ، والرواة لم ترو سكوت الصامتين ، كما روت كلام الناطقين ، فبالـكلام أرسل الله تعـالى أنبياءه لا بالصمت ، ومواضع الصمت المحمودة قليلة ، ومواطن الـكلام المحمودة كثيرة ، وبطول الصمت يفسد البيان .

وكان يقال : محادثة الرجال تلقيح لألبابها

وذكر الصمت فى مجلس سليمان بن عبد الملك فقال : من تكلم فأحسن قدر أن يسكت فيحسن ، وليس من سكت فأحسن يتكلم فيحسن .

قال بعض النساك : أسكتتنى كلمة ابن مسعود عشرين سنة وهى : من كان كلامه لا يوافق فعله فانمـا يوبخ نفسه .

الحنين إلى الوطن

قال أبو عمرو بن العلاء : ممـا يدل على حرية الرجل ، وكرم غريزته ، حنينه إلى أوطانه ، وتشوقه إلى متقدم اخوانه ، وبكاؤه على ما مضى من زمانه .

وقالوا : الكريم يحن إلى جنابه ، كما يحن الأسد إلى غابه .

وقالوا : يشتاق اللبيب الى وطنه كما يشتاق النجيب الى عَطَنه (١) .

(١) العطن : وطن الابل ومبركهـا حول الحوض

(ألفاظ لأهل العصر فى ذكر الوطن)

— بلد لا تؤثر عليه بلداً ، ولا تصبر عنه أبداً

— هو عشه الذى فيه درج ، ومنه خرج ، مجمع أسرته ، ومقطع سرته

— بلد أنشأته تربته ، وغذاه هواؤه ، ورباه نسيمه ، وحُلت عنه التمائم فيه

دار ابن الرومى

قالوا : وكان الناس يتشوقون إلى أوطانهم ، ولا يفهمون العلة فى ذلك ، حتى أوضحها على ابن العباس الرومى فى قصيدة لسليمان بن عبدالله بن طاهر يستعديه (١) على رجل من التجار ، يعرف بابن أبى كامل أجبره على بيع داره واغتصبه بعض جدرها ، بقوله

ولى وطن آليت أن لا أبيعه * وأن لا أرى غيرى له الدهر مالكا
عمَرت به شرخ الشباب منعّماً * بصحبة قوم أصبحوا فى ظلالكا (٢)
وحبّب أوطانَ الرجال إليهمُ * مآرب قضاها الشباب هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم * عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا
فقد ألفته النفس حتى كأنه * لها جسد إن بان غودر هالكا

يقول له فيها :

فقد عزنى فيها لئيم وسامنى * فقال لىَ اجهد فى جهد احتيالكا (٣)
وما هو إلا نسجك الشعر ضلةً * وما الشعر إلا ضلة من ضلالكا
بصيرٌ بتسآل الملوك ولم يكنْ * يغار على الأحرار مثل سؤالكا
وإنى وإن أضحى مدلاً بماله * لآمل أن أضحى مدلا بمالكا
فان لم تصبنى من يمينك نعمةٌ * فلا تخطئنه نقمة من شمالكا
فكم لقى العافون بدءا وعودةً * نوالك والعادون غمر نكالكا

(١) يستعديه : يستنصره (٢) شرخ الشباب : أوله (٣) عزنى فيها : غلبنى عليها .

السر فى حب الوطن

وقال على بن عبد الكريم النصيبى : أتانى أبو الحسن بن الرومى بقصيدته هذه وقال : أنصفنى ، وقل الحق : أيهما أحسن قولى فى الوطن أو قول الاعرابى

أحبُّ بلاد الله مابين منعجٍ * إلىّ وسلمى أن يَصُوب سحابها(١)
بلاد بها نيطتْ على تمائمى * وأول أرض مسّ جلدى ترابها

فقلت : بل قولك ، لأنه ذكر الوطن ومحبته ، وأنت ذكرت العلة التى أوجبت ذلك . وقال ابن الرومى أيضاً يتشوق إلى بغداد ، وقد طال مقامه بسر من رأى :

بلدٌ صحبت به الشبيبة والصبا * ولبست ثوب العيش وهو جديد
فاذا تمثل فى الضمير رأيته * وعليه أغصان الشباب تميد

وقال أبو العباس بن عماد : ولما احتفل القائل فى هذا المعنى السابق إليه قال

بلاد بها حل الشباب تمائمى

وقد تقدم . وإذا كانت تمائمه قطعت بأبرق العَزّاف(٢) وكان التراب الذى مس جلده تراب جزيرة سيراف(٣) وجب أن يحن اليه حنين المتأسفين على

---

(١) منعج : واد يصب من الدهناء ، وقبل هذا البيت :

ألم تعلمى يا دار ملحاء أنه * إذا أخصبت أو كان جدبا جنابها

(٢) العزاف : جبل من جبال الدهناء ، وقيل : رمل لبنى سعد جاء ذكره فى قول جرير :

حى الديار التى شبهتها خللا * أو منهجا من يمان مح ملبوس
بين المحيصر والعزاف منزلة * كالوحي من عهد موسى فى القراطيس

وإنما سمى العزاف ، لأنهم يسمعون به عزيف الجن . وهو صوتهم (٣) سيراف : مدينة على ساحل بحر فارس كانت قديما فرضة الهند ، وإليها ينسب أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافى النحوى

غُوطة دمشق (١) وقصور مدينة السلام (٢) ونجف الجزيرة (٣) ومستشرف الخورنق (٤) وجوسق سر من رأى (٥) لما بعدوا عنها، وطال مقامهم بغيرها، كلا ولكن هذا الرجل علم أن الحنين الى الأوطان لما تذكر من معاهد اللهو فيها، بجدة الشباب الذى ذكر أن غول سكرته يغطى على مقدار فضيلته فى قوله:

لاتلح من يبكى شبيبته * إلا إذا لم يبكها بدم
عيب الشبيبة غول سكرتها * ومدار مافيها من النعم
لسنا نراها حق رؤيتها * إلا أوان الشيب والهرم
كالشمس لاتبدو فضيلتها * حتى تغشّى الأرض بالظلم

---

(١) غوطة دمشق: هى إحدى الجنان الأربع. فى عرف المتقدمين، وهى الصغد والأبلة وشعب بوان، وأجلها الغوطة. (٢) مدينة السلام: بغداد.

(٣) النجف كما قال ياقوت، عينان يقال لاحداها الربض، وللأخرى النجف، تسقيان عشرين ألف نخلة، قال بعض أهل الكوفة:

وبالنجف الجارى إذا زرت أهله   مهى مهملات ما عليهن سائس
خرجن بحب اللهو فى غير ريبة   عفائف باغى اللهو منهن آيس
يردن إذا ما الشمس لم يخش حرها   ظلال بساتين جناهن يابس
إذا الحر آذاهن لذن بفيئة   كما لاذ بالظل الظباء الكوانس

(٤) الخورنق: قصر كان بظهر الحيرة، أمر ببنائه فيما يقال النعمان بن امرىء القيس، بناه له رجل من الروم فى ستين سنة واسمه سنمار، وقد أهلكه النعمان، فى حديث طويل (٥) الجوسق: القصر، وسر من رأى مدينة بناها المعتصم بين تكريت وبغداد على شرقى دجلة، وتسمى سامراء، وسامرا، بالقصر والمد، وسر من رأى وسر من را قال ابن المعتز:

قد أقفرت سر من را   وما لشىء دوام
فالنقض يحمل منها   كأنها آجام
ماتت كما مات فيل   تسل منه العظام

ولرب شيء لا يسر به * وجدانه إلا مع العدم

أخذه من قول الطائي :

راحت وفود الأرض عن قبره * فارغة الأيدى مِلاء القلوب
قد علمت ما رزئت إنما * يعرف فقد الشمس بعد الغروب

أخذ ابن الرومى معانى الشعراء

وأخذ ابن الرومى قوله فى صفة الوطن من قول بشار :

متى تعرف الدار التى بان أهلها * بسعدى فان العهد منك قريبُ
تذكرك الأهواء إذ أنت يافعٌ * لديها فمغناها لديك حبيب

أو من قول بعض الاعراب :

ذكرت بلادى فاستهلت مدامعى * لشوقى الى عهد الصبا المتقادم
حننت الى أرض بها اخضر شاربى * وقطع عنى قبل عقد التمائم

وأنشد ثعلب لرجاء بن هرون العسلى :

أحن إلى وادى الاراك صبابة * لعهد الصبا فيه وتذكار أولى (١)
كأن نسيم الريح فى جنباته * نسيم حبيب أو لقاء مؤمَّل

قال أبو بكر الصولى : ولست أشك أنه من قول رجاء أخذ ، وبه ألم ، وعليه عوَّل ، لأنه فى تناوله المعنى غريب الأخذ ، عائر السهم (٢) لا يعارض معنى معروفاً إذا أنشد علم الناس انه معدنه الذى انتحته منه

---

(١) وادى الأراك : قريب من مكة ، قالت امرأة من غطفان :

إذا حنت الشقراء هاجت لى الهوى   وذكرنى أهل الأراك حنينها
شكوت إليها نأى قومى وبعدهم   وتشكو إلىّ أن أصيب جنينها

(٢) عائر السهم : العائر من السهام : ما لا يدرى راميه .

لطف السرقة

وقد اختلِس معنى قول ابن الرومى :

فقد ألفته النفس حتى كأنه * له جسد إن بان غودر هالكا

أخذه على بن محمد الإيادى وقال فأحسن الأخذ ولطف السرقة :

بالجزع فالخبتين كانت لنا * ذات ليال قد تولت قصار (١)

بانوا فما بنتُ أسى بعدهم * وانما الناس نفوس الديار

رقة الحنين

وقال أعرابى :

أيا حبذا نجد وطيب ترابه * تصافحه أيدى الرياح الغرائب

عهودٌ لنا فيه ينازعك الهوى * بذلك أتراب عذاب المشارب

تنال المنى منهن فى كل مشرب * عذاب الثنايا باردات النوائب (٢)

وقال ابن ميادة يخاطب الوليد بن يزيد

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلةً * بحرة ليلى حيث ربينى أهلى (٣)

بلاد بها نيطت علىَّ تمائمى * وقطعن عنى حين أدركنى عقلى

فان كنت عن تلك المواطن مانعى * فأقتر علىَّ الرزق واجمع بها شملى

وقال سواد بن الضرير ، ورويت لمالك بن الريب

سقى الله اليمامة من بلادٍ * نوافجها كأرواح الغوانى (٤)

---

(١) الجزع : اسم لعدة مواطن وهو فى الأصل منعطف الوادى ، والخبتان مثنى خبت وهو اسم لعدة مواطن ، وهو فى الأصل الوادى العميق الوطيء ، تنبت فيه العضاه (٢) النوائب : هنا بمعنى الانياب (٣) حرة ليلى : من وراء وادى القرى من جهة المدينة وفيها نخل وعيون (٤) النوافج : جمع نافجة وهى السحابة الكثيرة المطر . وهى كذلك وعاء المسك والريح تبدأ بشدة

وجوٌ أزاهر للريح فيهِ * نسيم لايروع الترب وانى
بهِ سُقت الشباب الى مشيبٍ * يقبح عندنا حسن الزمان

وقال أعرابى :

أقول لصاحبي والعيس تهوى * بنا بين المُنيفة فالضمار (١)
تمتع من شميم عرار نجدٍ * فما بعد العشية من عرارِ (٢)
ألا ياحبذا نفحات نجد * وريّا روضه غِب القِطار (٣)
شهور ينقضين وماشعرنا * بأنصاف لهن ولا سِرار (٤)

وهذا البيت كقول الآخر

سقى الله أياماً لنا قد تتابعتْ * وسَقياً لعصر العامرية من عصر
ليالىَ أعطيت البطالة مقودى * تمر الليالى والشهور ولاأدرى

سليمان بن عبدالله بن طاهر

وتخلف سليمان عن نصرة ابن الرومى فذاك الذى هاجه على هجائه ، فمن ذلك قوله وقد خرج فى بعض الوجوه فرجع مهزوماً

جاء سليمان بنى طاهرٍ * فاجتاح معتز بنى المعتصم
كأن بغداد وقد أبصرت * طلعته نائحة تلتدم (٥)
مستقبل منه ومستدبر * وجه بخيل وقفا منهزم

وقال :

قرْن سليمان قد أضرّ به * شوقٌ إلى وجهه سيتلفهُ
كَم بعد القِرن باللقاءِ وكم * يكذب فى وعده ويخلفهُ

(١) المنيفة : ماء لتميم . والضمار موضع بين نجد واليمامة . (٢) العرار : ورد أصفر طيب الرائحة (٣) الريا : الرائحة ، وغب القطار : عقب المطر ، و بعد هذا البيت

وأهلك إذ يحل الحى نجدا وأنت على زمانك غير زار

وغير زار : غير عاتب (٤) السرار مستهل الشهر أو آخره . (٥) تلتدم تضرب وجهها

لايعرف القِرن وجهه ويرى * قفاه من فرسخ فيعرفهُ

من القفا يعرف الجبان

وقد اختلس هذا المعنى من قول بعض الخوارج وقد قال له أبو جعفر المنصور أخبرنى أى أصحابى كان أشد إقداماً فى مبارزتك ، فقال ماأعرف وجوههم ، ولكننى أعرف أقفاءهم ، فقل لهم يدبروا أعرّفك

موالى ابن الرومى

وفى هــذه المنازعة يقول ابن الرومى لمواليه بنى هاشم وكان مولاه عبيد الله بن عيسى بن جعفر بن المنصور

تخذتُكم دِرعا علىّ لتدفعوا * نبال العدى عنى فكنتم نصالها
وقد كنت أرجو منكم خير ناصر * على حين خذلان اليمين شمالها
فان كنتمو لم تحفظوا لى مودة * ذماماً فكونوا لاعليها ولا لها
قفوا موقف المعذور عنى بمعزل * وخلوا نبالى والعدا ونبالها

وصف الأزمنة والأمكنة

ألفاظ لأهل العصر فى وصف الأمكنة والأزمنة :

— بلدة كأنها صورة جنة الخلد ، منقوشة فى عرض الأرض .

— بلدة كأن محاسن الدنيا مجموعة فيها ، ومحصورة فى نواحيها .

— بلدة كأن ترابها عنبر ، وحصباءها عقيق ، وهواءها نسيم ، وماءها رحيق .

— بلدة معشوقة السكنى ، رحبة المثوى ، كوكبها يقظان ، وجوها عُريان وحصباؤها جوهر ، ونسيمها معطر ، وترابها مسك أذفر [١] يومها غداة ،

(١) أذفر : جيد إلى الغاية

وليلها سحر ، وطعامها هنيء ، وشرابها مريء .

— بلدة واسعة الرقعة ، طيبة البقعة ، كأن محاسن الدنيا عليها مفروشة ، وصورة الجنة فيها منقوشة ، واسطة البلاد وسرتها ، ووجهها وغرتها .

ولهم فى ضد ذلك :

— بلد متضايق الحدود والأفنية [١] متراكب المنازل والأبنية .

— بلد حرها مؤذ ، وماؤها غير مغذ ، وسخة السماء ، رمدة الهواء ، جوها غبار ، وماؤها طين ، وترابها سرجين [٢] ، وحيطانها نزوز ، وتشرينها تموز [٣] ، فكم فى شمسها من حرق ، وفى ظلها من عرق .

— بلدة ضيقة الجوار ، سيئة الديار ، حيطانها أخصاص ، وبيوتها أقفاص ، وحشوشها مسايل ، وطرقها مزابل .

صفات الحصون والقلاع

ولهم فى صفات الحصون والقلاع :

حصن كأنه على مرقب النجم ، يحسر دونه الناظر ، ويقصر عنه العُقاب الكاسر ، يكاد من علاه يغرق فى حوض الغمام .

— حصن امتطى الجوزاء ، وناجت أبراجه بروج السماء .

— قلعة حلقت بالجو تناجى السماء بأسرارها .

— قلعة يعدو فى السماء مرتقاها ، حتى تساوى ثراها مع ثرياها .

— قلعة تتوشح بالغيوم ، وتجتلى النجوم .

— قلعة عالية على المرتقى ، صمة عن الراقى ، قد جازت الجوزاء سَمْتاً ، وعزلت السماك الأعزل سمكا . متناهية فى الحصانة ، موصوفة بالوثاقة ، ممتنعة عن الطلب والطالب ، منصوبة على أضيق المسالك وأوعر المناصب

---

(١) الأفنية جمع فناء وهو الرحبة (٢) السرجين روث الدواب (٣) تشرين وتموز من أسماء الشهور السريانية

لم تزدها الأيام إلا نبوّ أعطاف، واستصعاب جوانب وأطراف، قد مل الولاة حصارها، ففارقوها عن طموح منها وشماس، وسئمت الجيوش ظلها فغادرتها بعد قنوط وياس، فهي حمّى لا يراع، ومَعْقِل لا يُستطاع، كأن الأيام صالحتها على الإعفاء من الحوادث، والليالي عاهدتها على التسليم من القوارع.

— قلعة تحوى من الرفعة قدراً لا تستهان مواقعه، وتلوى فى المنعة جيداً لا تستلان أخادعه (١) ليس للوهم قبل القدم إليها مسرى، ولا للفكر قبل الخطر مجرى.

صفات الدور والقصور

ولهم فى صفات القصور والدور:

— قصر كأن شرفاته بين النسر والعيّوق (٢) كأنه يسامى الفرقد، وقد اكتست له الشِّعرى العَبور (٣)، ثوب الغيور

— قصر طال مبناه، وطاب مغناه، كأنه فى الحصانة جبل منيع (٤) وفى الحسن ربيع مريع (٥)

---

(١) الأخادع: جمع أخدع وهو شعبة من الوريد

(٢) النسر كوكبان: الواقع والطائر، والعيوق نجم أحمر يضيء فى طرف المجرة الأيمن يتلو الثريا لا يتقدمها (٣) الشعرى العبور: نجم ومثلها الشعرى الغميصاء. ومن أحاديث العرب أن الشعرى العبور قطعت المجرة فسميت عبورا، وبكت الأخرى على أثرها حتى غمصت عينها فقيل لها الغموص والغميصاء. قال فى الأساس وتقول قد يقع بين الأخوين من الخلصاء، ما وقع بين الشعريين: العبور والغميصاء. والشعرى العبور يضرب بها المثل فى الحسن، قال بعض الأعراب

ألا قالت بهيثة ما لنفر   أراه غيرت منه الدهور
وأنت كذاك قد غيرت بعدى   وكنت كأنك الشعرى العبور

(٤) الحصانة الامتناع، ومنه المحصنات لاعتصامهن بالعفاف (٥) المريع: الخصيب

— شرفات كالعذارى شددن مناطقها [١] وتوجن بالأكاليل مفارقها [٢]

— قصر أقرت له القصور بالقصور ، كأنه سحاب في بحر السحاب . دار قرار توسع العين قرة [٣] والنفس مسرة . كأن بانيها استسلف الجنة فعجلت له

— دار تخجل منها الدور ، وتتقاصر عنها القصور ؛ إن مات صاحبها مغفوراً له فقد انتقل من جنة إلى جنة . دار قد اقترن اليمن بيمناها ، واليسر بيسراها ، الجسوم منها فى حضر ، والعيون على سفر [٤]

— دار هي دارة المحاسن [٥]

— دارٌ دارَ بالسعد نجمها ، وفاز بالحسن سهمها

— دار يخدمها الدهر ، ويأويها البدر ، ويكنفها النصر ، هى مرتع النواظر ، ومتنفس الخواطر

— دار قد أخذت أدوات الجنان ، وضحكت على العبقرى الحسان

رسائل الميكالى

—١—

(فصل) لأبى فضل الميكالى إلى بعض إخوانه

ما ابتدأت بمخاطبة سيدى حتى سرت المسرة فى نفسى ، وقويت أركان بهجتى وأنسى ، وحتى أقبلت وجوه الميامن تتهلل إلىّ ، وبدَر المساعدة تنثال علىّ وكيف لا يهزنى النشاط والمرح ، وقد زففت ودى إلى كفء كريم ، وعرضته لحظ من الجمال جسيم ، وأرجو أن يرد منه على حسن قبول وإقبال ، ويُحفى من ارتياحه له ببرد اشتمال [٦] ويصان من اهتزازه وانتشائه ، وعمارته وانمائه ، وتحصين أطرافه ، من شوائب الخلل ، وشوائن الوهن والميل ،

(١) المناطق جمع منطقة وهى ماينتطق به (٢) المفارق جمع مفرق وهو موضع فرق الشعر (٣) القرة : الغبطة (٤) يريد أنها واسعة الأرجاء .
(٥) الدارة : هالة القمر . (٦) يحفى : يكرم

ما تستحكم به مرائر الوصال [١] وتؤمن على قواعدها عوادى الانتقاض والانحلال

— ٢ —

(وله) إذا لم يؤت المرء فى شكر المنعم إلا من عظم قدر الانعام والاصطناع واستغراقه منه قوى الاستقلال والاضطباع (٢) فليس عليه فى القصور عن كنه واجبه عتب ، ولا تلحقه فيه نقيصة ولا عيب . ولئن ظهر عجزى عن حق هذه النعمة فانى أحمل حسن الثناء على من لا يعجزه حمله ، ولا يؤوده ثقله ، ولا يزكو الشكر إلا لديه ، ولا تصرف الرغبة إلا إليه ، والله يبقيه لمجدٍ يقيم أعلامه ، وفضلٍ يقضى ذِمامه ، وعُرْفٍ يثبت أقسامه ، وولىّ يوالى إكرامه ، وعدوٍ يديم قمعه وإرغامه

— ٣ —

(وله)— لو وفيت هذه النعمة الجسيمة حقها ، لمشيت إلى حضرته آنسها الله تعالى حبواً على القدم ، ولآثرت فيه خدمة السلطان على خدمة القلم ، ولما رضيت له بباعى القصير ، وعبارتى الموسومة بالعجز والقصور ، حتى أستعين فيه ألسنة تحمل شكراً وثناء ، وتوسع نثراً ودعاء ؛ ثم لا أكون بلغت مبلغاً كافياً ، ولا أبليت عذراً شافياً ، إلا إن عدم الاذن ثبطنى عن مقصود الغرض ، وعاقنى عن الواجب المفترض ، فأقمت عاكفاً على دعاء أرفعه إلى الله عز وجل مبتهلا ، وأوصله مجتهداً فى اقامته آناء ليلى ونهارى محتفلا

— ٤ —

(وله) أحق النعم بالزيادة نعمة لم تزل اليها الأعناق مستشرفه ، والقلوب إليها متشوفه ، والأيام بها واعدة ، والاقدار فيها مساعدة ، حتى استقرت

---

(١) المرائر : جمع مريرة وهى الحبل المفتول . (٢) الاضطباع . النهوض .

فى نصابها ، وألقت عصى اغترابهـا (١) ، فهى للنماء والزيادة مترشـحة ، وبالعز والسعادة متوشحة ، وبالادعية الصالحة مستدامة مرتهنة ، وباتفاق الـكلمة والأهواء عليها مرتبطة محصنة

— ٥ —

وله فصل من كتاب تعزية بالأمير ناصر الدين :

أقدار الله تعالى فى خلقه لم تزل تختلف بين مكروه ومحبوب ، وتتصرف بين موهوب ومسلوب ، غادية أحكامها مرةً بالمصائب والنوائب ، ورائحة أقسامها تارة بالعطايا والرغائب ، ولكن أحسنها فى العيون أثراً ، وأطيبها فى الأسماع خبرا ، وأحراها بأن تكسب القلوب عزاء وتصبرا ، ما إذا انطوى نشر ، وإذا انكسر جبر ، وإذا أخذ بيد رُدَّ بأخرى ، وإذا وُهب بيمنى سُلب بيسرى ، كالمصيبة بفلان التى قرحت الأكباد ، وأوهنت الأعضاد ، وسودت وجوه المكارم والمعالى ، وصورت الأيام فى صور الليالى ، وغادرت المجد وهو يلبس حداده ، والعدل وهو يبكى عماده ، والدين وهو يعزى عباده ، حتى اذا كاد اليأس يغلب الرجاء ، ويرد الظنون مظلمة النواحى والأرجاء ، قيض الله تعالى من الأمير الجليل من اجتمعت عليه الأهواء ، ورضيت به الدهماء (٢) فآسى به حادث الكَلْم (٣) وسد بمكانه عظيم الثَّلْم (٤)

(١) يقال ألقى عصا الاغتراب ، وألقى عصـا التسيار : إذا استراح ، قال أبو محلم الشيبانى :

عسى جود عبدالله أن يعطف النوى فتمسى عصا التسيار وهى طريح

وهذا البيت من قصيدة بديعة تجدها برمتها فى نوح الحمام من كتاب «مدامع العشاق »

(٢) الدهماء : الكافة (٣) الكلم : الجرح (٤) الثلم : الكسر .

ورد الآمال والنفوس قد استبدلت بالحيرة قوة وابتدارا ، وصارت للدولة المباركة أعواناً وأنصارا .

شعر الميكالى

ومن شعره فى تجنيس القوافى بمعان مختلفة قوله :

إذا لم تكن لمقال النصيح * سميعاً ولا عالماً أنت به
سينبهك الدهر من رقدة الـــملاهى وإن قلت لا أنتبه

وقال :

تفرق الناس من أرزاقهم فِرَقاً * فلابس من ثَراء المال أو عار
كذا المعايش فى الدنيا وساكنها * مقسومة بين أوعاث وأوعار(١)

وقال :

حوى القِدّ عمراً فقلت اعتقد * رضاً بالقضاء ولا تحتقد (٢)
فإما احتقدت قضاء الالـه * فأقبحْ بمحتقد تحت قِد

وقال :

تمت محاسنه فما يزرى بها * مع فضله وسخائه وكماله
إلا قصور وجوده عن جوده * لا عون للرجل الكريم كماله
انصر أخاك إذا اجتداك فراسة * وإذا استغاثك واثقاً بك ماله (٣)

وقال أيضاً :

إنى تغذيت صدر يومى * ثم تأذيت بالغداء

---

(١) الأوعاث : جمع وعث وهو المكان السهل تغيب فيه الأقدام ، والأوعار جمع وعر وهو ضد السهل

(٢) القد هو السير يقد من جلد غير مدبوغ ، والمراد ما يربط به الأسير والسجين (٣) ماله : مالئه وانصره

فقلت إذ مسنى أذاهُ * أرى غدائى أراغ دائى(١)

وله فى هذا :

لنا صديق يجيد لقما * راحته فى أذى قفاهُ
ما ذاق من كسبه ولكنْ * أذى قفاه أذاق فاه

وقال يهجو رجلا :

يريد يوسع فى بيته * ويأبى له الضيق فى صدرِه
فتى سخط النصب فى قِدرِه * كما رضى الخفض فى قدرِه
يخدّر أوصال أضيافهِ * ولا يبرز الخبز من خدره

وقال فى غير هذا المذهب يصف كتاباً ورد عليه :

قد أتانا من صديق كلام * كلآل زانهن نظام
فسرى فى القلب منى سرور * مطرب يعجز عنه المدام
مثل ما يرتاح رب بنات * حوله من عجبهن زحام
فرعى الله طويل حياة * خلفا من نسله لا يذام
وأتاه بعد يأس بشير * قال يابشراى هذا غلام

وصف الشمع

وقال يصف الشمع :

وليل كلون الهجر أو ظلمة الحبر * نصبنا لراعيه عمودا من التبر
يشق جلابيب الدجى فكأنما * بدا بين أيدينا عمود من الفجر
يحاكى رُواء العاشقين بلونهِ * وذوّب حشاه والدموع التى تجرى
خلا أن جارى الدمع ينحله قوى * وعهدى بدمع العين ينحل إذ يجرى
تبدّى لنا كالغصن قداً وفوقه * شعاعٌ كأنا منه فى ليلة القدر

(١) أراغ : حرك وهاج

تحمّل نورا حتفه فيه كامن * وفيه حياة الأنس واللهو لو يدرى
إذا ما علته علة حُزّ رأسهُ * فيختال فى ثوب جديد من العمر

وقال :

يا رب غصن نَوره * يزرى بنور الشفقِ
يظل طول عمرهِ * يبكى بجفن أرِقِ
نار المحب فى الحشا * وناره فى المفرق
لاح لنا فى مغربٍ * فردّنا فى مشرِق

وقال :

وقضيب من بنات النحل فى قدّ الكعاب
يشبه العاشق فى لو * نٍ ودمع ذى انسكاب
كُسِيَ الباطن منهُ * وهو عريان الاهابِ (١)
فاذا ما أنعم الأبدان ملبوس الثياب
فهو للشقوة منا * فى بلاء وعذاب

وقال كشاجم يصف شمعاً أهداها إلى بعض الملوك :

وصفر من بنات النّحل تكسى * بواطنها وأظهرها عوار
عذارى يُفتضضن من الأعالى * إذا افتضت من السّفل العذارى
وأمست تنتج الأضواء حتى * تلقّح فى ذوائبها بنار
كواكب لسن عنك بآفلات * إذا ما أشرقت شمس العقار
بعثت بها إلى ملك كريم * شريف الأصل محمود النّجار (٢)
فأهديت الضياء بها إلى من * محاسنه تضىء لكل سار

وقال :

يتنق الفتى بخلاف كل معاندٍ * يؤذيه حتى بالقذى فى مائه

(١) الاهاب : الجلد (٢) النجار : الأصل

يقذى إذا أصغى الاناء لشربهِ * ويروغ عنه عند سكب اناتهِ (١)

وقال :

أطالب أيامى بانجاز موعدى * وها هى تلوى بالوفاء وتجمح
أقول عساها أن تلين لمطلبي * قليلا فبعد الترك بالمن تسمح

وقال :

أرى وصالك لا يصفو لآملهِ * والهجر يتبعه ركضاً على الأثر
كالقوس أقرب سهميها إذا عطفت * عليه أبعدها من منزع الوتر

وصف رجل متلون

أخذ هذا من قول ابن الرومى وذكر رجلا متلونا

رأيتك بينا أنت خل وصاحبٌ * إذا بك قد وليّتنا ثانياً عِطفا
وأنك إذا أحنى حنوّك مُوجبٌ * بعاداً لمن بادلته الود واللطفا
لكالقوس أحنى ماتكون اذا انحنت * على السهم أنأى ماتكون له قذفا

وله فى نحو ذلك

توددت حتى لم أجد متودداً * وأتعبت أقلامى عناء مرددا
كأنىَ أستدعى لك ابن حنيّةٍ * إذا النزع أدناه من الصدر أبعدا (٢)

آل ميكال

وذكر عمر بن على بن محمد المطوعى أبا الفضل الميكالى فى كتاب ألفه فى منظومه ومنثوره فقال :

قد أصبحت حضرته لازالت أرجة الارجاء بطيب شمائله ، أريضة الرياض عند صوّب أنامله (٣) موسم الآمال ، ومحط الرحال ، وبعداه

(١) أصغى الاناء : أماله (٢) الحنية : القوس (٣) أريضة : معجبة للعين . وصوب الأنامل انهلالها بالجود

أحرار الكلام (١) ، كما خدمته أحرار الكلام ، وأطاعه المعانى والمعالى ، كما أطاعه صرف الأيام والليالى ، فهو أدام الله تمكينه شهاب المجد الذى لايخبو واقده ، روض الكرم الذى لا يجدب رائده ، إن أردت البلاغة فهو مالك عنانها ، وفارس ميدانها ، وناظم درها ومرجانها ، وصائغ لجينها وعقيانها ، وإن أردت السماحة فهو محلها ومكانها ، وتاريخها وعنوانها ، ويدها ولسانها وحدقتها وإنسانها ، وحديقتها وبستانها ، وإن أردت شرف الأصل والنسب والجمع بين الموروث من المجد والمكتسب ، فناهيك بأوائله شرفاً سابقاً ، وفضلا باسقا (٢) ومجدا فى ملك الفخر سامقاً (٣) فهو ابن الجحاجحة الغر (٤) والكواكب الزهر ، ومن بهم يفتخر الفخر ، ويتشرف الدهر ، زاحموا مناكب الكواكب من بعد أقدارهم ، وصكوا فرق الفرقد وصدر البدر بشرف أخطارهم ، فما فيهم الا قمر فضل دار فى فلك علم ، وهلال مجد لاح فى سماء فهم ، توارثوا المجد كابراً عن كابر ، وباقيا عن غابر ، وسافرت أخبارهم فى البعد والقرب ، وطارت فى أقاصى الشرق والغرب ، وسارت مسير الشمس فى كل بلد ، وهبت هبوب الريح فى البر والبحر ، فهم كما قال أبو عبادة البحترى فى الشاه بن ميكال وأهله فأحسن وأجاد وبلغ ما أراد

بنى أحوذىّ يغمر السيف موفيا * ببسطته والسيف وافى الحمائل (٥)
تضيق الدروع المسبغات لديهم * على كل رحب الباع سبط الأنامل (٦)
عراعرقوم يسكن الثغر إن مشوا * على أرضه والثغر جم الزلازل (٧)

(١) الكلام بكسر الكاف الجروح (٢) باسق طويل (٣) سامق : عال (٤) الجحاجحة : جمع جحجاح وجحجح وهو السيد (٥) الاحوذى : الخفيف الحاذق والمشمر للأمور القاهر لها (٦) المسبغات : الطويلة ، وسبط الأنامل : سخى ، ومثله سبط اليدين (٧) عراعر : أشراف ، والمفرد عراعر بضم العين ، والثغر : موضع المخافة من البلدان

فكم فيهم من منعم متطول * بآلائه أو مشرف متطاول (١)
خليقون سروا أن تلين أكفهم * عرائك أحداث الزمان الجلائل(٢)
اذا سئلوا جاءت سيوب أكفهم * تطاير جمات التلاع السوائل
وما زال لحظ الراغبين معلقاً * إلى قمر فيهم رفيع المنازل

وفيه أو فى أبيه يقول أبو سعيد أحمد بن شبيب

وإلى الأمير ابن الأمير تواهقت * رزحى الركاب برازحى الركاب(٣)
شيم أرق من الهواء بل الهوى * وألذ من ظفر بعقب ضراب (٤)
وعزائم لو كن يوما أسهما * لنفرن فى الأيام غير نواب
مائية الجريان إلا أنها * نارية الإقدام والإلهاب
يخطرن بين سياسة ورياسة * ويتهن بين مثوبة وعقاب

أدب الواثق

قال عبد الله بن حمدون النديم : لقد رأيت الملوك فى صبرها ، ومجامع خلقها ، فما رأيت أغزر أدبا من الواثق ، خرج علينا ذات يوم وهو يقول :

لقد عرض عرضة من عرضه لقول الخزاعى ، يريد به دعبلا

خليلى ماذا أرتجى من غنى امرىء * طوى الكشح عنى اليوم وهو مكين
وان امرأ قد ضن عنى بمنطق * يسد به من خلتى لضنين

فانبرى أحمد بن أبى دواد يسأله كأنما نشط من عقال فى رجل من أهل

(١) مشرف : مرتفع ؛ ومتطاول ، كمتطول : متفضل،وهو هنا بمعنى مرتفع
(٢) عرائك : قتلات (٣) تواهقت الابل مدت اعناقها فى السير وتبارت ؛ ورزحى مهازيل . والبعير الرازح هو الذى ألقى نفسه من الاعياء وقيل هو الشديد الهزال وبه حراك ؛ ورزحت الاسفار الرجل فهو مرزح أتعبته وأضنته؛ ورزحت حاله وترازحت أحواله مجاز (٤) الضراب : القتال .

اليمامة فأطنب وأسهب ، وذهب فى القول كل مذهب ، فقال الواثق : ياأبا عبد الله لقد أكثرت فى غير كبير ، ولاطيب ، فقال يا أمير المؤمنين إنه صديق

وأهون مايعطى الصديق صديقهُ * من الهيِّن الموجود أن يتكلما

فقال وماقدر اليمامى أن يكون صديقك ، وإنما أحسبه أن يكون من عرض معارفك . قال ياأمير المؤمنين انه شهرنى بالاستشفاع اليك ، وجعلنى مرأى ومسمعاً بين الرد والاسعاف ، فان لم أقم لهـذا المقام أكون كما قال أمير المؤمنين آنفا

خليلىّ ماذا أرتجى من غنى امرىء * طوى الكشح عنى اليوم وهو مكينّ

فقال الواثق : بالله يامحمد بن عبد الملك إلا عجلت لأبى عبد الله حاجته ، ليسلم من هجنة المطل ، كما سلم من هجنة الرد

ابن أبى دواد وابن الزيات

وكان ابن أبى دُوَاد من أحسن الناس تأتيا ، وكان يقول ربما أردت أن أسأل أمير المؤمنين الحاجة بحضرة ابن الزيات فأؤخر ذلك الى وقت مغيبه لئلا يتعلم حسن التلطف منى !

وكان بينه وبين محمد بن عبد الملك عداوة عظيمة ، وأمر الواثق أصحابه أن ينهضوا قياما لأبى جعفر إذا دخل ، ولم يرخّص فى ذلك لأحد ، فاشتد الأمر على ابن أبى دُوَاد ، ولم يجد لمخالفة الواثق سبيلا . فوكل بعض غلمانه بمراقبته وموافاته ، فاذا أقبل أخبره فنهض يركع ، فقال ابن الزيات

صلّى الضحى لما استفاد عداوتى * وأراه ينسك بعدها ويصومُ

لاتعدمنّ عداوةً موسومةً * تركتك تقعد تارة وتقومُ

كرائم الآمال

وقال الواثق يوما لابن أبى دوّاد تضجرا بكثرة حوائجه: قد أخليت بيوت الأموال بطلباتك للائذين بك، والمتوسلين اليك، فقال: ياأمير المؤمنين، نتائج شكرها متصلة بك، وذخائرها موصولة لك، ومالى من ذلك الاعشق اتصال الألسن بخلود المدح، فقال والله لامنعناك مايزيد فى عشقك، ويقوى فى همتك فينا ولنا. وأمر فأخرج له خمسة وثلاثين ألف درهم

بديهة ابن أبى دواد

قال أبو العيناء لابن أبى دوّاد إن قوماً من أهل البصرة قدموا إلى سر من رأى يداً علىّ، فقال: يد الله فوق أيديهم. فقلت ان لهم مكراً. فقال: ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله، فقلت إنهم كثير. قال: كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله، والله مع الصابرين. فقلت لله در القاضى فهو كما قالت الصموت الكلابية

لله درك أى جُنــة خائف ٭ ومتاع دنيا أنت للحدثان
متخمِّط يطأ الرجال شهامةً ٭ وطء الفنيق مدارج القِردان (١)
ويكبهم حتى تظل رءوسهم ٭ مأمومةً تنحط للغربان (٢)
ويفرّج الباب الشديد رتاجهُ ٭ حتى يصير كأنه بابان (٣)

وكانت هذه المجاوبة بين أبى العيناء وبين أبى العلاء المنقرى وكان قد استجاش عليه قوماً من أهل البصرة

---

(١) تخمط الفحل: هدر، وتخمط الرجل: تغضب وثار، وتخمط البحر زخر، والمتخمط هنا الثائر الهائج، والفنيق: هو الفحل المكرم عند أهله المقرم لا يؤذى ولا يركب. والقردان: جمع القراد (٢) مأمومة: مشجوجة، وبلغت الشجة أم الدماغ وهى الجلدة التى تجمعه (٣) الرتاج: الاغلاق

غزل الأعراب

قطعة من شعر الأعراب فى الغزل — ابن ميادة

ألا ليت شعرى هل يحلّنّ أهلنا * وأهلك روضات يبطن الجوى خُضْرا
وهل تأتينّ الريح تدرج موهنا * برياك تعرورى بنا بلدا قفرا
بريح خزامى الرمل بات معانقا * فروع الأقاحى تنهب الطل والقطرا
ألا ليتى ألقاك يا أم جحدرٍ * قريباً فأما الصبر عنك فلا صبرا

وقال :

وما روضة بات الربيع يجودُها * على ما بها من حَنْوة وعَرارِ (١)
بأطيبَ من ريح القرنفل موهناً * بما التف من درع لها وخمارِ

وقال :

تجالسنا بنت الدلال تعلقت * عراه بحبات القلوب الهوائمِ
وبيّن ما تخفى من الوجد ودها * غريق الأناسى فى الدموع السواجم
جرى الدمع مجرى مائه فكففنهُ * بعناب أطراف الأكف النواعم
وردّ التحيات الهوى من عيونها * بيقظان طرف فى مَخِيلة نائم

وقال العلاء بن موسى الجهنى :

ولما رأتنى مخطراً شوكة العدى * ردى النفس مجتاباً إلى غير موعد
جلت داجىَ الظلماء منها بسُنةٍ * ونحر مشوب لونُهُ بالزبرجد (٢)
وبالشّذر مسبوكا كأن التهابه * تلهب جمر الغرقد المتوقد (٣)
وجاءت كسل السيف لو مر مشيها * على البيض أمسى سالماً لم يخضدّ
فبتنا ولم نكذبك لو أن ليلنا * إلى الحول لم نملل وقلنا له ازددِ

(١) يجودها : يمطرها ، والحنوة: الريحانة ، والعرار : ورد أصفر طيب الرائحة
(٢) السنة: الجبين (٣) الشذر: قطع من الذهب تلقط من معدنه بلا إذابة . وخرز يفصل بها النظم ، أو هو اللؤلؤ الصغار ، والغرقد شجر

تذودُ النفوس الصاديات عن الهوى * ذياداً ونسقيهنّ ســـقى المصرّد
فلما بدا ضوء الصـــباح وراعنا * مع الصبح صوت الهاتف المتسهّد
نهضنا بشخص واحـد فى عيونهم * نطا فى حواشي الأتحميّ المعضد (١)
إلى جنـــة منهم وسلمت غاديا * عليها ســـلام الباكر المتزودْ
وولت وأغباش الدجى مرجحنةٌ * تأطر غصن البانة المتأود (٢)

وقال اعرابى من طيء :

وأحور يصطاد القلوب ومالهُ * من الريش إلا زعفرانٌ وأثمدُ (٣)
وما كنت أخشى الفتك ممن سلاحهُ * سوار وخلخال وطوق منضّدُ
خليليّ بالله اقعدا فبيّنا * وميضاً ترى الظلماء منه تقدّد
وأشنب براق الثنايا غروبهُ * من البرَد الوسميّ أصفى وأبرد (٤)
تكشّف أعراض السحاب كأنهُ * صفيحة هنديّ تسلّ وتغمد
فبت على الاحياء ليلا أشيمهُ * أقوم له حتى الصباح وأقعد

هذا فى البرق كقول الطرماح فى الثور :

يبدو وتضمره البلاد كأنهْ * سيف على شرف يسل ويغمد

وقال بشار :

أعددت لى عتبا بحبكمُ * ياعبد طال بحبكم عتبى
ولقد تعرض لى خيالكمْ * فى القُرط والخلخال والقُلْبِ (٥)
فشربت غير مباشر حرجاً * برضاب أشنبَ باردٍ عذب

(١) ألاتحمى : البرد المخطط (٢) مرجحنة : متماوجة ؛ والتأطر : التمايل ، ومثله التأود (٣) الاثمد : الكحل (٤) الاشنب : من الشنب بالتحريك وهو برد ورقة وعذوبة فى الاسنان . والغروب : جمع غرب وهو الريق ، والوسمى : مطر الربيع الأول ، ويقابله الولى ، لأنه يليه فى النزول (٥) القلب : بالضم السوار

طيف الخيال

وقال المتنبي :

بتنا يناولنا المدام بكفهِ * من ليس يخطر أن نراه ببالهِ
نجني الكواكب من قلائد جيده * وننال عين الشمس من خلخالهِ

وأول شعر أبي الطيب :

لا الحلم جاد به ولا بمثالهِ * لو لا ادكار وداعه وزيالهِ (١)
ان المعيد لنا المنام خيالهُ * كانت إعادته خيال خيالهِ
إني لأبغض طيف من أحببتهُ * إذ كان يهجرني زمان وصاله

يقول التمثل والتخيل في اليقظة أعاد خياله في المنام فكأن الخيال الذي في النوم خيال الخيال الذي تصور في اليقظة . وأظهر من هذا قول الطائي

زار الخيال لها لا بل أزاركهُ * فكر إذا نام فكر الخلق لم ينم
ظبي تقنصته لما نصبت لهُ * في آخر الليل أشراكاً من الحلمِ

أما بيته الأول فمن قول جميل :

أخفيت طيفك من طيف ألمّ بهِ * حدثت نفسك عنه وهو مشغولُ

وقال ذو الرمة :

نأت دار ميٍّ أن تزار وزورُها * إذا مادجا الاظلام مني وساوسُ
إذا نحن عرّسنا بأرض سرى لنا * هوًى لبسته بالقلوب اللوابسُ (٢)

وبيته الثاني ألم فيه بقول قيس بن الملوح

وانى لأستغشي ومابيَ نعسة * لعلّ خيالا منك يلقى خياليا
وأخرج من بين الجلوس لعلني * أحدث عنك النفس في السر خاليا
تقطع أنفاسي بذكرك أنفساً * يردن فما يرجعن إلا صواديا

---

(١) الزيال : الفراق (٢) التعريس : النزول في آخر الليل

وقد قال فيه قيس بن ذَريح

وانى لأهوى النوم فى غير نعسة * لعل لقاء فى المنام يكونُ
تخبرنى الاحلام أنى أراكمُ * فياليت أحلام المنام يقين

وكان البحترى أكثر الناس إبداعا فى الخيال ، حتى صار لاشتهاره مثلا يقال له خيال البحترى ، وفى بعض ذلك يقول :

ألمّت بنا بعد الهدوّ فسامحتْ * بوصل متى تطلبه فى الجد تمنع (١)
فما برحت حتى مضى الليل وانقضى * وأعجلها داعى الصباح الملمّع (٢)
فولت كأن البين يخلج شخصها * أوانَ تولت من حشاىَ وأضلعى (٣)

وقال :

سقى الغيث أجراعا عهدت بنجدها * غزالا تراعيه الجآذر أغيدا (٤)
إذا ماالكرى أهدى الىّ خيالهُ * شفى قربه التبريح أو نقع الصدى
فلم أرى مثلينا ولا مثل شاننا * نُعذّب أيقاظاً وننعَم هُجّدا

وقال :

بلى وخيالٍ من أثيلة كلما * تأوهت من وجدى تعرّض يُطمعُ
ترى مقلتى ما لا ترى من لقائه * وتسمع أذنى رَجْع ماليس تسمع

قوله فى البيت الأخيرمن قول الحسين بن الضحاك

وماذا يفيدك طيف الخيا * ل والهجرُ حظك ممن تحب
غَناهُ قليلٌ ولكننى * تمنيته بقنوع المحب

خدع المنى

ولـلحسين فى هذا المعنى وان لم يكن فى ذكر الخيال

وصف البدر حسن وجهك حتى * خلت أنى وما أراك أراك

---

(١) ألمت : نزلت (٢) الملمع : الذى يلمع (٣) يخلج : ينزع (٤) الجآذر : جمع جؤذر وهو ولد البقرة الوحشية

وإذا ما تنفس النرجس الغضْ توهمته نسيم جناكِ
يخدعُ للمنى تعللى فيـ * ـك باشراق ذا ونكهة ذاكِ (١)

طرد الخيال

وأول من طرد الخيال طرفة بن العبد فقال :

فقل لخيال الحنظلية ينقلب * اليها فانى واصل حبل من وصلْ

فتبعه جرير فى قوله فقال :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا * حين الزيارة فارجعى بسلام

قال البحترى ونفى هذا المعنى بقوله :

قد كان منى الوجد غبّ تذكر * إذ كان منك الصد غب تناسى
تجرى دموعى حيث دمعك جامدٌ * ويلين قلبي حيث قلبك قاسى
ماقلت للطيف الملم ألا ابتعد * عنى وما نهنهت حامل كاسى

وقال ابن هانىء الأندلسى :

ألا طرقتنا والنجوم ركودُ * وفى الحىّ أيقاظٌ ونحن هجودُ
وقد أعجل الفجر الملمّع خطوها * وفى أخريات الليل منه عمود
سرت عاطلا غضبي من الدر وحدهُ * فلم يدر نحرٌ ما دهاه وجيدُ
فما برحت إلا ومن سلك أدمعى * قلائد فى لبّاتها وعقود
ألم يأتها أنا كبرنا عن الصبا * وأنا بلينا والزمان جديد

سماحة الطيف

وقال على بن محمد الايادى :

أما إنه لولا الخيال المراجعُ * وعاصٍ يُرى فى النوم وهو مطاوعُ

(١) النكهة : رائحة الفم

لأشفق واستحيا من النوم واله * يرى بعد روعات الهوى وهو هاجع

وقال أيضاً :

طيف يزورك من حبيب هاجر * أهلا به وبطيفه من زائر
شق الدجى وسرى فأمعن فى السرى * حتى ألمّ فبات بين محاجرى
يحدو به هيف القوام المنثنى * نحوى وسالفة الغزال النافر
لله درك من خيال واصل * أسرى فأنصف من حبيب هاجر
علّلت علة قلب صب هائم * وقضيت ذمة فيض دمع قاطر

وقال عبد الكريم بن ابراهيم

لم أدر مغناك لولا المسك والعطر * وزفرة لملم عنده خفر
سرى يعارض أنفاس الرياح بما * تحمل الورد منه وانثنى الزهر
يخفى بثوب الدجى مسراه مستتراً * ومن تقنّع صبحا كيف يستتر
كأن أعين واشيه تراقبه * فيه فيدج أخبارى فيختصر

وقال :

أهلا به من زائر معتاد * والليل يرفل فى ثياب حداد
يتجاوز الرايات يخفق ظلها * ويشق ملتف القنا المياد
أنى اهتدى فى ظل أخضر مغدف * حتى تيمم بالعراء وسادى
فأرق من كبد المتيم مفسداً * فى حيث ينبو الحارث بن عُبَاد
معتادة أمنت نمائم حليها * والحلى نمّام على العوّاد
وكأنما ياقوتها فى نحرها * متوقد مما يجن فؤادى

عقال بن شيبة

خطب صالح بن أبى جعفر المنصور فى بعض الأمر فأحسن . فأراد المنصور أن يثنى عليه فلم يجسر أحد على ذلك لمكان المهدى ، وكان مرشحا

الخلافة ، وخافوا أن لا يقع الثناء على أخيه بموافقته ، فقام عقال بن شيبة فقال : مارأيت أبين بيانا ، ولاأفصح لسانا ، ولاأحسن طريقا ، ولاأعيص عروقا ، من خطيب قام بحضرتك ياأمير المؤمنين ، وحقٌ لمن كان أمير المؤمنين أباه ، والمهدى أخاه ، أن يكون كما قال زهير

يطلب شأو امرأين قدّما حسناً * بزّا الملوك وبزّا هذه السّوقا
هو الجواد فان يلحق بشأوهما * على تكاليفه فمثله لحقا
أو يسبقاه على ما كان من مهل * فبالذى قدما من صالح سبقا

فعجب الناس من حسن تخلصه ، فقال أبو جعفر لا ينصرف التميمى إلا بثلاثين ألفاً. قال أبو عبدالله كاتب المهدى مارأيت مثل عقال قط فى بلاغته ، أرضى المنصور ، وسلم من المهدى

زهير وهرم بن سنان

وفى قصيدة زهير هـذه يمدح هرم بن سنان بن أبى حارثة المرى

قـد جعل المبتغون الخير فى هرم * والسائلون الى ابوابه طُرُقا
من يلق يوماً على علاته هرماً * يلق السماحة منه والندى خُلقا
وليس مانع ذى قربى وذى رحم * يوماً ولا مُعدِماً من خابطٍ ورقا (١)
ليثٌ بعثّر يصطاد الرجال إذا * ما كذّب الليث عن أقرانه صدقا(٢)
يعطونهم ما ارتموا حتى إذا ظعنوا * أربَّ حتى إذا ما ضارب اعتنقا
فضل الجياد على الخيل البطاء فلا * يعطى بذلك ممنونا ولا نزقا
هـــذا وليس كمن يعيا بخجته * وسط الندىّ إذا ما ناطق نطقا
لو نال حىٌّ من الدنيا بمكرمة * فى السماء لنالت كفه الأفقا

(١) كناية عن الجود . وأصل ذلك أن يضرب الرجل الشجر ليعلف بورقه الماشية (٢) عثر : اسم مأسدة

وكان زهير كثير المدح لهرم — ويروى أن بنتا لسنان بن أبى حارثة لاقت بنتا لزهير بن أبى سلمى فى بعض المحافل ، وإذا لها شأن وحال حسنة ، فقالت قد سرنى ماأرى من هذه الشارة والنعمة عليك ، فقالت : انها منكم . فقالت بلى والله لك الفضل ، أعطينا كم مايفنى ، وأعطيتمونا مايبقى ! وقد قيل إن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لابنة هرم بن سنان ماوهب أبوك لزهير ؟ قالت أعطيناه مالا وأثاثا أفناه الدهر ، قال لكن ماأعطا كموه لاتفنيه الدهور ، وقد صدق عمر رضى الله عنه ، لقد أبقى زهير لهم مالاتفنيه العصور ، ولاتخلقه الدهور ، ولايزال به ذكر الممدوح ساميا ، وشرفه باقيا ، فقد صار ذكرهم عَلما منصوبا ، ومثلا مضروبا ، قال الطائى وذكره فى شعره

مالى ومالك شِبْهٌ حين أنشدهُ * الا زهير وقد أصغى إلى هرم

وقال يوسف الجوهرى يمدح الحسن بن سهل

لو أن عين زهير أبصرت حسنا * وكيف يصنع فى أمواله الكرمُ

إذن لقال زهــير حين يبصرهُ * هذا الجواد على العلات لاهرمُ

وقال آخر ويدخل فى باب تفضيل الشعر

الشعر يحفظ ما أودى الزمان بنا * والشعر أفضل مايجنى من الكرم

لولا مقال زهــير فى قصائده * ماكان يعرف جودٌ كان من هرم

وقيل أعطى هرم العطاء الجزيل عوض قول زهير فيه

تالله قــد علمت سراة بنى * ذبيان عام الحبس والأسر

أنْ نعم حشو الدرع أنت إذا * دُعيت نزالِ ولُجَّ فى الذعر (١)

حامى الذمار على محافظة الْجُــلَّى أمين مغيَّب الصدر (٢)

(١) نزال : اسم فعل بمعنى انزل وهى تقال عند القتال (٢) الجلى : النائبة الشديدة . وهى هنا بمعنى العشيرة

حَدِبٌ على المولى الضريك إذا * ضاقت عليه نوائب الدهر(١)
ومرهق النيران يحمد فى ال * لأواء غير ملعّن القِدر(٢)
والستر دون الفاحشات وما * يلقاك دون الخير من ستر

وقال :

إن البخيل ملوم حيث كان ولـكن الجواد على علاته هرمُ
هو الكريم الذى يعطيك نائلهُ * عفواً ويظلم أحياناً فينظلم
وإن أتاه خليل يوم مسألة * يقول لا غائبٌ مالى ولا حرم

الخليل الذى أخلّ به الفقر ، إلى غير ذلك من مختار مدحه فيه

نصيب وعبد الله بن جعفر

ولما امتدح نصيب عبد الله بن جعفر رضى الله عنه أمر له بإبل ، وخيل ، وثياب ، ودنانير ، ودراهم ، فقيل له : تعطى هذا القدر لأسود ؟ فقال إن كان أسود ، فان شعره أبيض ، وإن كان عبداً فان ثناءه لحر ، ولقد استحق بما قال أكثر مما أعطى ، وهل أعطيناه إلا ثياباً تبلى ، ومالاً يفنى ، ومطايا تنضى ، وأعطانا مديحاً يروى وثناء يبقى ؟

الأخطل وبنو أمية

وقال الأخطل يعتدّ على بنى أمية بمدحه لهم :

أبنى أمية إن أخذت نوالكم * فلَما أخذتم من مديحى أكثرُ
أبنى أمية لى مدائح فيكمُ * تُنسون إن طال الزمان وتُذكرُ

(١) الضريك : من به ضر (٢) مرهق النيران : هو الذى يؤم السارون نحو ناره ، واللأواء : الشدة ، وملعن : القدر هو البخيل

أبو تمام ومحمد بن حسان

ولما مدح أبو تمام الطائى محمد بن حسان الضبي بقصيدته التى أولها

أسقَى طلولهم أجشُّ هزيم * وغدت عليهم نضرة ونعيمُ

وصله بمال كثير ، وخلع عليه خلعة نفيسة ، فقال يصفها :

قد كسانا من كسوة الصيف خرقٌ * مكتسٍ من مكارم ومساع(١)
حلة سابرية وكساءً * كسحا البيض أو رداء الشجاع(٢)
كالسراب الرقراق فى الحسن إلا * انه ليس مثله فى الخداع
ترجف الريح متنه حين يلقا * ك بأمر من الأمور مطاع
وجفانا كأنما الدهر منه * كبد الضب أو حشى المرتاع
لازما ما يليه تحسبه جزْ * من المتن أو من الأضلاع
كسوة من أغر أروع رحب الـ * ـصدر رحب الفؤاد رحب الذراع
سوف أكسوك مايعفىّ عليها * من ثناءٍ كالبرد برد الصناع
حسن هاتيك فى العيون وهذا * حسنه فى القلوب والأسماع

فقال لعنه الله إن بقى عندى ثوب ، أو يصل إلى أبى تمام ، وأمر بحمل مافى خزائنه اليه

بلاغة أبى تمام

قال ابراهيم بن العباس الصولى لأبى تمام : الكلام يا أبا تمام رعية لاحسانك ، قال لأنى أستضىء بنورك ، وأرد شريعتك .

وكان الطائى مع جودة شعره بليغ الخطاب ، حاضر الجواب ، وكان يقال : زين المرء اثنان اللسان البليغ والشعر الجيد

---

(١) الخرق : الفتى الحسن الكريم الخليقة (٢) سحا البيض قشره، والشجاع الثعبان

وقال الحسن ابن جنادة الوشاء : انصرف أبو تمام من عند بعض أصحاب السلطان فوقف عليّ ، فقلت من أين ؟ فقال كنت عند بعض الملوك فأكلنا طعاما طيبا ، وفاكهة فاضلة ، وبُخّرنا وخُلّقنا ، فخرجت هاربا من المجلس ، نافرا الى التسلي ، ومافى منزلى نبيذ ، ولكن عندى خمر أريده لبعض الأدوية ، فقال : دع اسمه ، وأعطنا جسمه ، فليس يثنينا عن المدام ، ماهجنته به من اسم الحرام

أبو عبد الله معاوية بن بشار

قال عبد الله بن محمد بن صدقة كنا عند أبى عبدالله فدخل عليه أعرابى قد كان له عليه وعد ، فقال له : أيها الشيخ السيد ، انى والله أستحث على كرمك ، وأستوطىء فراش مجدك ، وأستعين على نعمك بقدرك ؛ وقد مضى لى وعدان ، فاجعل الصلح ثالثا ، أشد لك الشكر فى العرب شادخ الغرة ، بادن الأوضاع ، فقال أبو عبد الله ما وعدتك تعذيرا ، ولا أخرتك تقصيرا . ولكن الاشغال تقطعنى ، وتأخذ بأوفر الحظ منى . وأنا أبلغ لك الجهد فى الكفاية ، ومنتهى الوسع بأوفر مأمول ، وأحمد عاقبة ، وأقرب أمد ، ان شاء الله تعالى . فقال الاعرابى ياجلساء الصدق ، قد أحصرنى التطول ، فهل من معين منجد ، ومساعد منشد ؟ فقال بعض أحداث الكتاب لأبى عبدالله أصلحك الله ، والله لقد قصدك ، وماقصدك حتى أملك ، وماأملك إلا بعد أن أجال النظر ، فأمن الخطر ، وأيقن بالظفر ، فحقق له أمله بتهيئة القليل ، وتهنئة التعجيل . قال الشاعر :

إذا ما اجتلاه الوجد عن وعد آمل * يسوّف عن بشر ليستكمل الشكرا
ولم يثنه مطل الغداة عن التى * تصون له الحمد الموفر والأجرا

فأحضر أبو عبد الله للاعرابى عشرة آلاف درهم ، وقال الاعرابى

للفتى خذها فأنت سببها فقال شكرك أحب الىّ منهـا . فقال له أبو عبد الله خذها فقد أمرنا له بمثلها ، فقال الاعرابى : الآن كملت النعمة ، وتمت المنة

وكان أبو عبد الله واسع الصـــدر كامل الدرك فى الكرم والبلاغة ، واسمه معاوية بن عبد الله بن بشار وكان يقول : إن نخوة الشرف تناسب بطر الغنى ، والصبر على حقوق الثروة أشد من الصبر على ألم الحاجة ، وذل الفقر يسعى على عز الصبر ، وجور الولاية مانع من عدل الانصاف ، إلا من كان بعيد الهمة

وكان يقول : السلطان عزمه قوة على شهوته .

وكان يقول : لايكسر رأس إلا فى أخس زمان ، وأرذل سلطان ، ولا يعيب العلم إلا من انسلخ عنه ، وجزع منه

وكان يقول : حسن البشر علم من أعلام ، ورائد من روائد ، وماأحسن وما قال زهير

تراه إذا ما جئته متهللا * كأنك تعطيه الذى أنت سائله

وقال له المهدى بعد أن قتل ابنه على الزندقة : لايمنعك ماسبق القضاء فى ولدك ، من تقديم نصحك ، فانى لاأعرض لك رأيا على تهمة ، ولاأؤخر لك قدما عن رتبة ، فقال ياأمير المؤمنين إنما كان من نبت احسانك أرضه ، ومن تفقدك سماؤه ، وأنا طاعة أمرك ، وعبد نهيك ، وبقية رأيك . إلى أحسن الخلف عندى .

وكان يقول : العالم يمشى البر آمنا ، والجاهل يهبط الغيطان كامناً ، ولله درزهير حيث يقول :

الستر دون الفاحشات وما * يلقاك دون الخير من ستر

الحسن بن قحطبة

وقال أبو عبد الله ذا كرنى المنصور فى أمر الحسن بن قحطبة فقال : كان

أوثق الناس عنـدى ، وأقربهم من قلبي ، فلما لقى أبا حنيفة اتـكث . فقلت إن بدت نيته فسيضحه الباطل كما رفعـه الحق ، وتشهد مخايله عليـه كما شهدت له ، فنعدل فى أمره من شك إلى يقين . ثم قال لى اكتم علىّ ما ألقيت اليك

مروءة أبى عبـد الله

قال عمران بن شهاب استعنت على أبى عبـد الله فى أمر يبعض إخوانه وكان قد تقدم سؤالى إياه فيه ، فقال لى : لولا أن حقك لايجحد ولايضاع ، لحجبت عنك حسن نظرى ، أظننتنى أجهـل الاحسان حتى أعلّمه ، ولا أعرف موضع المعروف حتى أعرفه ؟ لو كان لاينال ماعنـدى إلا بغيرى لـكنت مثل البعير الذلول ، يحمل عليه ولايمل الثقل ، إن قيد انقاد ، وإن أنيخ برك ، لا يملك من نفسه شيئاً ، فقلت معرفتك بموضع الصنائع أثبت معرفة ، ولم أجعـل فلانا شفيعا إنما جعلته مذ كرا ، قال : وأى إذ كار أبلغ عندى فى رعى حقك ، من مسيرك إلىّ وتسليمك علىّ ، إنه متى لم يتصفح المأمول أسماء مؤمليه غدوة ورواحا لم يكن للآمل محلا ، وجرى عليه الغدر لمؤمليه بما غدر ، وهو غـير محمود على ذلك ولامشكور ، ومالى إمام بعـد وردى من القرآن إلا أسماء أهل التأميل ، حتى أعرضهم على قلبي ، فلا تستعن على شريف إلابشرفه ، فانه يرى ذلك عيبا لعُرفه ، وأنشد

وذاك امرؤ إن تأته فى عظيمةٍ * إلى بابه لاتأته بشفيعِ

ومن توقيعاته : الحق يعقب صلحا وظفرا ، والباطل يورث كذبا وندما

وكتب إليه رجل : والنفس مولعة بحب العاجل ، فكتب إليـه : لـكن العقل الذى جعله الله للشهوة زماما ، وللهوى رباطا ، موكل بحب الآجل ، مستصغر لكل كثير زائل

زياد الحارثى

قال مصعب بن عبد الله الزبيرى : وفد زياد الحارثى على المهدى وهو بالرى ولىّ عهد فأقام سنتين لا يصل إليه شىء من رفده ، وهو ملازم كاتبه أباعبد الله ، فلما طال أمره دخل على كاتبه فأنشد :

ما حُلت حولين مرّا عن مطالبةٍ * ولا مقامَ لذى دين ولا حسبِ
لئن رحلت ولم أظفر بفائدةٍ * من الأمير لقد أعذرت فى الطلب

فوقّع أبوعبد الله : يصنع الله لك ! فكتب إليه

ماأردت الدعاء منك لأنى * قد تيقنت أنه لايجابُ
أيجاب الدعاء من مستطيل * جَل تسبيحه الخنا والسباب

الاستطالة والكبرياء والجبن

ألفاظ لأهل العصر فى ذكر الاستطالة والكبر وما يشاكل ذلك من معانيها ويطرق نواحيها من المساوى والمقابح .

— فلان لسانه مقراض للأعراض ، لا يأكل خبزه إلا بلحوم الناس

— هو غرض يرشق بسهام الغيبة ، وعلم يقصد بالوقيعة ، قد تناولته الألسن العادلة ، وتناقلت حديثه الأندية الحافلة .

— قد لزمه عار لا يمحى رسمه ، ولزمه شنار لا يزول وسمه ، فأصبح غرضا لسهام العائبين ، وألسنة القادحين ، وقلد نفسه عظيم العار والشنار ، وألبسها لبسته الخالدة على الليل والنهار .

— قد أسكرته خمرة الكبر ، واستغرقته لذة التيه ، كأن كسرى حامل غاشيته ، وقارون وكيل نفقته . وبلقيس إحدى داياته ، وكأن يوسف لم ينظر إلا بطلعته ، وداود لم ينطق إلا بنغمته ، ولقمان لم يتكلم إلا بحكمته ، والشمس لم تطلع إلا من جبينه ، والغمام لم يند إلا من يمينه ، وكأنه امتطى

السماكين ، وانتعل الفرقدين ، وتناول النيّرين باليدين ، وملك الخافقين ، واستعبد الثقلين ، وكأن الخضراء له عرشت ، والغبراء له فرشت

— فلان لمن الطاووس رجله ، ومن الورد شوكه ، ومن الماء زبده ، ومن النار دخانها ، ومن الخمر خمارها .

— قد هبت سمائم نمائمه ، ودبت مكايد عقاربه ، والنمام يحارب بسيف كليل إلا أنه يقطع ، ويضرب بعضد واهن إلا أنه يوجع

— هو تمثال الجبن ، وصورة الخوف ، ومقر الرعب ، فلو سميت له الشجاعة لخاف لفظها قبل معناها ، وذكرها قبل فحواها ، وفزع من اسمها دون مسماها : فهو يهلك من تخوفه أضغاث الأحلام ، فكيف بمسموع الكلام ، إذا ذكرت السيف لمس رأسه هل ذهب ، ومس جبينه هل ثقب ، كأنه أسلم فى كتاب الجبن صبيا ، ولقن كتاب الفشل أعجميا

— وعده برق خلب ، وروغان ثعلب

— غيم رعده جهام ، وسيف حده كهام

— حصلت منه على مواعيد عرقوبية ، وأحزان يعقوبية

— قد حرمنى ثمن الوعد ، وجرنى على شوك المطل

— فتى له وعد أخدع من البرق الخلب خلقا ، وقد تناول من العارض الجهام طبقا ، وتركنى أرعى رياض رجاء لا ينبت ، وأجنى ثمار أجل لا يورق ، فأنا فى ضمان الانتظار ، وإسار عدة ضمار

— هو يرسل برقه ، ولا يسيل ودقه ، ويعدم رعده ، فلا يمطر بعده

— وعده الرقم على بساط الهواء ، والخط على بسيط الماء

أخذ هذا من قول أبى الفضل بن العميد

لا أستفيق من الغرام ولا أرى * خلوا من الأشجان والبرحاء
وصروف أيام أقمن قيامتى * سوء الخليط وفرقة القرناء

وجفاء خل كنت أحسب أنهُ * عونى على السراء والضراء
ثبت العزيمة فى العقوق ووده * متنقل كتنقل الأفياء
ذى ملة يأتيك أثبت عهده * كالخط يرسم فى بسيط الماء

أردت هذا البيت

— هو صخرة خلقاء ، لايستجيب للمرتقى ، وحية صماء لاتسمع الرُّقى ، كأنى أستمطر بالجو رعداً ، وأهز منه بالدعاء طودا ،

— هو ثانى العطف ، عاجز القوة ، قاصى المُنة ، يتعلق بأذناب المعاذير ، ويحيل على ذنوب المقادير .

— هو كالنعامة تكون جملا إذا قيل لها طيرى ، وطائراً إذا قيل لها سيرى .

— يفاض له بذل ، ولا يفوض إليه شغل . ويملأ له وطب ، ولا يدفع به خطب ، قد وفر همه على مطعم يجوده ، وملبس يجدده ، ومرقد يمهده ، وبنيان يشيده

هذا كقول الحطيئة

دع المكارم لاترحل لبغيتها * واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى

— قلب نَغِل ، وصدر دغل ، وطوية مغلولة ، وعقيدة مدخولة ،

— صفوه رنق ، وبره ماق

— قد ملئ قلبه رينا ، وشحن صدره مينا ، يدعى الفضل وهو فيه دعى

— دأبه بث الخدائع ، والنفث فى عقد المكايد

— ضميره خبث . ويمينه حنث ، وعهده نكث

— هو سحابة صيف ، وطارق ضيف ، قوته غنيمة ، والظافر به عزيمة

— هو العود المركوب ، والوتر المضروب ، يطؤه الخف والحافر ، ويستضيمه الوارد والصادر ، ويصغر عن الفكر

— ذاته لايوسم إغفالها ، وصفته لاتنفرج أقفالها ،

— هو أقل من تبنة فى لبنة ، ومن قلامة فى قامة

— هو مدب الشطرنج فى القيمة والقامة

— جهله كثيف ، وعقله سخيف ، لا يستزين العقل بتحف ، ولا يستملى إلا على سخف

— يمد يد الجنون فيعرك بها أذن الحزم ، ويفتح جراب السخف فيصفع به قفا العقل

— لا تزال الأخبار تورد سفائح جهله وخرقه ، والأنباء تنقل نتائج سخفه وحمقه

— رجل يتعثر فى فضول جهله ، ويتساقط فى ذيول عقله

— هو سمين المال مهزول النوال ، ثروة فى الثريا وهمة فى الثرى

— وجهه كهول المطلع ، وزوال النعمة ، وقضاء السوء ، وموت الفجأة

— هو قذى العين ، وشجى الصدر ، وأذى القلب ، وجمر الروح ،

— وجهه كآخر الصك ، وظلم الشك ، كأن النحس يطلع من جبينه ، والخل يقطر من وجنتيه

— وجهه طلعة الهجر ، ولفظه قطع الصخر

— وجهه كحضور الغريم ، وحصول الرقيب ، وكتان الغزل ، وفراق الحبيب

— له من الدينار نضرته ، ومن الورد صفرته ، ومن الليل ظلمته ، ومن الأسد نكهته

— هو عصارة لؤم فى مرارة خبث ، حديث النعمة ، خبيث الطعمة ، خبيث المركب لئيم المنقب

— يكاد من لؤمه يعدى من جلس إلى جنبه ، أو تسمى باسمه

— قد ارتضع بلبان اللؤم ، وربى فى حجر الشؤم ، وفطم عن ثدى الخير ،

ونشأ فى عرصة الخبث ، وطلق الكرم ثلاثاً ، لم ينتظر فيه استثناء ، واعتق المجد بتاتاً لم يستوجب عليه ولاء

— حمار مبطن مقرون بتيس ، مطرز بطرز من لؤم مادر ، لم تهتد له فطنته بنادر

— هو قصير المشية ، صغير القدر ، ضيق الصدر ، ود أن قيمة مثله ، فى خبث أصله ، وفرط جهله ، لاأمس ليومه ، ولاقدم لقومه

— سائله محروم ، وماله مكتوم ؛ لايحل انفاقه ، ولايحل خناقه

— خيره كالعنقاء تسمع بها ولاترى

— خبزه فى حالق ، وأدامه فى شاهق

— غناه فقر ومبطخه قفر

— يملأ بطنه والجار جائع ، ويحفظ ماله والعرض ضائع

— قد أطاع سلطان البخل ، وانخرط كيف شاء فى سلكه

— هو ممن لايبض حجره ، ولايثمر شجره ، سكيت الحلبة ، وساقة الكتيبة ، وآخر الجريدة

— لعنة العائب ، وعرضة الشاهد والغائب

— هو عيبة العيوب ، وذنوب الذنوب

وقال أبو الفضل الميكالى

وطلعة بقبحها قد شهرت * تحكى زوال نعمة ماشكرت
كأنها عن لحمها قد قشرت * أقبح بها صحيفة قد نشرت
عنوانها إذا الوحوش حشرت * يلعنها ما قدمت وأخرت
إن سار يوماً فالجبال سيرت * أو دام أكلا فالجحيم سعرت
صاحبها ذو عورة لوسترت

رسالة لبديع الزمان

ومن هذه الأنواع رسالة لبديع الزمان إلى القاضى على بن أحمد يشكو

أبا بكر الحيرى القاضى ويذمه . وقد أطلت عنان الاختيار فيها لصحة مبانيها ، وارتباط ألفاظها بمعانيها

الظُلامة أطال الله بقاء القاضى إذا أتت من مجلس القضاء ، لاتزف إلا إلى سيد القضاة . وما كنت لأقصر سيادته على الحكام ، دون سائر الأنام ، لولا اتصالهم بسببه ، واتسامهم بلقبه ، وهبهم مطفلين على قسمه ، مغيرين على اسمه ، ألهم فى الصحة أديم كأديمه ، أوقديم فى الشرف كقديمه ، أو حديث فى المكارم كطريفه ، فهنيئاً لهم الأسماء وله المعانى ، ولازالت لهم الظواهر ، وله الجواهر . ولاغرو أن يسموا قضاة فما كل مائع ماء ، ولا كل سقف سماء ، ولا كل سيرة عدل العمرين ، ولا كل قاض قاضى الحرمين ، ويالثارات القضاء ماأرخص ما بيع ، وأسرع ماأضيع ، وألبسته الانذال ، قبل خلو الديار ، وموت الخيار ، ألا يغار لحلى الحسناء ، على السوداء ، ومركب أولى السياسة ، تحت الساسة ، ومجلس الأنبياء من تصدر الأغبياء ، وحمى البزاة من صيد البغاث ، ومربع الذكور من تسلط الإناث ؟ ويالرجال ، وأين الرجال ، ولى القضاء من لايملك من آلاته غير السِّبال ، ولايعرف من أدواته غير الاختزال ، ولايتوجه من التفرقة إلا فى العيال ، ولا من أحكامه الا الى الاستحلال ، ولايحسن من الفقه غير جمع المال ، ولايتقن من الفرائض إلا قلة الاحتفال ، وكثرة الافتعال ، ولايدرس من أبواب الجدل الا قبح الفعال ، وزور المقال ، ذاك أبو بكر القاضى أضاعه الله كما أضاع أمانته ، وخان خزانته ، ولاحاطه من قاض فى صولة جندى ، وسبلة كردى ، إلى أن قال : أيكفى أن يصبح المرء بين الزق والعود ، ويمسى بين موجبات الحدود ، حتى يكمل شبابه ، وتشيب أترابه ، ثم يلبس دنيته ، ليخلع دينيته ، ويسوى طيلسانه ، ليحرف يده ولسانه ، ويقصر سباله ، ليطيل حباله ، ويبدى شقاشقه ، ليستر مخارقه ، ويبيض لحيته ، ليسود صحيفته ، ويظهر ورعه ،

ليخفى طمعه ، ويغشى محرابه ، ليملأ جرابه ، ويكثر دعاءه ، ليحشو وعاءه ، ثم يخدم بالنهار أمعاءه ، ويعالج بالليل وجعاءه ، ويرجو أن يخرج من بين هذه الأحوال عالما ، ويقعد حاكما ؟ هذا إذا المجدكالوه بالقفزان ، وباعوه فى سوق الخسران : هيهات حتى ينسى الشهوات ، ويجوب الفلوات ، ويعتضد المحابرَ ويحتضن الدفاتر ، وينتج الخواطر ، ويحالف الأسفار ، ويعتاد القفار ، ويصل الليلة باليوم ، ويعتاض السهر عن النوم ، ويحمل على الروح ، ويجنى على العين ، وينفق من العيش ، ويخزن فى القلب ، ولا يستريح من النظر إلا إلى التحديق ، ولا من التحقيق إلا إلى التعليق ، وحامل هذه الكلف إن أخطأه رائد التوفيق ، فقد ضل عن واء الطريق ، وهذا الحيرى رجل قد شغله طلب الرياسة عن تحصيل آلاتها ، وأعجله حصول الأمنية عن تمحل أدواتها

والكلب أحسن حالةً * وهو النهاية فى الخساسة

ممن تصدى للريا سة قبل إبان الرياسة

فولى المظالم وهو لا يعرف أسرارها ، وحمل الأمانة وهو لا يدرى مقدارها ، والأمانة عند الفاسق ، خفيفة المحمل على العاتق ، تشفق منها الجبال ، وتحملها الجهال ، وقعد مقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بين حديثه يروى ، وكتاب الله يتلى ، وبين البينة والدعوى ، فقبحه الله تعالى من حاكم لا شاهد عنده أعدل من السلة والجام ، يدلى بهما إلى الحكام ، ولا مزكى أصدق لديه من الصُّفر ، ترقص على الظفر ، ولا وثيقة أحب إليه من غمزات الخصوم ، على الكيس المختوم ، ولا كفيل أوقع لوفاقه من خبيئة الذيل ، وحمال الليل ، ولا وكيل أعز عليه من المنديل والطبق ، فى وقت الغسق والفلق ، ولا حكومة أبغض إليه من حكومة المجلس ، ولا خصومة أوحش لديه من خصومة المفلس ، ثم الويل للفقير إذا ظُلم . لا يغنيه موقف الحكم ، إلا بالقتل من الظلم ، ولا يجيره مجلس القضاء ، إلا بالنار

من الرمضاء ، وأقسم لو أن اليتيم وقع بين أنياب الأسود ، بل الحيات السود ، لكانت سلامته منهما أرجى من سلامته إذا وقع من هذا القاضى بين عقاربه وأقاربه ، وما ظن القاضى بقوم يحملون الأمانة على متونهم ، ويأكلون النار فى بطونهم ، حتى تغلظ فقراتهم من مال اليتامى ، وتسمن أكفالهم من غزل الأيامى ؟ وما ظنك بدار عمارتها خراب الدور ، وعطلة القدور ، وخلاء البيوت ، من الكسوة والقوت ؟ وما قولك فى رجل يعادى الله فى الفلس ، ويبيع الدين بالثمن البخس ، وفى حاكم يبرز فى ظاهر أهل السمت ، وباطن أصحاب السبت ، فعله الظلم البحت ، وأكله الحرام السحت؟ وما رأيك فى سوس لا يقع إلا فى صوف الأيتام ، وجراد لا يقع إلا على الزرع الحرام ، ولص لا ينقب إلا خزانة الأوقاف ، وكردى لا يغير إلا على الضعاف ، وليث لا يفترس عباد الله إلا بين الركوع والسجود ، ومحارب لا ينهب مال الله إلا بين العهود والشهود ؟ !

العلم

وذكر فى هذه الرسالة فصلا فى ذكر العلم وهو مستظرف البلاغة ، مستعذب البراعة ، قال :

والعلم أطال الله بقاء القاضى شىء كما تعرفه بعيد المرام ، لا يصاد بالسهام ، ولا يقسم بالأزلام ؛ ولا يرى فى المنام ، ولا يضبط باللجام ، ولا يورث عن الاعمام ولا يكتب للئام ، وزرع لا يزكو حتى يصادف من الحزم ثرى طيبا ، ومن التوفيق مطراً صيبا ؛ ومن الطبع جواً صافيا ، ومن الجهد روحاً دائما ، ومن الصبر سقيا نافعا ، والعلم علق لا يباع ممن زاد ، وصيد لا يألف الأوغاد ، وشىء لا يدرك إلا بنزوع الروح ، وعون الملائكة والروح ، وغرض لا يصاب إلا بافتراش المدر ، واستناد الحجر ، ورد الضجر ، وركوب الخطر ، وإدمان السهر ، واصطحاب السفر ، وكثرة النظر ،

وإعمال الفِكر ، ثم هو معتاص إلا على من زكا زرعه ، وخلا ذرعه ، وكرم أصله وفرعه ، ووعى بصره وسمعه ، وصفا ذهنه وطبعه ، فكيف يناله من أنفق صباه على الفحشاء ، وشبابه على الاحشاء ، وشغل نهاره بالجمع ، وليله بالجماع ، وقطع سلوته بالغنى ، وخلوته بالغناء ، وأفرغ جده فى الكيس ، وهزله فى الكاس ، والعلم ثمر لايصلح إلا للغرس ، ولا يغرس إلا فى النفس ، وصيد لا يقع إلا فى البذر ، ولا ينشب إلا فى الصدر ، وطائر لايخدعه إلا قفص اللفظ ، ولا يعقله إلا شرك الحفظ ، وبحر لايخوضه الملاح ، ولا تطيقه الألواح ، ولا تهيجه الرياح ، وجبل لايتسنم إلا بخُطا الفكر ، وسماء لايصعد إلا بمعراج الفهم ، ونجم لايلمس إلا بيد المجدّ

قوارع الهجاء

ومن مفردات الأبيات فى المعايب والمقابح قول أبى تمام

مساوٍ لو قُسِمن على الغوانى * لمــــا أمهرن إلا بالطلاقِ

آخر

قوم إذا جرّ جانٍ منهمو أمنوا * من لؤم أحسابهم أن يقتلوا قَوَدا

البحترى

نبا فى يدى وابن اللئيمة واجدٌ * وينبو الخبيث الطبع وهو ثقيل

ابن الرومى فى رجل يعرف بابن رمضان

رأيتك تدعى رمضان دعوى * وأنت نظير يوم الشك فيهِ

وله فى أعمى

كيف يرجو الحياء منه صديقٌ * ومكان الحياء منه خرابُ

غيره

هو الكلب إلا أن فيه ملالةً * وسوء مراعاةٍ وماذاك فى الكلبِ

آخر

أبا دلف يا أكذب الناس كلهم * سوایَ فأنى فى مديحك أكذب

أبو الفضل الميكالى

هو الشوك لايعطيك وافر منهِ * يد الدهر إلا حين تضربه جلدا

تعلموا النحو

قال المأمون لبعض ولده وسمع منه لحنا : ماعلى أحدكم أن يتعلم العربية ، فيقيم بها أَوَدَه ، ويزين بها مشهده ، ويفل حجج خصمه ، بمسكتات حكمه ، ويملك مجلس سلطانه ، بظاهر بيانه ، ليس لأحدكم أن يكون لسانه كلسان عبده أوأمته ، فلا يزال الدهر أسير كلمته

وقال رجل للحسن البصرى ياأبو سعيد قال كسب الدراهم شغلك أن تقول ياأبا سعيد ، ثم قال تعلموا العلم للأديان ، والنحو للسان ، والطب للابدان —

وكان الحسن كما قال الاعرابى وسمع كلامه : والله إنه لفصيح إذا لفظ ، نصيح إذا وعظ

وقيل له ياأبا سعيد مانراك تلحن ، قال سبقت اللحن ، أخذه أبو العتاهية

وقيل له إنك تخرج فى شعرك عن العروض ، فقال سبقت العروض

وقال اسحق بن خلف البهرانى

النحو يصلح من لسان إلا لكن * والمرء تعظِمُه إذا لم يلحنِ

فاذا طلبت من العلوم أجلها * فاجلُّها منها مقيم الألسن

وقال على بن بسام

رأيت لسان المرء رائد عله * وعنوانه فانظر بماذا تُعَنْوِنُ

ولا تعد إصلاح اللسان فانه * يخبر عما عنده ويُبيِّن

على أن للاعراب حدا وربما * سمعت من الاعراب ماليس يحسن

ولا خير فى اللفظ الكريه استماعه * ولا فى قبيح اللحن والقصد أزين

وقال بعض أهل العصر وهو أبو سعيد الرستمى

أفى الحق أن يعطى ثلاثون شاعراً * ويحرم مادون الرضا شاعر مثلى

كما سامحوا عمرا بواو زيادةٍ * وضويق بسم الله فى ألف الوصل

أبو الفتح البستى

حذفت وغيرى مثبتٌ فى مكانهِ * كأنىَ نون الجمع حين تضافُ

وقال

أفدى الغزال الذى فى النحو كلمنى * مناظراً فاجتنيت الشهد من شفته

فأورد الحجج المقبول شاهدها * محققاً ليرينى فضل معرفته

ثم اتفقنا على رأى رضيت به * النصب من صفتى والرفع من صفته

أبوالحسن اللحام :

أنا من وجوه النحو فيكم أفعل * ومن اللغات إذا تعدّ المهملُ

لوعة الشوق

وقال أحمد بن يوسف :

كتب غلام من ولد أنو شروان ممن كان أحد غلمان الديوان ، إلى آخر منهم وكان قد علق به ، وكان شديد الكلف به والمحبة له :

ليس من قدرى أدام الله سعادتك أن أقول لمثلك : جعلت فداك ، لأنى أراك فوق كل قيمة خطيرة ، وثمن معجز ، ولأن نفسى لا تساوى نفسك ، فتقبل فى فديتك ؛ على كل حال ؛ فجعلنى الله فداء ساعة من أيامك !

إعلم أيها السيد العلىّ المنزلة ، أنه لو كان لعبدك من شدة الخطب أمر يقف على حدد النعت ، لاجتهد أن يصف من ذلك ماعسى أن يعطف به زمام قلبك ، وتحنو على الرقة له والتحفى به أثناء جوانحك ، ولكن الذى

أمسيت وأصبحت ممتحنا به فيك منع عن كل بيان ، وندع عن كل لسان والحب أيها الملك لم يشبه قذى ريبة ، ولم يختلط به قلب معاب ، فلا ينبغى لمن كرمت أخلاقه أن يعاف مقاربة صاحبه المدل بحزم نيته . والذى أتمناه أيها المولى اللطيف مجلس أقف فيه أمامك ، ثم أبوح بما أضنى جسدى ، وفتت كبدى ، فان خف ذلك عليك ، ورأيت نشاطاً من نفسك إليه ، كنت كمن فك أسيراً وأبرأ عليلا ، ومن الخير سلك سبيلا يتوعر سلوكها على من كان قبله ، ويكون بعده ، ثم أضاف إلىّ منة لا يطيقها جبل راس ولا فلك دائر ، فرأيك أيها السيد المعتمد الاسعاف ، قبل أن ينذرنى الموت ، فيحول بينى وبين ما نزعت إليه النفس مواصلا برا ، إن شاء الله تعالى

فأجابه : تولى الله تعالى ماجرى به لسانك بالمزيد ، ولا أوحش ما بيننا بطائر فرقة ، ولا حافر تشتت ، وضمنا وإياك فى أوثق حبال الانس ، وأوكد أسباب الالفة ؛ وقفت على مالخصته من العجز عن بلوغ ماخامر قلبك ، وانطوى فى ضميرك ، من الشغف المقلقل ، والهوى المضرع ، ولعمرى لو كشف لك عن معشار مااشتمل عليه مضمر صدرى ، لأيقنت أن الذى عندك إذا نسبته إلى ماعندى كالمتلاشى الزائل ، ولكنك بفضل الانعام سبقتنا إلى كشف مافى الضمير . وأما طاعتى لك ، وذمامى اليك ، فطاعة العبد المقتنى ، الطائع لما يحكم له وعليه مولاه ومالكه . وأنا سائر إليك وقت كذا ، فتأهب لذلك بأجهد عافية ، وأتم عاقبة ، وأسعد نجم جرى بالألفة ان شاء الله تعالى

وكتب بعض الكتاب :

إنى لأكره أن أفديك بنفسى استحياء من التقصير فى المعاوضة ، ومن التخلف فى الموازنه ، وعلى الاحوال كلها . فقدم الله روحى عنك ، وصانى عن رؤية المكروه فيك

وقال المتنبي :

فدًى لك من يقصر عن مداكا * فلا ملكٌ إذنْ إلا فداكا
ولو قلنا فدًى لك من يساوى * دعونا بالبقاء لمن قلاكا
وآمنّا فداك كل نفس * وإن كانت لمملكة مِلاكا

ابنا المدبر

وكتب آخر الى ابراهيم وأحمد ابنى المدبر ، وقد أصابتهما محنة ثم أردفتها نعمه

لو قُبلت فيكما ، ودانيت قدريكما ، لقلت جعلنى الله فداكما ، ولكن أخرت عنكما، فلا أقبل فيكما . وقدبلغنى المحنة التى لومات انسانغما بها لكنته وكتب تحته :

وليس بتزويق اللسان وصوغهِ * ولكنه قد خالط اللحم والدما

ترك التعزية

وكتب ابنثوابة إلى عبيدالله بنسليمان يعتذرفى ترك مكاتبتهفىالتعزية :
أفديك بنفس لا بد لها من فناء ، ولا سبيل لها إلى بقاء ، ومن أظهر لك شيئاً وأضمر لك خلافه فقد غش ، والأمر إذا كانت الضرورة توجب أنه ملك لا يحقق ، وعطاء لا يتحصل ، لم يجب أن يخاطب به مثلك ، وإن كان عند قوم نهاية من نهايات التعظيم ، ودليلا من دلالات الاجتهاد ، وطريقا من طرقالتعزية

قتلى الحب

قال الزبير بن أبى بكر : قال لى مسلم بن عبيدالله بنجندب الهذلى خرجت أريد العقيق (١) ومعى زبان السواق : فلقينا نسوة فيهن امرأة لم أر أجمل

(١) العقيق : موضع بالقرب من المدينة

منها فانشدت بيتين لزيان :

ألا يا عباد الله هذا أخوكمُ قتيل فهل فيكم له اليوم ثائرُ (١)
خذوا بدمي إن متُّ كل خريدةٍ مريضة جفن العين والطرف ساحر (٢)

فقال زيان : شأنك بها يا ابن الكرام فالطلاق له لازم إن لم يكن دم أبيك في نقابها . فأقبلت عليّ وقالت : أنت ابن جندب ؟ فقلت نعم ! قالت : ان قتيلنا لا يُودى (٣) وأسيرنا لا يفدى ، فاغتنم لنفسك ، واحتسب أباك

بنو عذرة

قال أبو عبيدة : قال رجل من فزارة لرجل من بنى عذرة تعدون موتكم فى الحب مزية ، وإنما ذلك من ضعف البنية ، وعجز الروية ، فقال العذرى : أما إنكم لو رأيتم المحاجر البُلْج (٤) ترشق بالأعين الدُّعج (٥) فوقها الحواجب الزُّج (٦) وتحتها المباسم الفُلْج (٧) والشفاه السُّمر ، تفترّ عن الثنايا الغُر ، كأنها بَرَد الدُّر ، لجعلتموها اللات والعزى ، ورفضتم الاسلام وراء ظهوركم .

أوصاف الحسان

قال أعرابى دخلت بغداد فرأيت فيها عيونا دُعجاً ، وحواجب زُجا ، يسحبن الثياب ، ويسلبن الألباب

— وذكر أعرابى نساء فقال : ظعائن فى سوالفهن طول ؛ غير قبيحات

(١) ثائر : مطالب بدم القتيل . (٢) خريدة : خفرة طويلة السكوت خافضة الصوت (٣) لا يودى : لا تدفع ديته (٤) البلج : جمع أبلج وهو المشرق، والمحاجر جمع محجر وهو ما دار بالعين وبدا من البرقع (٥) الدعج : جمع دعجاء وهى العين يشتد فيها البياض مع السواد (٦) الزج : جمع أزج وهو الحاجب الدقيق (٧) الفلج : جمع أفلج وهو ما بين أسنانه تباعد

العُطول [1] إذا مشين أسبلن الذيول ، وإن ركبن أثقلن الحمول

وصف آخر نساء فقال : يتلثمن على السبائك [2] ويتشحن على النيازك [3] ويتزرن على العوائك [4] ويرتفقن على الأرائك [5] ويتهادين على الدوانك [6] ابتسامهن وميض [7] عن ثغر كالاغريض [8] وهن عن الصبا صُوَر [9] وعن الخنا نُور [10]

وصف الهوى

سئل بعض الحكماء عن الهوى ، فقال : هو جليس مُمْتع ، وأليف مؤنس ، وأحكامه جائرة ، ملك الأبدان وأرواحها ، والقلوب وخواطرها ، والعيون ونواظرها ، والنفوس وآراءها ، وأعطى زمام طاعتها ، وقياد مملكتها ، توارى عن الأبصار مدركه ، وغمض عن العقول مسلكه

وسئلت أعرابية عن الهوى فقالت : لا مُتّع الهوى بملكه ، ولا ملّى بسلطانه [11] وقبض الله يده ، وأوهن عضده ، فانه جائر لا ينصف فى حكم ، أعمى لا ينطق بعدل ، ولا يقصر فى ظلم ، ولا يرعوى للندم ، ولا ينقاد لحق ، ولا يبقى على عقل وفهم ، لو ملك الهوى وأُطيع لرد الأمور على أدبارها ، والدنيا على أعقابها

وسئل أعرابى عن الهوى فقال : هو داء تدوى به النفوس الصحاح ،

(١) العطول : التجرد من الحلى (٢) السبائك : قطع الفضة ، ومفردها سبيكة (٣) النيازك : جمع نيزك وهو الرمح القصير . يصف النساء بدقة الخصور وبأنهن يضعن الوشاح فوق أمثال النيازك (٤) العوائك : جمع عائك : وهى الرملة المنعقدة المرتفعة ، والمراد هنا الأرداف (٥) الأرائك : جمع أريكة وهى السرير ، ويرتفقن يتكئن (٦) الدوانك : جمع دونك وهى الطنافس (٧) الوميض : لمع البرق (٨) الاغريض : ما ينشق عنه الطلع من الحبيبات البيض (٩) صور مائلات (١٠) نور : جمع نَوُور وهى النفور من الريبة (١١) ملى ومتع بمعنى واحد

وتسل منه الأرواح ، وهو سقم مكتتم ، وجمر مضطرم ، فالقلوب له منضجة ، والعيون ساكبة

الأمر للهوى

قال عبيدالله بن محمد بن عمران المرزباني : أخبرني المظفر بن يحيى قال : أحب رجل امرأة دونه في القدر فعذله عمه فقال : يا عم ، لا تلم مجبرا على سقمه ، فان المقر على نفسه مستغن عن منازعة خصمه ، وإنما يُلام من اقترف ما يقدر على تركه ، وليس أمر الهوى إلى الرأى فيملكه ، ولا إلى العقل فيدبره ، بل قدرته أغلب ، وجانبه أعز من أن تنفذ فيه حيلة حازم ، ولطف محتال

وقال بعضهم : رأيت امرأتين من أهل المدينة تعاتب إحداهما الأخرى على هوى لها ، فقالت : انه يقال في الحكمة الغابرة ، والأمثال السائرة : لا تلومن من أساء بك الظن ، إذ جعلت نفسك هدفا للتهمة ، ومن لم يكن عونا على نفسه مع خصمه لم يكن معه شيء من عقدة الرأى ، ومن أقدم على هوى وهو يعلم ما فيه من سوء المغبة (١) سلط على نفسه لسان العذل ، وضيع الحزم . فقالت المعذولة : ليس أمر الهوى الى الرأى فيملكه ، ولا الى العقل فيدبره ، وهو أغلب قدرة وأمنع جانباً من أن ينفذ فيه رأى الحازم ، أو ما سمعت قول الشاعر

ليس خطب الهوى بخطب يسير * لا ينبّيك عنه مثل خبير
ليس أمر الهوى يدبر بالرأ * ى ولا بالقياس والتفكير
إنما الأمر في الهوى خطرات * محدثات الأمور بعد الأمور

قال المرزباني : أخبرني الصولي أن هذه الأبيات لعلية بنت المهدي ، ولها فيها لحن

(١) المغبة : العاقبة

وقيل لعبد الله بن المقفع : مابال العاقل المميز الذهن ، واللبيب الفطن ، يتعرض للحب وقد رأى منه مواضع الهلكة ، ومصارع التلف ، وعلم ماتؤول اليه عقباه ، وترجع به أخراه على أولاه ؟ فقال : زخرف ظاهر العشق بجمال زينته يستدعى القلوب إلى ملابسته ، وحلى عاجل حلاوته يطلب النفوس إلى ملابسته ، كظاهر زخرف الدنيا ، وبهاء رونقها ، ولذيذ جنى ثمرها ، وقد ذكرت أبصار قلوب أبنائها بالنظر الى قبيح عيوب أفعالها ، فهم فى بلائها منغمسون ، وفى هلكة فتنتها متورطون ، مع علمهم بسوء عواقب خطبها ، وتجرع مرارة شربها ، وسرعة استرجاعها ما وهبت ، واخراجها ماملكت ، فليس ينجو منها إلا من حذرها ، ولا يهلك فيها الا من أمنها ، وكذلك صورة الهوى ، هما فى الفتنة سواء.

تهذيب الأخلاق

وقال ابن دريد : قال بعض الحكماء : أغلق أبواب الشبهات بأقفال الزهادة ، وافتح أبواب البر بمفاتيح العبادة ، فان ذلك يدنيك من السعادة ، وتستوجب من الله الزيادة . وقال غيره إن اللذة مشوبة بالقبح ، ففكروا فى انقطاع اللذة وبقاء ذكر القبح

جمال العفاف

قال أبو عبيد الله بن ابراهيم بن عرفة :

ليس الظريف بكامل فى ظرفه * حتى يكون عن الحرام عفيفا
فاذا تعفف عن محارم ربه * فهناك يدعى فى الأنام ظريفا

وقال

كم قد ظفرت بمن أهوى فيمنعنى * منه الحياءُ وخوف الله والحذرُ
وكم خلوت بمن أهوى فيقنعنى * منه الفكاهة والتقبيل والنظرُ
أهوى الملاح وأهوى أن أجالسهم * وليس لى فى حرام منهمُ وطرُ(١)

(١) الوطر : الحاجة

كذلك الحب لا إتيان معصيةٍ * لاخير فى لذة من بعدها سقرُ

وقال العباس بن الأحنف :

أتأذنون لصب فى زيارتكم * فعندكم شهوات السمع والبصرِ (١)

وقال بعض الطالبيين :

رمونى وإياهم بشنعاءهم بها * أحق أدال الله منهم وعجّلا

بأمر تركناه ورب محمــــد * جميعاً ، فإما عفةً أو تجملا

وقال سعيد بن حميد :

زائر زارنا على غـــير وعدٍ * مُنْخطَف الكشحِ مثقل الأرداف (٢)

غالَبَ الخوْف حين غالبه الشـو * ق وأخفى الهوى وليس بخاف

غض طرفى عنـه تقى الله فاخترْ * ت عــــلى بذله بقاء التّصافى

ثم ولّى والخوف قد عمّ عِطْفيـــه ولم يخل من لباس العفاف

وفى الحديث الشريف « من أحب فعف فمـات فهو شهيد » والعفاف مع البذل ، كالاستطاعة مع العقل . كما قال صريع الغوانى :

وما ذمىَ الأيام أن لست مادحاً * لعهد لياليها التى سلفت قبـلُ

ألا رب يوم صادق العيش نلته * بها ونديمـاى العفافة والبذلُ

المبرد والسجستانى

وأنشد الصولى لأبى حاتم السجستانى فى المبرد وكان يلزم حلقته ، وكان من الملاح وهو غلام :

ماذا لقيت اليوم من * متمجن خنث الكلام (٣)

وقف الجمـــال بوجهه * فسمت له حدق الأنام

(١) سقط البيت الثانى فيما يظهر مع ان فيه الشاهد ، وهو :

لا يضمر السوء إن طال الجلوس به عف الضمير ولـكن فاسق النظر

(٢) مخطف الكشح : ضامر الخصر

(٣) متمجن : كثير المجون ، وخنث الكلام : لينه

حركاتهُ وسكونهُ * يجنى بها ثمرُ الآثام
فإذا خلوت بمثله * وعزمت فيه على اعتزامْ
لم أعدُ أخلاق العفا * ف وذاك أوكد للغرام
نفسى فداؤك يا أبا الـ * ـعباس حلّ بك اعتصام
فارحم أخاك فإنه * نزْر الكرى بادى السّقام
وأنِلهُ ما دون الحرا * م فليس يرغب فى الحرام

وكان أبو حاتم يتصدق كل يوم بدرهم ويختم القرآن كل أسبوع

ابن داود وابن شريح

وذكر أنه اجتمع أبو العباس بن شريح الشافعي وأبو بكر بن داود العباسي فى مجلس على بن عيسى بن الجراح الوزير ، فتناظرا بالكلام فى الإيلاء ، فقال ابن شريح أنت بقولك «من كثرت لحظاته دامت حسراته» أبصر منك بالكلام فى الإيلاء ، فقال أبو بكر لئن قلت ذلك فإنى أقول :

أنزّه فى روض المحاسن مقلتى * وأمنع نفسى أن تنال المحرما
وأحمل من ثِقل الهوى مالو انهُ * يصبّ على الصخر الأصمّ تهدما
وينطق طرفى عن مترجم خاطرى * فلولا اختلاسى ردّه لتكلما
رأيت الهوى دعوى من الناس كلهم * فلست أرى حبا صحيحا مسلما

فقال أبو العباس بم تفتخر علىّ وأنا لو شئت لقلت :

ومطاعم للشهد من نغماتهِ * قد بت أمنعه لذيذ سناتهِ
صبا بحسن حديثه وكلامه * وأكرر اللحظات فى وجناته
حتى إذا ماالصبح لاح عموده * ولّى بخاتم ربه وبراته

فقال أبو بكر : أصلح الله الوزير تحفظ عليه ماقال حتى يقيم شاهدين عدلين أنه ولى بخاتم ربه ! فقال أبو العباس يلزمنى فى هذا ما يلزمك فى قولك أنزه فى روض المحاسن مقلتى ، البيت ، فضحك الوزير وقال : لقد جمعتما ظرفا ، ولطفاً ، وفهماً ، وعلماً

محاسن النساء

ألفاظ لأهل العصر فى محاسن النساء

— هى روضة الحسن ، وضرة الشمس ، وبدر الأرض

— هى من وجهها فى صباح شامس (١) ومن شعرها فى ليل دامس (٢)

كأنها فلقة قمر على برج فضة

— بدر التم يضيء تحت نقابها ، وغصن البان يهتز تحت ثيابها

— ثغرها يجمع الضريب والضرب كأنه نثر الدر (٣) كما قال البحترى :

إذا نضون شفوف الريط آونة * قشرن من لؤلؤ البحرين أصدافا (٤)

— قد أنبت صدرها ثمر الشباب

— خرطت لها يد الشباب حقين من عاج

— كأنها البدر قُرِّط بالثريا (٥) ونيط بها عقد من الجوزاء

— أعلاها كالغصن ميال وأسفلها كالدعص منهال (٦)

— لها عنق كابريق اللجين ، وسرة كمدهن العاج

— نطاقها مجدب ، وإزارها مخصب

— مطلع الشمس من وجهها ، ونبت الدر من فمها ، وملقط الورد من خدها ، ومنبع السحر من طرفها ، ومبادى الليل من شعرها ، ومغرس الغصن من قدها ، ومهيل الرمل من ردفها

محاسن الغلمان

فقر فى محاسن الغلمان

— زاد جماله ، وأقمر هلاله

(١) شامس : مشمس (٢) دامس : مظلم (٣) الضريب : اللبن يحلب من عدة لقاح فى إناء . والضرب بالتحريك العسل الأبيض (٤) الشفوف جمع شف وهو الثوب الرقيق والريط كل ثوب لين

(٥) قرط : لبس القرط (٦) الدعص : الكثيب من الرمل

— ترقرق فى وجهه ماء الحسن

— شادنٌ فاترٌ طرفه ، ساحرٌ لفظه

— غلام تأخذه العين ، ويقبله القلب ، ويأخذه الطرف

— ترتاح اليه الروح

— تكاد القلوب تأكله ، والعيون تشربه

— جرى ماء الشباب فى عوده فتمايل كالغصن ، واستوفى ماء الحسن ولبس ديباجة الملاحة

— كأن البدر قد ركب على أزراره

— لا يشبع منه الناظر ، ولا يروى منه الخاطر

— كأن البدر يحكيه ، والشمس تشبهه وتضاهيه

— صورة تجلو الأبصار ، وتخجل الأقمار ، شادن منقب بالبدر ، ومكتحل بالسحر

— ماهو إلا نزهة الأبصار ، ومخجل الأقمار ، وبدعة الأمصار

— غمزات طرفه ، تخبر عن ظرفه ، ومنطقه ينطق عن وصفه ، تخال الشمس تبرقعت غرته ، والليل ناسب أصداغه وطرته

— الحسن مافوق أزراره ، والطيب ماتحت إزاره

— شادن يضحك عن الأقحوان ، ويتنفس عن الريحان ، كأن خده سكران من خمرة طرفه ، وبغداد مسروقة من حسنه وظرفه

— أعجمت يد الجمال نون صدغه بخال

— هذا محلول من قول ابن المعتز

غِلالة خدهِ صُبغت بوردٍ * ونون الصدغ معجمة بخالِ

— له عينان حشو أجفانهما السحر ، كأنه قد أعار الظبي جيده ، والغصن قده ، والراح ريحه ، والورد خده

— الشّكل من حركاته (١) وجميع الحسن من بعض صفاته

— قد ملك أزمة القلوب ، وأظهر حجة الذنوب (٢) كأنما وسمه الجمال بنهايته ، ولحظه الفلك بعنايته ، فصاغه من ليله ونهاره ، وحلاه بنجومه وأقماره ، ونقبه ببدائع آثاره ، ورمقه بنواظر سعوده ، وجعله بالكمال أحد جنوده

— قد صبغ الحياء غلالة وجهه ، ونشر لؤلؤ العرق عن ورد خده

— تكاد الألحاظ تسفك من خده دم الخجل

— له طرّة كالغسق ، على غرة كالفلق

— جاءنا فى غلالة تنم على مايستره ، وتحنو مع رقتها على مايظهره

— وجه بماء الحسن مغسول ، وطرف بمرود السحر مكحول

— ثغر حمى حماية الثغور ، وجمل درة لقلائد النحور

— السحر فى ألحاظه ، والشهد فى ألفاظه

— اختلس قامة الغصن ، وتوشح بمطارف الحسن ، كالروض غب المزن ،

— الأرض مشرقة بنور وجهه ، وليل الستر فى مثل شعره

— الجنة مجتناة من قربه ، وماء الجمال يترقرق فى خده ، ومحاسن الربيع بين سحره ونحره ، والقمر فضلة من حسنه

— ماهو إلا خال فى خد الظرف ، وطراز على علم الحسن ، ووردة فى غصن الدهر ، ونقش على خاتم الملك ، وشمس فى فلك اللطف

— هو قمر فى التصوير ، شمس فى التأثير ، بنظر يملأ العيون ، ويملك النفوس . ذرافين أصداغه معاليق القلوب (٣) كأن صدغه فرط من المسك على عارض البدر

— وجهه عرس ، وصدغه مأتم . ووصله جنة ، وهجره جهنم

(١) الشكل بالكسر : الغنج والدلال (٢) أظهر حجة الذنوب : يريد أن جماله حجة على أن المفتون به معذور لا إثم عليه ، قال :

وجهك المعشوق حجتنا يوم يأتى الناس بالحجج

(٣) يريد عقارب الصدغ وهى الشعور الملتوية التى ترسل عليه

— قد اتخذت أصداغه شكل العقارب ، وظلمت ظلم الأقارب ، إن كان عقرب صدغه يلسع ، فترياق ريقه ينفع

— كأن شاربه زئبر الخز الأخضر (١) وعـذاره طراز المسك والعنبر ، على الورد الأحمر

— إذا تكلم تـكشف حجاب الزمرد والعقيق ، عن سمط الدر الأنيق

— قد همّ أرقم الشعر على شاربه ، وكاد فم الحسن يقبله

— كأن العذار ينقش فص وجهه ، ويخرق فضة خده

— طرز الجمـال ديباج وجهه ، وأبان عذاره العذر فى حبه

كيف لايخضرّ شاربهُ ✻ ومياه الحسن تسقيهِ

ذم خروج اللحية

فقر لهم فى نقيض ذلك ، فى ذم خروج اللحية

— قد انتقب بالديجور ، بعد النور (٢) فدولة حسنه قد أعرضت أيامها ، وانقرضت دولته وأحكامها

— استحال خده دجا ، وزمرد خـده سبجا ، وأخمدت نار حسنه بعـد الاتقاد ، ولبس عارضه ثوب الحداد

— ذبل ورد خده ، وتشوك زعفران خطه

— فارقنا خشفًا ، ووافانا جلفا ،

— فارقنا هلالا وغزالا ، وعاودنا وبالا ونكالا

— مالى أرى الآباط حاشـية (٣) والآناف معشبة (٤) والعيون منورة ، والأزرار مرعى ، والأظفار حما (٥) واللحى لبودا ، والأسنان خضرا وسودا

---

(١) الزئبر : الزغب (٢) الديجور : الظلمة (٣) يريد أن الشعر نبت فى إبطه
(٤) إعشاب الانف كناية عن كثرة الشعر فيه (٥) الحم : الفحم

رسالة لبديع الزمان

وكتب إلى بديع الزمان بعض من عزل عن ولاية حسنة يستمد وداده، ويستميل فؤاده، فأجابه بما نسخته :

— وردت رقعتك أطال الله بقاءك، فأعرتها طرف التعزز، ومددت إليها يد التقزز، وجمعت عنها ذيل التحرز، فلم تند على كبدى، ولم تحظ بناظرى ويدى، وخطبت من مودتى مالم أجدك لها كفيا، وطلبت من عشرتى ما لم أرك لها رضيا، وقلت هذا الذى رفع عنا أجفان طرفه، وشال بشعرات أنفه، وتاه بحسن قده، وزها بورد خده، ولم يسقنا من نوئه، ولم نسر بضوئه، فالآن إذ نسخ الدهر آية حسنه، وأقام مائل غصنه، وفثأ غرب عجبه (١) وكفَّ زهر زهوه، وانتصر لنا منه بشعرات كسفت هلاله، وأكسفت باله، ومسخت جماله، وغيرت حاله، وكدرت شِرْعته، ونكّرت طلعته، جاء يستقى من جرفنا جرفا، ويغرف من طينتنا غرفا، فهلا يا أبا الفضل مهلا

أرغبت فينا إذ علا * ك الشعر فى خد قحِلْ
وخرجت من حد الظبا * ءِ وصرت فى حد الإبل
الآن تطلب عشرتى * عد للعداوة يا خجل

أنسيت أيامك : إذ تكلمنا نزرا، وتنظرنا شزرا . وتجالس من حضر، ونسترق إليك النظر، ونهتز لكلامك، ونهش لسلامك

فمن لك بالعين التى كنت مدةً * إليك بها فى سالف الدهر أنظر

أيام كنت تتمايل، والأعضاء تتزايل، وتتغانج، والأجساد تتفالج، وتتلفت، والأكباد تتفتت، وتخطر وترفل، والوجد بنا يعلو ويسفل، وتدبر وتقبل، فتنسي وتخجل، وتعرض، فتضنى وتمرض

وتبسم عن ألمى كأن منورا * تخلل حر الرمل غض له ند

---

(١) فثأ غرب عجبه : كسر حدة كبره

فاقصر الآن ، فانه سوق كسد ، ومتاع فسد ، ودولة أعرضت ، وأيام تقضت

وعهد نفاق مضى * وسوق كساد نزل
ووجد كأن لم يكن * وخط كأن لم يزل

ويوم صارأمس ، وحسرة بقيت فى النفس ، وثغرغاض ماؤه فلايرشف ، وريق خدع فلاينشف ، وتمايل لايعجب ، وتثن لايطرب ، ومقلة لاتجرح ألحاظها ، وشفة لا تفتن ألفاظها ، لختام تدل وإلام ، ولم نحتمل وعلام ، وآن أن تذعن الآن ، وقد بلغنى ما أنت متعاطيه من تمويه يجوز بعد العشاء فى الغسق ، وتشبيه يفتضح عند ذوى البصر والصدق ، وإفنائك لتلك الشعرات حفا وحصا ، وإنحائك عليها نتفا وقصا ، وسيكفينا الدهر مؤونة الانكار عليك ، بما يزف من بنات الشعر وأمهاته إليك ، فأما مااستأذنت فيه رأيى من الاختلاف إلى مجلسى فما أقل فيك نشاطى ، وأضيق عنك بساطى ، وأشبع قلبى من عبورك ، وأشد استغنائى عن حضورك ، فان حضرت لنروض عنك الحلم ، ونتعلم بك الصبر ، ونتكلف فيك الاحتمال ، ونغضى منك الجفن على قذى ، ونطوى منك الصدر على أذى ، ونجعلك للقلوب تأنيبا ، وللعيون تأديبا ، فافعل ، ومالك الآن تعتاض من الرغبة عنا رغبة فينا ، ومن ذلك التدلل علينا تذللا لنا ، ومن ذلك التعالى تبصبصا . ومن ذلك التغالى ترخصا ، وما بال الدهر أبدلك من التزايد تنقصا ، ومن التسحب على الاخوان تقمصا ، ولئن اعتضت من الذهاب رجوعا ، لقد اعتضنا من النزاع نزوعا ، فانا برحلك وجانبك ، ملق حبلك على غاربك ، لا أوثر قربك ، ولا أنده سربك ، والسلام

المقامة الأسدية

ومن إنشاء بديع الزمان فى مقامات الاسكندرى ولعل ما فيها من الطول غير مملول . قال :

حدثنا عيسى بن هشام قال : كان يبلغنى من مقامات الاسكندرى ما يصغى له النفور ، وينتفض له العصفور ، ويروى لى من شعره ما يمتزج بأجزاء الهواء رقة ، ويغمض عن أوهام الكهنة دقة ، وأنا أسأل الله بقاءه ، حتى أرزق لقاءه ، وأتعجب من قعود همته بحالته ، مع حسن آلته ، وقد ضرب الدهر شؤونه ، امتداداً دونه(١) . وهلم جرا ، إلى أن اتفقت لى حاجة بحمص (٢) فشحذت إليها الحرص فى صحبة أفراد كنجوم الليل ، أحلاس لظهور الخيل(٣) فأخذنا الطريق تنهب مسافته ، ونستأصل شأفته ، ولم نزل نفرى أسنمة النجاد (٤) بتلك الجياد ، حتى صرن كالعصى ، ورجعن كالقسى ، وتاح لنا واد فى سفح جبل ذى ألاء وأثل (٥) كالعذارى يسرحن الضفائر ، وينشرن الغدائر ، فمالت الهاجرة بنا إليها فنزلنا نغوّر ونغوّر (٧) وربطنا الأفراس بالأمراس (٦) وملنا مع النعاس ، فما راعنا إلا صهيل الخيول ، ونظرت إلى فرسى وقد أرهف أذنيه (٨) وطمح بعينيه يجذ قوى الحبل بمشافره (٩) ويخد خد الأرض بحوافره (١٠) ثم اضطربت الخيل فأرسلت

(١) يريد أن الدهر مد شؤونه وصروفه بين الاسكندرى وبين غاياته

(٢) حمص بلد قديم بين دمشق وحلب ، وفيه يقول بعض الشعراء

خليلىّ إن حانت بحمص منيتى فلا تدفنانى وارفعانى إلى نجد
ومرا على أهل الجناب بأعظمى وان لم يكن أهل الجناب على القصد
وان أنتما لم ترفعانى فسلما على صارة فالقور فالأباق الفرد
لكيما أرى البرق الذى أومضت له ذرى المزن علويا وماذا لنا يبدى

(٣) الأحلاس جمع حلس بالكسر وهو كساء تجلل به الدابة تحت البردعة ، وهم أحلاس الخيل أى ملازمو ركوبها حتى كأنهم لها أحلاس (٤) تفرى تقطع ، والنجاد : جمع نجد وهو ما ارتفع من الأرض (٥) تاح ظهر ، والألاء شجر مر الطعم فى ورقه وثمره . لكنه حسن المنظر دائم الخضرة . والأثل شجر يشبه الطرفاء (٦) نغور : بتشديد الواو نأتى إلى الغور وهو المطمئن من الأرض ، ونغور نقيل (٧) الامراس: الحبال (٨) أرهف أذنيه رفعهما وحددهما كأنهما شفرتان (٩) يجذ : يقطع (١٠) يخد : يشق

الأبوال ، وقطعت الحبال ، وثار كل منا الى سلاحه ، فاذا الأسد فى فروة الموت قد طلع من غابه (١) منتفخا فى إهابه ، كاشرا عن أنيابه ، بطرف قد ملىء صلفا (٢) وأنف قد حشى أنفا ، وصدر لايبرحه القلب (٣) ولا يسكنه الرعب ، فقلنا خطب والله ملم ، وحادث مهم ، وتبادر اليه من سرْعان الرفقة فتى (٤)

أخضر الجلدة من بيت العرب * يملأ الدلو الى عقد الكرب

بقلب ساقه قدَر ، وسيف كله أثر (٥) فملكته سورة الأسد ، فخانته أرض قدمه ، حتى سقط ليده وفمه ، وتجاوز الأسد مصرعه ، الى من كان معه ، ودعا الحين أخاه ، الى مثل مادعاه (٦) فسار اليه ، وعقل الرعب يديه ، فأخذ أرضه (٧) وافترس الليث صدره ، ولكن شغلت بعمامتى فمه ، حتى حقنت دمه ، وقام الفتى فوجأ بطنه (٨) حتى هلك من خوفه ، والأسد بالوجأة فى جوفه (٩) ونهضنا على أثر الخيل فتألفنا منها ماثبت ، وتركنا ماأفلت ، وعدنا الى الرفيق نجهزه

ولما حثونا الترب فوق رفيقنا * جزعنا ولكن أى ساعة مجزع

وعدنا الى الفلاة فهبطنا أرضها وسرنا حتى إذا ضمرت المزاد (١٠) ونفد الزاد أو كاد يدركه النفاد ، ولم نملك الدرب ولا الرجوع ، وخفنا القاتلين الظمأ والجوع عنّ لنا فارس فصمدنا صمده ، وقصدنا قصده ، ولما بلغنا

---

(١) الفروة : اللباس . يذكر أن الاسد لبس ثوب الموت (٢) الصلف : العجب والكبرياء (٣) برز الاسد بصدر لا يبرحه القلب ، أى بثبات ورباطة جأش فهو ليس كالجبان الذى يطير لبه عند البأس (٤) سرعان : جمع سريع (٥) الأثْر : بفتح فسكون جوهر السيف (٦) الحين : الهلاك (٧) أخذ أرضه : كناية عن السقوط (٨) وجأ بطنه : شقه (٩) يريد أن الاسد هلك من شق جوفه كما هلك الفتى من خوفه (١٠) المزاد جمع مزداة وهى القربة وضمورها كناية عن نفاد مافيها من الماء

نزل عن حاذ فرسه (١) يفتش الأرض بشفتيه ، ويلقى التراب بيديه ، وعمدنى من بين الجماعة فقبل ركابى ، وتحرّم بجنابى ، ونظرت فاذا وجه يبرق برق العارض المتهلل ، وفرس متى ترق العين فيه تسهّل (٢) وعارض قد اخضر ، وشارب قد طر (٣) وساعد ملآن وقضيب ريان ، ونجار تركى ، وزىّ ملكى ، فقلت مابالك ، لاأبالك ! فقال أنا عبد بعض الملوك همّ من قتلى بهم (٤) فهمت على وجهى إلى حيث ترانى ، وشهدت شواهد حاله ، على صدق مقاله ، ثم قال : أنا اليوم عبدك . ومالى مالك فقلت بشرى لك ، وبك أداك سيرك الى فناء رحب ، وعيش رطب ، وهنأتى الجماعة ، بحسب الاستطاعة ، وجعل ينظر فتقتلنا ألحاظه ، وينطق فتفتننا ألفاظه ، والنفس تناجينى فيه بالمحظور ، والشيطان من وراء الغرور ، فقال : ياسادتى ان فى سفح هذا الجبل عيناً ، وقد ركبتم فلاة عوراء (٥) فخذوا من هنالك الماء ، فلوينا الأعنة إلى حيث أشار ، وبلغناه وقدصهرت الهاجرة الأبدان(٦) وركبت الجنادب العيدان (٧) فقال ألا تقيلون فى هذا الظل الرحب ، على هذا الماء العذب ؟ فقلنا أنت وذاك ، فنزل عن فرسه ، ونحّى منطقته ، وحل قُرطقته (٨) فما استتر عنا إلا بغلالة على بدنه ، فما شككنا أنه خاصم الولدان ، ففارق الجنان ، وهرب من رضوان (٩) وعمد إلى السروج فحطها ، وإلى الافراس فحلها ، وإلى الأمكنة ففرشها ، وقد حارت البصائر

---

(١) حاذ الفرس ظهره (٢) متى ما ترق العين فيه تسهل : يريد ان العين تفتن بأعلاه وبأسفله معا (٣) طر الشارب : نبت (٤) الهم : العزم (٥) يقال للبادية اذا فقدت ماءها : عوراء (٦) الهاجرة والهجيرة : حر الشمس ، وصهرت الهجيرة الجسم : أذابته (٧) إنما تركب الجنادب العيدان إذا اشتد الحر (٨) القرطق : نوع من الكساء (٩) يريد أنه وسيم جميل

فيه ، ووقعت الأبصار عليه ، وودّ كل منا شبقاً وخشناً للفظه ، وقلت يا فتى ما ألطفك فى الخدمة ، وأحسنك فى الجملة ، فالويل لمن فارقته . وطوبى لمن رافقته ، فكيف نشكر الله على النعمة بك ! فقال ما سترونه أكثر ، أتعجبكم خفتى فى الخدمة ، فكيف لو رأيتمونى فى الوقعة ، أريكم من حربى طرفا ، لتزدادوا بى شغفاً ، فقلنا هات فعمد إلى قوس فأوتره ، وفوّق سهما فرماه فى السماء ، وأتبعه بآخر فشقه فى الهواء ، وقال سأريكم نوعا آخر : ثم عمد إلى كنانتى فأخذها ، وإلى فرسى فعلاه ، ورمى أحدنا بسهم أثبته فى صدره ، وآخر طيّره من ظهره ، فقلت ويحك ما تصنع ، قال اسكت يالُكَع ، والله ليشدنّ كل منكم يد رفيقه ، أو لأغصّنه بريقه ، فلم ندر ما نصنع ، وأفراسنا مربوطة ، وسروجنا محطوطة ، وأسلحتنا بعيدة ، وهو راكب ونحن رجّالة ، والقوس فى يده يرشق بها الظهور ، ويشق بها البطون والصدور ، وحين رأينا منه الجد ، أخذنا القِد(١) فشد بعضنا بعضا ، ووقفت وحدى لا أجد من يشدنى ، فقال اخرج باهابك عن ثيابك ، ثم نزل عن فرسه ، وجعل يصفع الواحد منا بعد الواحد ، ويقول : أقمت قضيبك ، فخذ نصيبك ، وسار إلىّ وعلىّ خفان جديدان ، فقال اخلعهما لا أم لك ، فقلت هذا خف لبسته رطباً فليس يمكننى خلعه ، فقال علىّ نزعه ، ثم دنا لينزع الخف ، ومددت يدى إلى سكين فيه وهو مشغول ، فأثبته فى بطنه ، وأبنته من متنه(٢) ، فما زاد على فم فغره(٣) وألقمه حجره ، وقمت إلى أصحابى فحللت أيديهم ، وتوزعنا سلَب المقتولين ، وأدركنا الرفيق وقد جاد بنفسه ، وصار إلى رمسه ، وصرنا إلى الطريق فوردنا حمص بعد ليال ، فلما انتهينا إلى فرضة من سوقها رأينا رجلا قد قام على رأس ابن وبُنَيّة ، بجراب وعُصَيّة ، وهو يقول :

---

(١) القد : السير من جلد غير مدبوغ يوثق به الأسرى (٢) المتن : الظهر
(٣) فغره : فتحه

رحم الله من حشا * فى جرابى مكارمه
رحم الله من رنى * لسعيدٍ وفاطمه
إنه خادم لكم * وهى لا شك خادمه

قال عيسى فقلت إن الرجل هو الاسكندرى الذى سمعت به وسألت عنه ، فإذا هو هو ، فدلفت إليه ، فقلت له : حكمك حكمك ، فقال درهم ، فقلت :

لك درهم فى مثلهِ * ما دام يسعدنى النفَسْ
فاحسب حسابك والتمس * كيما تنال الملتمَس

لك درهم فى اثنين فى ثلاثة فى أربعة فى خمسة حتى بلغت العشرين ، ثم قلت : كم معك ؟ قال عشرون رغيفاً ، فأمرت له بها ، وقلت لا نصرة مع الخذلان ، ولا حيلة مع الحرمان

فتنة الحسن

وقال أبو فراس الحمدانى :

سكرت من لحظه لا من مدامته * ومال بالنوم عن عينى تمايلهُ
وما السلاف دهتنى بل سوالفهُ * ولا الشَّمول دهتنى بل شمائلهُ
ألوى بصبرىَ أصداغٌ لُوِينَ لهُ * وغال عقلى بما تحوى غلائلهُ

وقال ابن المعتز وقد تقدم عنه فى هذه الألفاظ :

ويوم فاحمىّ الدجن مُرخٍ * عزاليه بهطل وانهمال (١)
أبحت سروره وظللت فيهِ * برغم العاذلات رخىَّ بال
وساق يجعل المنديل منهُ * مكان حمائل السيف الطوالِ

(١) فاحمى الدجن : أسود السحاب ، والعزالى : جمع عزلاء وهى مصب الماء والمراد بها السحابة الماطرة

غلالة خـده صبغت بوردٍ * ونون الصدغ معجون بخـالِ
بدا والصبح تحت الليـل باد * كطِرف أبلق مرخى الجِلال(١)
بكأس من زجاج فيـه أسدٌ * فرائسهن ألباب الرجال (٢)
أقول وقد أخذت الكاس منه * وقتك السوء ربّات الحجال(٣)

وقد أحسن ماشاء فى قوله :

فرائسهن ألباب الرجال

وإن كان أصل المعنى لأبى نواس فى ذكر تصاوير الكاس

ملاعب أبى نواس

قال الصولى : مر أبو نواس بالمدائن فعدل إلى ساباط (٤) فقـال بعض أصحابه ندخل إيوان كسرى ، فرأينا آثاراً فى مكان حسن تدل على اجتماع كان لقوم قبلنـا ، فأقمنا خمسـة أيام نشرب هناك ، وسألنا أبا نواس صفـة الحال فقال :

ودار ندامى عطلوها وأدلجوا * بها أثر منهم جديدٌ ودارسُ
مساحب من جر الزقاق على الثرى * وأضغاثُ ريحان جنىٌّ ويابس
ولم أر منهم غـير ما شهـدت بهِ * بشرقى ساباطَ الديار البسابس(٥)
اصحي فجمعت شملهم * وإنى على أمثـال تلك لحابس
أقمنا بهـا يوماً ويوماً وثالثاً * ويوم له يوم الترحـل خامس
تدار علينا الراح فى عسجـديةٍ * حبَتْها بأنواع التصاوير فارس
قرارتها كسرى وفى جنباتهـا * مهًا تدّريها بالقِسِىّ الفوارسُ

(١) الطرف : الكريم من الخيل ، والجلال : جمع جل وهو ما يلبسه الفرس
(٢) فيه أسد : يريد أن فيه صور أسود (٣) ربات الحجال هى النساء
(٤) ساباط : مكان بالمدائن (٥) البسابس القفار

فللراح مازرّت عليه جيوبها * وللماء مادارت عليه القلانس

وقال على بن العباس النوبختى قال لى البحترى أتدرى من أين أخذ الحسن قوله :

ولم أر منهم غير ما شهدت به

البيت ؟ فقلت لا . قال من قول أبى خراش :

ولم أدر من ألقى عليه رداءه * سوى أنه قد سُلّ عن ماجدٍ محض

فقلت المعنى يختلف ، فقال إنا نرى حذو الكلام واحداً ، وإن اختلف المعنى.

المعانى النادرة

قال الجاحظ نظرنا فى الشعر القديم والمحدث فوجدنا المعنى يقلب ويؤخذ بعضه من بعض غير قول عنترة فى الأوائل :

وخلا الذباب بها فليس ببارحٍ * غرداً كفعل الشارب المترنم

هزِجا يحك ذراعه بذراعـهِ * قدح المكبّ على الزناد الأجذم

وقول أبى نواس فى المحدثين :

قرارتها كسرى وفى جنباتها * مهاً تدّريها بالقسى الفوارس

فللراح ما زرّت عليه جيوبها * وللماء مادارت عليه القلانس

أخذه أبو العباس الناشىء فقال وولّد معنى زائداً :

ومدامة لا يبتغى من ربه * أحد حباه بها لديه مزيدا

فى كأسها صور تظن لحسنها * عرُبا برزن من الخيام وغيدا

واذا المزاج أثارها فتقسمت * ذهباً ودُرا توأماً وفريدا

فكأنهن لبسن ذاك مجاسدا * وجعلن ذا لنحورهن عقودا

عروة وخراش

أبيات أبي خراش — وكان خراش وعروة غزوا ثمالة فأسروهما، وأخذوهما، وهموا بقتلهما ، فنهاهم رزام وأبى بنو هلال الا قتلهما ، وأقبل رجل من بنى رزام فألقى على خراش رداءه ، وشغل القوم بقتل عروة ، وقال الرجل لأبى خراش انجه فنجا الى ابنه فأخبره الخبر ، ولا تعرف العرب رجلا مدح من لا يعرفه غيره :

حمدت إلهى بعد عروة اذ نجا * خراش وبعض الشر أهون من بعض
فو الله لا أنسى قتيلا رُزئته * بجانب قوسى ما مشيت على الأرض [١]
بلى إنها تعفو الكلوم وانما * نوكّل بالأدنى وان جلّ ما يمضى
ولم أدر من ألقى عليه رداءهُ * سوى أنه قد سل من ماجد محض
ولم يك مثلوج الفواد مهبّجاً * أضاع الشباب فى الربيلة والخفض [٢]
ولكنه قد لوحته مخامُص * على أنه ذو مِرة صادق النهض [٣]
كأنهم يستثبتون بطائر * خفيف المساعى عظمه غير ذى مخض
يبادر فوت الليل فهو مهايد * يحث الجناح بالبسيط وبالقبض

الربيلة : الخفض والدعة ، والمهايد المجتهد فى العدْو والطيران

وقال أبو خراش يرثى أخاه عروة

تقول أراه بعد عروة لاهياً * وذلك رُزْء لو علمت جليلُ
فلا تحسبي أنى تناسيت عهدهُ * ولكنّ صبرى يا أُميمَ جميل
ألم تعلمى أن قد تفرق قبلنا * خليلا صفاء مالك وعقيل
وأنى اذا ما الصبح أقبس ضوءه * يعاودنى قطع علىّ ثقيل
أبى الصبر أنى لا أزال بمهجتى * قليب لنا فيما مضى ومقيل

---

(١) قوسى : اسم مكان (٢) المهبج : الثقيل النفس (٣) المرة بالكسر : القوة

نديما جذيمة

مالك وعقيل اللذان ذكرهما نديما جذيمة الأبرش وكانا أتياه بابن أخته عمرو وكان قد استهوته الجن ، فناهما فتمنيا منادمته ، وهما اللذان عنى متمم ابن نويرة فى مرثية أخيه مالك:

وكنا كندمانى جذيمة حقبةً * من الدهر حتى قيل لن يتصدّعا
فلما تفرقنا كأنّى ومالكا * لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

رنين الذباب

وقول عنترة فى وصف الذباب أوحد فرد ، ويتيم فذ ، وقد تعلق ابن الرومى بذيله وزاد معنى آخر فى قوله :

اذا ارتفعت شمس الأصيل ونفضت * على الأفق الغربىّ ورساً مزعزعا (١)
ولاحظت النوّار وهى مريضةٌ * وقد وضعت خداً على الارض أضرعا
كما لاحظت عوّادها عين مدنف * توجّع من أوصابه ما توجعا
وبين أغضاء الفراق عليهما * كأنّما خلا صفاء تودعا
وقد ضربت فى خضرة الروض صفرةٌ * من الشمس فاخضر اخضراراً مشعشعا
وظلت عيون النوّر تخضلّ بالندى * كما اغرورقت عين الشجىّ لتدمعا
وأذكى نسيم الروض ريحان ظله * وغنى مغنى الطير فيه مرجعا
وغرد ربعىّ الذباب خلاله * كما حثحث النشوان صنجاً مشرّعا
فكانت أرانين الذباب هناكمُ * على شدوات الطير ضربا موقعا

(١) الورس: نبت أصفر يصبغ به

وير الكؤوس

وذكر أبو نواس معنى قوله فى تصاوير الكؤوس فى مواضع من شعره فمن ذلك :

بنينا على كسرى سماء مدامةٍ * مكللة حافاتها بنجوم
فلو رُدّ فى كسرى بن ساسانَ روحهُ * إذًا لاصطفانى دون كل نديمِ

وصف الاطلال

وأول هذا الشعر :

لمن دمنٌ تزداد طيب نسيم * على طول ماأقوَت وحسن رسوم (١)
تجافى البلى عنهنّ حتى كأنما * لبسن على الإقواء ثوب نعيم

وهذا معنى مليح وإن أخذه من قول اعرابى :

شطت بهم عنك دمنة قدمتْ * غادرت الشعب غير ملتئم
واستودعت سرها الديار فما * تزداد طيباً إلا على القدم

وهذا ضد قول محمد بن وهب :

طللان طال عليهما الأمد * درسا فلا عَلَمٌ ولاقصَدُ (٢)
لبسا البلى فكأنما وجدا * بعد الأحبة مثل ما أجد

وقال الأخطل :

لأسماءَ مُحْتَلٌ بناظرة البشر * قديمٌ ولمّا يعفه سالف الدهرِ
يكاد من العرفان يضحك رسمه * وكم من ليال للديار ومن شهرِ

هذا أيضا كقول أبى صخر الهذلى :

لليلى بذات الجيش دار عرفتها * وأخرى بذات البين آياتها سطر (٣)

(١) اقوت من الاقواء وهو الاقفار (٢) القصد الرسم (٣) آياتها سطر : علاماتها ممحوة

كأنهما للآن لم يتفرقا * وقد مرّ للدارين من بعدنا عصرُ

وقال ابن أحمر العقيلى

تراها على طول القواء جديدةً * وعهد المغانى بالحلول قديمُ

وقرأ الزبير بن بكار أخبار أبى السائب فلما بلغ الى قول مالك بن أسماء الفزارى

بكت الديار لفقد ساكنها * أفعند قلبي أبتغى الصبرا

هذا البيت نظير قول ابن وهب

بيناهُمُ سكنٌ لجارهمُ * ذكروا الفراق فأصبحوا سَفْرا
فظللت ذا ولهٍ يعاتبنى * من لايرى مثلى له أمرا

وان أبا السائب قال عند سماع البيت الأوسط : ما أسرع ما اهتدوا ! أما قدّموا ركابا ، أما ودعوا صديقا ! فقال الزبير رحم الله أبا السائب فكيف لو سمع قول العباس ابن الأحنف :

سألونا عن حالنا كيف أنتم * فقَرَنَّا وداعنا بالسؤال
ما أنخنا حتى ارتحلنا فما فرّ * قت بين النزول والإرتحال

هكذا رواها الزبير بن بكار لمالك بن أسماء ورواها غيره لأيوب بن شعيب الباهلى

صفة الديار الخالية

ألفاظ لأهل العصر فى صفة الديار الخالية

دار لبست البلى وتعطلت من الحلى — دار قد صارت من أهلها خالية ، بعد ما كانت بهم حالية — دار قد أنفد البين سكانها ، وأقعد حيطانها ، شاهداليأس منهاينطق، وحبل الرجاء فيهايقصر، كأن عمرانها يطوى وخرابها ينشر. أركانها قيام وقعود ، وحيطانها ركّع وسجود

ـ ويشبه الأول من قول مالك بن أسماء قول مزاحم العقيلى

بكت دارهم من فقدهم فتهللت * دموعي فأى الجازعين ألوم
أمستعبر يبكى على اللهو والبلى * أم آخر يبكى شجوه فيهم

أبو الطيب المتنبي

لك يا منازل فى القلوب منازل * قفرت أنتِ وهن منك أواهلُ
يعلمن ذاك وما علمت وإنما * أولاكما يبكى عليه العاقل

ما سلم حتى ودع

وقال على بن جبلة فى معنى قول العباس بن الأحنف

زائرٌ نمّ عليه حسنه * كيف يخفى الليل بدرا طلعا
بأبى من زارنى مكتتما * خائفاً من كل أمر جزعا
رصد الغفلة حتى أمكنت * ورعى الساهر حتى هجعا
ركب الأهوال فى زورته * ثم ما سلم حتى ودعا

وقال الحسين بن الضحاك :

بأبى من وددته فافترقنا * وقضى الله بعد ذاك اجتماعا
فافترقنا حولا فلما اجتمعنا * كان تسليمه علىّ وداعا

خالد الكاتب

وقال أبو الحسن جحظة قال لى خالد الكاتب : دخلت يوماً بعض الديارات فاذا أنا بشاب موثق فى أصفاد . حسن الوجه فسلمت عليه فرد علىّ السلام ، وقال من أنت ؟ قلت خالد بن زيد . فقال صاحب المقطعات الرقيقة ؟ قلت : نعم ! فقال إن رأيت أن تفرج عنى ببعضها تنشدنى من شعرك فافعل ، فأنشدته :

ترشفت من شفتيها عقاراً * وقبلت من خدها جلّنارا
وعانقت منها كثيباً مهيلا * وغصنا رطيباً وبدراً أنارا

وأبصرت من نورها فى الظلام * بكل مكان بليل نهارا

فقال أحسنت لا يفضض الله فاك ، ثم قال أجز لى هذين البيتين

رب ليل أمدّ من نفس العا * شق طولاً قطعته بانتحابِ

وحديث ألذ من نظر الوا * مق بدلته بسوء العتابِ

فوالله لقد أعملت فكرى فما قدرت أن أجيزهما

ويمكن أن يجازا بهذا البيت :

ووصال أقل من لمحة البا * رق عُوضتُ عنه طول اجتناب

طول الليل

وقال ابن الرومى فى طول الليل :

رب ليل كأنه الدهر طولاً * قد تناهى فليس فيه مزيدُ

ذى نجوم كأنهن نجوم الشيـ * ـب ليست تغيب لكن تزيد

وهذا من أجود ما جاء فى هذا المعنى وقال بشار :

لخديك من كفيك فى كل ليلةٍ * إلى أن ترى وجه الصباح وسادُ

تبيت تراعى الليل ترجو نفاده * وليس لليل العاشقين نفاد

وقال :

خليلىّ ما بال الدجى لا يزحزحُ * وما بال ضوء الصبح لا يتوضحُ

أضل النهار المستنير سبيله * أم الدهر ليل كله ليس يبرح

كأن الدجى زادت ومازادت الدجى * ولكن أطال الليلَ همٌّ مبرح

وقال :

طال هذا الليل بل طال السهر * ولقد أعرف ليلى بالقِصَر

لم يطل حتى جفانى شادنٌ * ناعم الأطراف فتّان النظر

لىَ فى قلبي منه لوعةٌ * ملكت قلبي وسمعى والبصر

وكأن الهمّ شخص ماثل * كلما أبصره النوم نفر

وقال أيضاً :

كأن فؤاده كرة ترامى * حذار البين لو نفع الحذار
يروّعه السّرار بكل شيء * مخافة أن يكون به السرار
أقول وليلتى تزداد طولاً * أما للّيل بعدهمُ نهارُ
جفت عيني من التغميض حتى * كأن جفونها عنها قصار

قيل لبشار من أين سرقت قولك :

يروّعه السّرار بكل شيء

فقال من قول أشعب الطماع وقد قيل له مابلغ من طمعك قال ما رأيت اثنين يتسارّان إلا ظننتهما يريدان أن يأمرا لى بشيء . وأخذه أبو نواس فقال :

لا تبيحنّ حرمة الكتمان * راحة المستهام فى الاعلان
قد تسترت بالسكوت وبالإخـلاد جهدى فنمّت العينان
تركتنى الوشاة نُصب المريبيـن وأحدوثةً بكل مكان
ماأرى خاليين فى الناس إلا * قلت مايخلوان إلا بشانى

ومثل قول بشار :

جفت عيني عن التغميض

البيت قول الآخر :

كأن المحب بطول السهاد * قصير الجفون ولم تقصُرِ

وقد تناول هذا المعنى العتابى فقال :

وفى المآقى انقباض عن جفونهما * وفى الجفون عن الآماق تقصيرُ

ومثله

أعيدوا صباحى فهو عيد الكواكب * وردّوا رقادى فهو لحظ الحبائبِ

كأن نهارى ليلة مدلهمة * على مقلة من فقدكم فى غياهبِ
بعيدة ما بين الجفون كأنما * عقدتم أعالى كل هدب بحاجب

موازنة قصيرة

وقال العتبي تشاجر الوليد بن عبد الملك ومسلمة أخوه فى شعر امرىء القيس والنابغة فى طول الليل أيهما أشعر ، فقال الوليد النابغة أشعر ، وقال مسلمة بل امرؤ القيس ، فرضيا بالشعبي فأحضراه فأنشده الوليد

كِليني لهمّ يا أميمة ناصب * وليل أقاسيه بطىء الكواكب
تطاول حتى قلت ليس بمنقضٍ * وليس الذى يرعى النجوم بآئبِ
وصدرٍ أراح الليل عازب همهِ * تضاعف فيه الحزن من كل جانب

وأنشده مسلمة قول امرىء القيس :

وليل كموج البحر أرخى سدوله * علىّ بأنواع الهموم ليبتلى
فقلت له لما تمطّى بصلبهِ * وأردف أعجازاً وناء بكلكلِ
ألا أيها الليل الطويل الا انجلِ * بصبح وما الإصباح منك بأمثل
فيا لك من ليل كأن نجومه * بكل مُغار الفتل شدت بيذبلِ

فطرب الوليد طرباً فقال الشعبي بانت القضية معنى قول النابغة « وصدر أراح الليل عازب همه » أنه جعل صدره مراحاً للهموم ، وجعل الهموم كالنعم السارحة الغادية ، تسرح نهاراً ثم تأتى الى مكانها ليلا ، وهو أول من استثار هذا المعنى ووصف أن الهموم مترادفة بالليل لتقيد الالحاظ عما هى مطلقة فيه بالنهار واشتغالها بتصرف اللحظ عن استعمال الفكر ، وامرؤ القيس كره أن يقول إن الهم يخف عليه فى وقت من الأوقات فقال وما الصباح منك بأمثل

وقال الطرماح بن حكيم الطائى

ألا أيها الليل الطويل ألا اصبح * بيوم وما الاصباح منك بأروح

ولكنّ للعينين فى الصبح راحة * لطرحتها طرفيهما كل مطرح

فنقل لفظ امرىء القيس ومعناه وزاد فيه زيادةاغتفرله معهافحش السرقة وإنما تنبه عليه من قول النابغة إلا أن النابغة لوّح وهذا صرّح

السر فى طول الليل

وقال ابن بسام :

لا أظلم الليل ولا أدّعى * أن نجوم الليل ليست تغورْ

ليلى كاشاءت : فان لم تزر * طال وإن زارت فليلى قصير

وإنما أغار ابن بسام على قول على بن الخليل فلم يغير إلا القافية

لا أظلم الليل ولا أدّعى * أن نجوم الليل ليست تزولْ

ليلى إذا شاءت قصير إذا * جادت وإن ضنّت فليلى يطول

وهذه السرقة كما قال البديع فى التنبيه على أبى بكر الخوارزمى فى بيت أخذ رويه وبعض لفظه « وإن كانت قضيــة القطع ، تجب فى الربع ، فما أشد شفقتى على جوارحه ، ولعمرى إن هــذه ليست سرقة . وإنمـا هى مكابرة محضة ، وأحسب أن قائله لو سمع هـذا لقال : هـذه بضاعتنا ردت إلينا . فحسبت أن ربيعة بن مكدم وعيينة بن الحرث بن شهاب كانا لا يستحلان من البيت ما استحله : فانهما كانا يأخذان جله ، وهذا الفاضل قد أخذه كله » وقد أخذه على بن خليل من قول الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان

لا أسأل الله تغييرا لمـا صنعت * نامت وإن أسهرت عينىّ عيناها

فالليل أطول شىء حين أفقدها * والليل أقصر شىء حين ألقاها

وابن بسام فى هذا كما قال الشاعر :

وفتى يقول الشعر إلا أنه * فى كل حال يسرق المسروقا

هموم الساهرين

ألفاظ لاهل العصر فى طول الليل والسهر وما يعرض فيه من الهموم والفكر

— ليلة من غصص الصدر : ونقم الدهر

— ليلة هموم وغموم ،كما شاء الحسود ، وساء الودود

— ليلة قص جناحها ، وضل صباحها

— ليل ثابت الأطناب ، بطىء الغوارب ، طاغى الأمواج ، وافى الذوائب

— ليال ليست لها أسحار ، وظلمات لا يتخللها أنوار

— بات بليلة النابغة أراد قوله

فبت كأنى ساورتنى ضئيلة من الرقش فى أنيابها السم ناقع

— بات فى الصيف بليلة شتوية ، سامرته الهموم ، وعانقته النجوم ، واكتحل السهاد ، وافترش القتاد ، فاكتحل بماء السهر ، وتململ على فراش الفِكَر ، قد أقضَّ مهاده ، وقلق وساده

— هموم تفرق بين الجنب والمهاد ، وتجمع بين العين والسهاد

— طرف برعى النجوم مطروف ، وفراش بشعار الهم محفوف ، كأنه على النجوم رقيب ، وللظلام نقيب

انتشار الظلمة وطلوع الكواكب

ولهم فيما يتصل بضدذلك من ذكر الليل وانتشار الظلمة وطلوع الكواكب

— أقبلت عساكر الليل ، وخفقت رايات الظلام

— وقد أرخى الليل علينا سدوله، وسحب الظلام فينا ذيوله

— توقد الشفق فى ثوب الغسق

— أقبلت وفود النجوم ، وتوردت حدائق الجو ، وأذكى الفلك مصابيحه .

— قد طفت النجوم فى بحر الدجى ، ولبس الظلام جلبابا من القار

— ليلة كشعر الشبان ، وحدق الحسان ، وذوائب العذارى

— ليلة كأنها فى لباس بنى العباس(١)

— ليلة كأنها فى لباس الثكالى وكأنها من الغبش فى مواكب الحبش

— ليلة قد حلك إهابها وكأن الفجر يهابها

النوم والنعاس

ولهم فى ذكر النوم والنعاس

— شرب كأس النعاس ، وانتشى من خمر الكرى .

— قد عسكر النعاس بطرفه ، وخيّم بين عينيه وجفنه

— غرق فى لجة الكرى ، وتمايل من سكرة النوم

— قد كحل الليل الورى بالرقاد ، وشامت الأعين أجفانها فى الاغماد

انتصاف الليل وتناهيه

ولهم فى انتصافه وتناهيه وانتشار النور وأفول النجوم

— قد اكتمل الظلام

— قد انتصفنا عمر الليل ، واستغرقنا شبابه

— قد شاب رأس الليل

— كاد ينمّ النسيم بالسحر

— قد انكشف غطاء الليل

— انهتك ستر الدجى ، وشمطت ذوائبه ، وتقوس ظهره ،

(١) كان السواد شعار بنى العباس

وتهدم عمره

— قوضت خيام الليل — خلع الأفق ثوب الدجى

— أعرض الظلام وتولى ، وتدلى عنقود الثريا

— طرز قميص الليل بغرة الصبح — باح الصبح بسره

— خلع الليل ثيابه — حدر الصبح نقابه

— لاحت تباشير الصبح ، وافتر الفجر عن نواجذه ، وضرب النور في الدجى بعموده

— بث الصبح طلائعه

— تبرقع الليل بغرة الصبح

— أطار منادى الصبح غراب الليل ، وعزلت نوافج المسك بجامات الكافور ، وانهزم جيش الظلام عن عسكر النور

— خلعنا خلعة الظلام ولبسنا رداء الصباح ، وملأ الأذان الآذان

— سطع الضوء ، وطلع النور . وأشرقت الدنيا ، وضاءت الآفاق

— مالت الجوزاء للغروب ، وولت مواكب الكواكب ، وتناثرت عقود النجوم ، وفرت أسراب النجوم من حدق الأنام

— وهى نطاق الجوزاء ، وانطفأ قنديل الثريا

— قال بعض الأعراب خرجنا فى ليلة حندس قد ألقت على الأرض أكارعها فمحت صورة الأبدان ، فما كنا نتعارف إلا بالآذان

قال ابن محكان السعدى

وليل يقود الناس فى ظلماته * سواء صحيحات العيون وعورها
كأن لنا منه بيوتاً حصينه * مسوحا أعاليها وساجا كسورها

"الكسر جانب البيت ، وهو بارع جدا ، أراد أن أعلاه أشد ظلاما من حواشيه

وقال أعرابى فى صفته : خرجت حين انحدرت النجوم وشالت أرجلها، فما زلت أصدع الليل حتى أصدع الفجر

ومن بديع الشعر فى صفة الليل قول الأعرابى :

والليل يطرد النهار ولا ترى * كالليل يطرد النهار طريدا
فتراه مثل البيت مال رواقهُ * هتك المقوّض ستره الممدودا

ومن البديع

على حين ألقى القوم ضرٌّ من السُّرى   وطارت بأخرى الليل أجنحة الفجر

آخر

وليل ذى غياطلَ مدلهمٍّ * رميت بنجمه غرض الأفولِ
يردّ الطرف منقبضاً كليلا * ويملأ هوله صدر الدليل

ابن المعتز

هامت ركائبنا اليك بنا * بغليل أهل النار والنبح
فكأن أيديهن وارية * يفحصن ليلتهن عن صبح

وقال كشاجم

سقياً لليل قصرت مدتهُ * بدير مرّان مرّ مشكورا
وبات بدر الدجى يشعشعها * تورية تملأ الدجى نورا
غارت على نفسها وقد سفرت * فعاد جيب الحباب مزرورا
حتى رأيت الظلام يدرجه الـ * غرب وبُرد الصباح منشورا
واختلط الليل والنهار كما * يخلط كف مسكا وكافوراً

اخوان الصفاء أقارب

وقال على بن محمد الكوفى

متى أرتجى يوماً شفاءً من الضنا * إذا كان جانيه علىّ طبيبى
ولى عائدات ضفتهن بجثّن فى * لباس سواد فى الظلام قشيب

نجوم أراعي طول ليلي بروجها * وهن لبعد السير ذات لغوب
حدائق فى جنح الظلام كأنها * قلوبٌ معنّاة بطول وجيب
ترى حوتها فى الشرق ذات سباحةٍ * وعقربها فى الغرب ذات دبيب
اذاما هوى الاكليل منها حسبته * تهدّل غصن فى الرياض رطيب
كأن التى حول المجرة أوردت * لتكرع فى ماءٍ هناك صبيب
كأن رسول الصبح يخلط فى الدجى * شجاعة مقدام بجبن هيوب
كأن اخضرار البحر صرح ممردٌ * وفيـــه لآل لم تشنْ بثقوب
كأن سواد الليل فى ضوء صبحهِ * سواد شباب فى بياض مشيب
كأن نذير الشمس يحكى ببشرهِ * عليّ بن داود أخى ونسيبى
ولولا اتقائى عتبه قلت سيدى * ولـكن يراها من أجل ذنوبى
جواد بمـا تحوى يداه مهذب * أديب غدا خلا لـكل أديب
نسيب إخاء وهو غير مناسب * قريب صفاء وهو غـــير قريب
ونسبة مابين الأقارب وحشة * اذا لم يؤنسها انتساب قـلوب
وهذا البيت كقول الطائى :
وقلت أخى قالوا أخ من قرابةٍ * فقلت لهم ان الشكول أقارب
وقال عبدالسلام بن رغبان وسلك طريق الطائى فما ضل عنها :
أخ كنت أبكيه دماً وهو حاضر * حذاراً وتعمى مقلتى وهو غائبُ
فمات فلاشوقى الى الأجر واقف * ولا أنا فى عمرى الى الله راغب
فهاك أخاً لم تحوه بقرابة * بلى إن اخوان الصفاء أقارب
وأظلمت الدنيا التى أنت نورها * كأنك للدنيا أخ ومناسب
يبرّد نيران المصائب أننى * أرى زمناً لم تبق فيـه مصائب
وفى هذه القصيدة :
ترشقت أيامى وهن كـوالح * اليك وغالبت الردى وهو غالب

ودافعت فى كبد الزمان ونحره * وأى يد يلوى الزمان المحارب
وقلت له خل ابن أمى لعصبة * وها أنا أو فاردد فانا عصائب
أواليه اخلاصاً من القول صادقاً * والا فخي آل أحمد كاذب
لو ان يدى كانت شفاءك أو دمى * دم القلب حتى يقضب الحبل قاضب
لسلمت تسليم الرضا واتخذتها * يداً للردى ماحج لله راكب
فتى كان مثل السيف من حيث جئته * لنائبة نابتك فهو مضارب
فتى همه حمد على الدهر رائح * وان غاب عنه ماله فهو عازب
شمائل إن تشهد فهن مشاهد * عظام وان ترحل فهن ركائب

وقال الطائى لعلى بن الجهم:

إن يكدِ مطرف الاخاء فاننا * نغدو ونسرى فى إخاء تالد
أو يفترق نسب يؤلف بيننا * أدب أقمناه مقام الوالد
أو يختلف ماء الوصال فماؤنا * عذب تحدّر من غمام واحد

وقال محمد بن موسى بن حماد: سمعت على بن الجهم وذكر دعبلا فلعنه وكفره وقال: كان يطعن على أبى تمام وهو خير منه ديناً وشعراً، فقال رجل لو كان أبو تمام أخاك مازدت على مدحك له. فقال: إن لا يكن أخا نسب فهو أخو أدب، أما سمعت ما خاطبنى به؟ وأنشد الأبيات. وقال رجل لابن المقفع اذا لم يكن أخى صديقى لم أواخه. قال: نعم، صدقت. الأخ نسيب الجسم والصديق نسيب الروح

وقال أبو تمام يخاطب محمد بن عبد الملك الزيات:

أبا جعفر ان الجهالة أمها * ولود وأم العلم جذاء حائل
أرى الحشو والدهماء أضحوا كأنهم * شعوب تلاقت دوننا وقبائل
غدوا وكأن الجهل يجمعهم به * أب وذوو الآداب فيهم نواقل
فكن هضبة نأوى اليها وحرة * يعرد عنها الأعوجى المناقل
فان الفتى فى كل حال مناسب * تناسب روحانية من يشاكل

وقال البحترى لأبى القاسم بن خرداذبة:

إن كنت من فارس فى بيت سؤددها * وكنت من محتدى بالبيت والنسب
فلن يضرّ تنائى المنصبين وقد * رحنا نسيبين فى علم وفى أدب
إذا تقاربت الآداب والتأمت * دنت مسافة بين العُرب والعجم

وصف النجوم

وقد احتذى طريقه محمد أبو القاسم بن هانىء فقال يمدح جعفر بن على وذكر النجوم فقال :

جعلنا حشايانا ثياب مدامنا * وقدّت لنا الظلماء من جلدها لُحفا
فمن كبد تبدى إلى كبد هوى * ومن شفة توحى إلى شفة رشفا
بعيشك نبّه كاسه وجفونه * فقد نبه الابريق من بعد ما أغفى
وقد فكت الظلماء بعض قيودها * وقد قام جيش الليل للفجر واصطفا
وولت نجومٌ للثريا كأنها * خواتم تبدو فى بنان يد تخفى
ومرّ على آثارها دَبَرانها * كصاحب ردءٍ أكمنت خيله خلفا
وأقبلت الشعرى العبور مكبة * بمرزمها اليعبوب تجنبه طرفا
وقد بادرتها أختها من ورائها * لتخرق من ثِنْيَىْ مجرتها سَجْفا
تخاف زئير الليث يقدم نثرة * يبربر فى الظلماء ينسفها نسفا
كأن السماكين اللذين تظاهرا * على لبدتيه ضامنان له الحتفا
فذا رامح يهوى اليه سنانه * وذا أعزل قد عض أنمله لهفا
كأن رقيب النجم أجدل مرقبٍ * يقلب تحت الليل فى ريشه طرفا
كأن سهيلا فى مطالع أفقهِ * مفارق إلف لم يجد بعده إلفا
كأن بنى نعش ونعشا مطافل * بوجرة قد أضللن فى مهمه خشفا
كأن سُهاها عاشق بين عُوَّد * فآونة يبدو وآونةً يخفى
كأن معلى قطبها فارس له * لواآن مركوزان قد كره الزحفا

كأن قدامى النسر والنسر واقعٌ * قصصن فلم تسم الخوافى به ضعفا
كأن أخاه حين دوّم طائراً * أتى دون نصف البدر فاختطف النصفا
كأن المزيع الآبنوسىّ موهنا * سرى بالنسيج الخسروانىّ ملتفا
كأن ظلام الليل إذ مال ميلةً * صريع مدام بات يشربها صرفا
كأن عمود الصبح خاقان عسكر * من الترك نادى بالنجاشىّ فاستخفى
كأن لواء الشمس غرة جعفر * رأى القرن فازدادت طلاقته ضعفا

وقال ابن طباطبا :

كأن اكتتام المشترى فى سحابه * وديعة سرٍّ فى ضمير مذيعِ
كأن سهيلا والنجوم أمامهُ * يعارضها راع وراء قطيعِ
وقد لاحت الشِّعرى العبور كأنها * تقلُّب طرف بالدموع همـوع
وأضجعت الجوزاء فى أفق غربها * فبات كنشوان هناك صريع
الى أن أجاب الليل داعىَ صبحهِ * وكان ينادى منه غير سميع

وقال :

وكأنَّ الهلال لما تبدّى * شطر طوق المرآة ذى التذهيب
أو كقوس قد انحنت بانجذاب * أو كنون فى مُهْرَق مكتوب

وقال على بن محمد العلوى يصف القمر وقد طرح جرمه على دجلة :

لم أنس دجلة والدجى متصرمٌ * والبدر فى أفق السماء مغرّبُ
فكأنه فيه رداء أزرق * وكأنه فيها طراز مُذهّب

وقال تميم بن المعز وكان يحتذى مثال ابن المعتز ويقف فى التشبيهات بجانبه ، ويفرغ فيها على قالبه :

أسقيانى فلست أصغى لعذل * ليس إلا تعلة النفس شغلى
أأطيع العذول فى ترك ما أهـوى كأنى اتهمت رأيى وعقلى
عللانى بها فقد أقبل الليـل كلون الصدود من بعد وصل

وانجلى الغيم بعد ما ضحك الرو * ض بكاء السحاب جاد بوبل
عن هلال كصولجان نضار * فى سماء كأنهـا جام ذبل

وقال :

رب صفراء عللتنى بصفرا * ء وجنح الظلام مرخى الازار
بين ماء وروضـة وكروم * ورواب منيفة وصحار
تتثنى به الغصون عليهـا * وتجيب القيان فيها القمارى
وكأن الدجى غدائر شعر * وكأن النجوم فيها مدارى
وانجلى الغيم عن هلال تبدى * فى يد الافق مثل نصف سوار

وقال :

عتبت فانثنى عليها العتاب * ودعا دمع مقلتيها انسكاب
وسعت نحو خدها يديها * فالتقى الياسمين والعناب
رب مبدى تعنت جعل العتـب رياء وهمه الإعتاب
فاسقنيها مدامة تصبغ الكا * س كما يصبغ الخدود الشباب
ما ترى الليل كيف رق دجاهُ * وبدا طيلسانه ينجاب
وكأن الصباح فى الأفق باز * والدجى بين مخلبيه غراب
وكأن السماء لجة بحر * وكأن النجوم فيها حباب
وكأن الجوزاء سيف صقيل * وكأن الدجى عليها قراب

الكؤوس والسقاة

وقال :

وزنجية الآباء كرخية الجلب * عبيرية الانفاس كرمية النسب
كميت بزلنا دنهـا فتفجرت * بأحمر قان مثل قطر من الذهب
فلما شربناها صبوحا كأننا * شربنا السرور المحض واللهو والطرب
ولم نأت شيئاً يسخط المجد فعلهُ * سوى أننا بعنا الوقار من اللعب

كأن كؤوس الشرب وهي دوائر * قطائع ماء جامد تحمل اللهب
يمد بها كف خضيب يديرها * وليس بشيء غيرها هو مختضب
فبتنا نسقى الشمس والليل راكد * ونقرب من بدر السماء وماقرب
وقد حجب الغيم الهلال كأنه * ستارة شرب خلفها وجه من أحب
كأن الثريا تحت حلكة لونها * مداهن بلور على الارض تضطرب

وقال :

كأن السحاب الغر أصبحن أكؤسا * لنا وكأن الراح فيها سنا البرق
إلى أن رأيت النجم وهو مغرّب * وأقبل رايات الصباح من الشرق
كأن سواد الليل والصبح طالع * بقايا مجال الكحل فى الاعين الزرق

وقال :

وكأس يعيد العسر يسراً ويجتنى * ثمار الغنى للشَّرب من شجر الفقر
يولد فيها المزج دراً منضـــداً * كما فتت فوق الثرى نقطة القطر
صغار وكبرى فى الكؤوس كأنها * على الراح واوات تجمعّن فى سطر
إذا حثها الساقى الاغر حسبتها * نجوم الثريا لحن فى راحة البدر
صبحت بها صحبي وقد رندج الدجى * بفضة لألاء الصباح من الفجر
وقد أزهرت بيض النجوم كأنها * على الافق الاعلى قلائد من در

وقال :

ألا فاســقيانى قهوة ذهبية * فقد ألبس الآفاق صبح الدجى دعج
كأن الثريا والظــلام يحفها * فصوص لجين قد أحاط بها سبج
كأن نجوم الليل تحت سواده * إذا جن زنجى تبسم عن فلج

وقال :

أيا دير مرحنّا سقتك رعود * من الغيم تهمى مزنها وتجود
فكم واصلتنا فى رُباك أوانس * يطفن علينا بالمدامة غيــد

وماست على الكثبان قضبان فضة * فأثقلها من حملهن نهـــود
ليالىّ أغدو بين ثوبى صبابة * ولهـــو وأيام الزمان هجود
وإذ لمتى لم يوقظ الشيب ليلها * وإذ أثرى فى الغانيات حميد
وقال :
سألتـه قبـلة منه على عجل فاحمر من خجل واصفر من وجل
واعتـلّ مابين إسعاف برقرقه وبين منع تمـادى فيـه بالعلل
وقال وجهىَ بدر لا خفاء به ومبصر البدر لايدعوه للقبل
وهذا ينظر إلى قوله :
أباح لمقلتى السهرا وجار علىَّ واقتـدرا
غزالٌ لو جرى نفَسى عليـه لذاب وانفطرا
ولـكن عينه حشـدت علىّ الغنج والحوَرا
ومن أودى به قمرٌ * فـكيف يعاتب القمرا
كأنه ذهب إلى قول أبى نواس :
كأن ثيـابه أطلعـ * ن من أزراره قمرا
يزيدك وجهـه حسنا * إذا ما زدته نظرا
بعـين خالط التفتـ * ير من أجفانها الحورا
ووجـه سابرىّ لو * تصوّب ماؤه قطرا (١)
قيل للجاحظ من أنشد النـاس وأشعرهم؟ قال الذى يقولـ وأنشد هذه الأبيـات ـ
ونظير قوله
كأن ثيـابه أطلعـ * ن من أزراره قمرا
قول الحـكيم بن قنبر المازنى :
ويلاه مما أطار النوم فامتنعا * وزاد قلبى إلى أوجاعه وجعا

(١) السابرى فى الأصل: ثوب رقيق جديد

وقال تميم :

نقيت وجهها بخز وجاءت * بمدام منقب بزجاج
فتأملت فى النقابين منها * قمراً طالعا وضوء سراج
فاسقيانى بلا مزاج فانى * فى المعالى صرفٌ بغير مزاج
وانظر الأفق كيف بدّله الاصـ * ـباح من بعد آبنوس بعاج

وقال

إذا حذرتَ زماناً لا تسرّ بهِ * وكم أتى سهل دهر بعد أصعبه
فاقبل من الدهر ما أعطاك مختلطاً * لعل مرّك يحلو فى تقلبهِ
خذها اليك ودع لومى مشعشعة * من كف ظبي أسيل الخد مُذْهبه
فى كل معقد حسن فيه معترض * عليه يحميه من أن يستبدّ به
فكحل عينيه ممنوع بخنجرهِ * وورد خديه محمىٌّ بعقربه
لاتترك القدح الملآن فى يده * إنى أخاف عليه من تلهبه
فصنه عن سقينا إلى أغاربه * وأسقه واسقنى من فضل مشربه
وانظر إلى الليل كالزنجىّ منهزما * والصبح فى إثره يعدو بأشهبه
والبدر منتصب مابين أنجمه * كأنه ملك مابين كوكبه

شعر تميم بن المعز

وإذ أفضيت إلى ذكره ، فهاك من مختار شعره :

مستقبل بالذى يهوى وإن كثرت * منه الذنوب ومقبول بما صنعا
فى وجهه شافع يمحو إساءته * من القلوب وجيه أينما شفعا
كأنما الشمس من أثوابه برزت * حسناً أو البدر من أزراره طلعا

استعاره من قول الآخر وهو ابن زريق

أستودع الله فى بغداد لى قمراً * بالكرخ من فلك الازرار مطلعه(١)

ومن قول أحمد بن يحيي الفران:

بدا فكأنما قمرٌ * على أزراره طلعا
يحث المسك من عرق ال * جبين بنانه ولعا

خلود الصبابة

وقال سيف الدولة :

نفسى الفداء لمن عصيت عواذلى * فى حبه لم أخش من رقبائه
الشمس تظهر من أسرة وجهه * والبدر يطلع من خلال قبائه

وقال سهل :

أأعذل قلبي وهو لى غير عاذل وأعصى غرامى وهو مابين أضلعى
ومن لى بصبر أستزيل به الجوى * ولا جلدى يقوى ولا كبدى معى
فأول شوقى كان آخر سلوتى * وآخر صبرى كان أول أدمعى

ورد الخدود وورد الرياض

وقال تميم :

ورد الخدود أرق من * ورد الرياض وأنعم
هـــذا تنشقه الأنو * ف وذا يقبله الفمُ
وإذا عدلت فأفضل ال * وردين ورد يلثمُ
لا ورد الا ما تولّى * صبغ حمرته الدّم
هذا يشم ولا يضمّ * وذا يضم ويُشمَمُ
سبحان من خلق الخدو * دَ شقائقا تتنسم

(١) الكرخ: محلة ببغداد

وأعارها الأصداغ فهـى بها شقيق يعلـم
واستنطق الأجفان فهـى بلحظها تتـكلم
وتبين للمحبوب عن * سر الحبيب فيفهم
وتشير إن رأت الرقيـب بلحظها فتسـلم
وأعارها مرضاً تصح * به القلوب وتسقم
فِتن العيون أجل من * فتن الخدود وأعظم

رسل القلوب

وقال :

إن كانت الألحاظ رسل القلوب * فينا فما أهون كيد الرقيب
قبلت من أهوى بعيني ولم * يعلم بتقبيليَ خـد الحبيب
لكنه قد فطنت عينه * بلحظ عيني فطنة المستريب
إن كان علم الغيب مستخفياً * عنا فعند اللحظ علم الغيوب

زاد المحبين بعد الفراق

وقال :

قالوا الرحيل لخمسةٍ * تأتى سريعاً من جمادى
فأجبتهم إنى اتخذ * تُ له الأسى والحزن زادا
سبحان من قسم الأسى * بين الأحبة والبعادا
وأعار للأجفان حسـناً تسترق به العبادا

أسباب الشقاء

وقال :

عقرب الصدغ فوق تفاحة الخد * نعيم مطرّز بعذابِ

وسيوف اللحاظ فى كل حين * مانعات جنى الثنايا العذاب
وعيون الوشاة يفسدن بالرقـــبة والمنع رؤية الأحباب
فتى يشتفى المحب وتطفى * بالتدانى حرارة الاكتئاب
وقال :
ترى عذاريه قد قاما بمعذرتى * عند العذول فيغدو وهو يعذرنى
ريم كأن له فى كل جارحة عقدا من الحسن أو نوعا من الفتن
كأن جوهره من لفظه عرضٌ * فليس تحويه الا أعين الفطن
أخفى من السر لكن حسن صورته * اذا تأملته أبدى من العلن
والله مافتنت عينى محاسنه * الا وقد سحرت ألفاظه أذنى
ماتصدر العين عنه لحظها مللا * لأنه كل شخص مرتضًى حسن
يامنتهى أملى لاتدن لى أجلى * ولا تعذب ظنونى فيك بالظنن
ان كان وجهك وجها صيغ من قمر * فان قدك قدٌ قُدَّ من غُصُن
وقال :
ألا يانسيم الريح عرج مسلما * على ذلك الشخص البعيد المودع
وهبَّ على من شف جسمى بعاده * سموما بما استمليت من نار أضلعى
فان قال ما هذا الحرور فقل له * تنفس مشتاق بحبك موجَع
ومختار شعره كثير وقد تفرق منه قطعة كافية فى اغراض الكتاب (١)

عود الى وصف النجوم

رجع ماانقطع

قال الصاحب أبو القاسم اسمعيل بن عباد :
لقد رحلت سعدى فهل لك مسعدٌ * وقد أنجدت داراً فهل أنت منجدُ
رعيت بطرف النجم لما رأيتها * تباعد بُعــــد النجم بل هى أبعد

(١) يريد تميم بن المعز

تنير الثريا وهي قُرط مسلسلٌ * ويطرف عنها الطرف درٌّ منضَّد
وتعترض الجوزاء وهي كواكب * تَمَيَّل من سكر بها وتَمَيَّدُ
وتحسبها طوراً أسير جناية * ترشّح بعد المشي وهو مقيد
ولاح سُهيلٌ وهو للصبح راقبٌ * كما سُلّ من غمد جرازٌ مهندٌ (١)
أردّد طرفي في النجوم كأنها * دنانير لكنّ السماء زبرجد
رأيت بها والصبح ما حان ورده * قناديل والخضراء صرح ممرّد (٢)
وفيه لنا من مربط الشمس أشقر * إذا ما جرى فالريح تكبو وتركد

وقال أبو علي الحاتمي :

وليلٍ أقمنا فيه نُعمل كأسنا * إلى أن بدا للصبح في الليل عسكرُ
ونجم الثريا في السماء كأنهُ * على حلة زرقاء جيبٌ مدنّر

البحتري :

ولقد سريت مع الكواكب راكباً * أعجازها بعزيمة كالكوكب
والليل في لون الغراب كأنهُ * هو في حُلوكته وان لم ينعب
والعين تنصل من دجاه كما انجلى * صبغ الخضاب عن القذال الأشيب
حتى تبدى الفجر في جنباتهِ * كالماء يلمع من خلال الطحلب

قال الأمير أبو الفضل الميكالي:

أهلاً بفجر قد نضى ثوب الدجى * كالسيف جُرّد من سواد قِرابِ (٣)
أو غادة شقت صِدارا أورقاً * ما بين نُغْرتها الى الأتراب (٤)

وصف الشمس

وقال رجل من بني الحرث بن كعب يصف الشمس :

مخبأة أما إذا الليل جنها * فتخفى وأما بالنهار فتظهرُ

---

(١) الجراز: السيف القاطع (٢) الخضراء السماء، والصرح الممرد هو القصر الرفيع (٣) قراب السيف: غمده (٤) الأورق: ما في لونه بياض إلى سواد

إذا انشق عنها ساطع الفجر وانجلى * دجى الليل وانجاب الحجاب المستّر
وألبس عرض الارض لوناً كأنه * على الافق الشرقى ثوب معصفر
تجلت وفيها حين يبدو شعاعها * ولم يحل للعين البصيرة منظر
عليها كدرع الزعفران يشبه * شعاع تلالا فهو أبيض أصفر
فلما علت وابيضّ منها اصفرارها * وجالت كما جال البهيج المستّر
وجللت الآفاق ضوءاً بنورها * تخر لها وجه الضحى يتسعر
ترى الظل يطوى حين تبدو وتارة * تراه إذا زالت عن الأرض ينشر
كما بدأت إذ أشرقت فى مغيبها * يعود كما عاد الكبير المعمّر
وقد شف حتى ما يكاد شعاعها * يبين إذا ولت لمن يتبصر
فأفنت قرونا وهى ذاك ولم تزل * تموت وتحيا كل يوم وتنشر

أجمل ماقال العرب

وقال عبد الملك بن مروان لبعض جلسائه يوما : ماأحكم أربعة أبيات قالتها العرب فى الجاهلية ؟ فأنشده :

منع البقاءَ تقلّبُ الشمس * وطلوعها من حيث لاتمسى
وطلوعها بيضاءَ صافية * وغروبها صفراء كالورسِ
تجرى على كبد السماء كما * يجرى حِمام الموت فى النفس
اليوم يُعلم مايجىء به * ومضى بفصل قضائه أمسِ

قال أحسنت فأخبر بأمدح بيت قالته العرب فى الشجاعة . قال قول كعب ابن مالك الأنصارى:

نصل السيوف إذا قصرن بخطونا * قدما ونلحقها إذا لم تلحقِ

قال فأخبرنى بافضل بيت قيل فى الجود : فأنشده لحاتم طيء :

أماوىّ مايغنى الثراء عن الفتى * إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدرُ
ترىْ أن ما أبقيت لم أك ربه * وأن يدى مما بخلت به صِفر

ألم تر أن المال غادٍ ورائحٌ * ويبقى من المال الأحاديث والذكرْ
غنينا زمانا بالتصعلك والغنى * فكلا سقاناه بكأسيهما الدهر
فما زادنا بغياً على ذى قرابةٍ * غنانا ولا أزرى باحسابنا الفقر

قال فأخبرنى عن أحسن الناس وصفا . قال الذى يقول

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً * لدى وكرها العناب والحشف البالى

والذى يقول

كأن عيون الوحش حول خبائنا * وأرحُلنا الجزع الذى لم يثقّبِ

والذى يقول

ونعرف فيه من أبيه شمائلاً * ومن خاله ومن يزيد ومن حجر
سماحة ذا مع برّ ذا ووفاء ذا * ونائل ذا إذا صحا وإذا سكر

يريد امرأ القيس

وصف الشروق والغروب

ألفاظ لأهل العصر فى طلوع الشمس وغروبها ومتوع النهار وانتصافه وابتدائه وانتهائه

— بدا حاجب الشمس ، ولمعت فى أجنحة الطير

— كشفت الشمس قناعها ، ونثرت شعاعها ، وارتفع سرادقها . وأضاءت مشارقها

— انتشر جناح الضوء فى أفق الجو

— طنّب شعاع الشمس فى الآفاق ، وذهّب أطراف الجدران

— أيفع النهار وارتفع

— استوى شباب النهار وعلا روق الضحى ، وبلغت الشمس كبد السماء

— انتعل كل شىء ظله ، وقام قائم الهاجرة . ورمت الشمس بجمرات الظهر

— اصفرت غلالة الشمس وصارت كأنها الدينار يلمع فى قرار الماء

ونفضت تبراً على الأصيل ، وشدت رحلها للرحيل

— تصوبت الشمس للمغيب، وتضيفت للغروب، فأذن جنبها للوجوب

— شاب النهار ، وأقبل شباب الليل ، ووقفت الشمس للغيار ، وشافه الليل لسان النهار

— الشمس قد شرِقت بروحها ، وجنحت للغروب ، وشافهت درج الوجوب

— الجو فى أطمار منهجة من أصائله ، وشفوف مورّسة من غلائله

— استتر وجه الشمس بالنقاب ، وتوارت بالحجاب

— كان هذا الأمر من مطلع الفلق ، الى مجمع الغسق

— فلان يركب فى مقدمة الصبح ، ويرجع فى ساقة الغسق ، ومن حين تفتح الشمس جفنها ، إلى أن تغمض طرفها ، ومن حين تسكن الطير فى أوكارها ، إلى حين تنزل المرأة من أكوارها (١)

المقامة الكوفية

مقامة لأبى الفتح الاسكندرى من إنشاء البديع اتصلت بذكر الليل والنهار

قال عيسى بن هشام : كنت وأنا فتىّ السن أشد رحلى لكل عَماية ، وأركض طِرفى لكل غواية ، حتى شربت من العمر سائغه ، ولبست من الدهر سابغه ، فلما صاح النهار بجانب ليلى ، وجمعت للمعاد ذيلى ، وطئت ظهر المروضة (٢) لأداء المفروضة ، وصحبنى فى الطريق رجل لم أنكره من سوء ، فلما تجالينا (٣) ، وحين تخالينا ، سفرت القصة عن أصل كوفى ، ومذهب صوفى ، وسرنا فلما حللنا الكوفة ملنا إلى داره ، وقد بقل وجه النهار واخضر جانبه ، ولما

(١) الأكوار جمع كور بالضم وهو الرحل (٢) وطيء ظهر المروضة : ركب المركب الذلول (٣) تجالى الرجلان كشف كل منهما عن حاله

اغتمض جفن الليل وطر شاربه ، قرع علينا الباب . فقلنا من القارع المنتاب (١) فقال وفد الليل وبريدُه ، وفَلّ الجوع وطريدُه ، وحُرٌّ قاده الضر ، والزمن المر ، وضيف وطؤه خفيف ، وضالته رغيف ، وجار يستعدى على الجوع ، والجيب المرقوع ، وغريب أوقدت النار على سفره (٢) ، ونبح العوّاء فى أثره ، (٣) ونبذت خلفه الحصيّات (٤) ، وكنست بعده العرصات (٥) ، فنضوه طليح ، وعيشه تبريح ، ومن دون أفراخه مهامه فيح (٦) ، قال عيسى ابن هشام فقبضت من كيسى قبضة الليث وبعثتها إليه ، وقلت زدنا سؤالا نزدك نوالا ، فقال ماعُرض عَرف العود ، على أحرّ من نار الجود ، ولا لُقى وفد البر ، بأحسن من بريد الشكر ، من ملك الفضل فليواس ، فلن يذهب العرف بين الله والناس ، وأما أنت فحقق الله أملك ، وجعل اليد العليا لك ، قال عيسى بن هشام ففتحنا الباب فاذا شيخنا أبو الفتح الاسكندرى ، فقلت ياأبا الفتح ! شدّ مابلغت منك الخصاصة ، وهذا الزى خاصة ! فتبسم وقال :

لا يغرنّك الذى * أنا فيه من الطلبْ
أنا فى ثروة تُشق * لها بردة الطرب
أنا لو شئت لاتخـذ * ت سقوفاً من الذهب

رسالتان للبديع

وكتب البديع إلى بعض إخوانه : غضب العاشق أقصر عمراً من أن ينتظر عذراً ، وإن كان فى الظاهر مهابة سيف ، فانه فى الباطن سحابة صيف ،

(١) المنتاب هو الطارق بليل (٢) كناية عن اليأس من الرجوع (٣) لاينبح الكلب غير الرجل المجهول (٤) يريد أنه رجل منبوذ (٥) العرصات جمع عرصة وهى أرض الدار (٦) المهامه الفيح : القفار الواسعة الأرجاء ، والمفرد أفيح وفيحاء

وقد رابنى إعراضه صفحا ، أجدًا قصد أم مزحا ، ولو التبس القلبان جد التباسهما ما وجد الشيطان بينهما مساغا ، ولا والله لا أزيدك ودا ، تجد منه بدا ، إن كنت الجد قصدت ، وإن محبة تحتمل شكا لأجدر محبة ، أن لا تشترى بحبة ، وإن كان قصد مزحا فما أغنانا عن مزح يحل عُقد الفؤاد ، والسلام

وله إليه : المودة أعزك الله غيب ، وهو فى مكان من الصدر ، لا ينفذه بصر ، ولا يدركه نظر ، ولكنها تعرف ضرورة ، وإن لم تظهر صورة ، ويدركها الناس ، وإن لم تدركها الحواس ، ويستملى المرء صحيفتها من صدره ويعلم حال غيره من نفسه ، ويعلم انها وراء القلب قلب ، ووراء الخِلب خلب (١) ، ووراء العظم عظم ، ووراء اللحم لحم . ووراء الجلد جلد ، ووراء البرد برد ، ولو كانت هذه المحبة قوارير لم ينفذها نظر المعير ، فيستدل عليها بغير هذه الحاسة بدليل الإزورة ، ووالله لو التبست التباسا ، فجعل رأسنا راسا ، مازدته ودا ، ولو حال بينى وبينه سور الأعراف ، ورمل الأحقاف ، ما نقصته حقا

أبيات للميكالى

وقال الأمير أبو الفضل الميكالى

وغزال منحته ظاهر الودّ * فجازى بالصد والاجتنابِ
لم أَلُمْه إذ انزوى فى حجاب * ردَّنى والهَ الحشا ذا التهاب
هو روح وليس ينكر للرو * ح توارٍ عن الورى بحجاب

من البديع الى أخيه

وللبديع الى أخيه :

كتابى ، أطال الله بقاءك ، ونحن وان بعدت الدار فرعا نبعة ، فلا تُحدِثَنَّ

(١) الخلب : بالكسر لحيمة صغيرة تصل بين الاضلاع

بعدى على قربك ، ولا تمحونّ ذكرى من قلبك ، فالاخوان وان كان أحدهما بخراسان والآخر بالحجاز، يجتمعان على الحقيقة مفترقان على المجاز ، والاثنان فى المعنى واحد وفى اللفظ اثنان ، ومابينى وبينك إلا ستر ، طوله فتر ، وان صاحبى رفيق، اسمه توفيق، لنلتقينّ سريعا ، ولنسعدنّ جميعا ، والله ولىّ المأمول

رسالة لابن العميد

وكتب أبو الفضل بن العميد الى بعض اخوانه

قد قرب أيدك الله محلك على تراخيه ، وتصاقب مستقرك على تنائيه ، لأن الشوق يمثلك ، والذكر يخيّلك ، فنحن فى الظاهر على افتراق ، وفى الباطن على تلاق ، وفى التسمية متباينون ، وفى المعنى متواصلون ، ولئن تفارقت الأشباح ، لقد تعانقت الأرواح

كلام ابن المعتز

جملة من كلام ابن المعتز فى الفصول القصار

— الدهر سريع الوثبة ، شنيع العثرة

— أهل الدنيا كركب يُسار بهم وهم نيام

— الناس وفد البلى ، وسكان الثرى . وأقران الردى

— المرء نصب الحوادث وأسير الاغترار

— الآمال حصائد الرجال

— الحرص ينقص المرء من قدره ، ولايزيد فى رزقه

— الكذب والحسد والنفاق أثافىّ الذل

— النمام جسر الشر

— الحاسد اسمه صديق ومعناه عدو

— الحاسد ساخط على القدر ، مغتاظ على من لا ذنب له ، بخيل بما

لا يملكه ، يشفيك أنه يغتم فى وقت سرورك

— الفرصة سريعة الفوت بطيئة العود

— الصبر من ذى المصيبة مصيبة على ذوى الشبهات

— التواضع سُلَّم الشرف ، والجود صِوان العرض من الذم

— الغدر قاطع

— كنوز السر اذا كثر خزّانها ازدادت ضياعا

— السوء كشجرة النار يحرق بعضها بعضا

— عبد الشهوات أذل من عبد الرق

— وعاء الخطأ بالصمت يختم ، والخرق بالرفق يلحم

— الوعد مرض المعروف ، والانجاز برؤه ، والمطل تلفه

— اذا حضر الأجل ، خرق الأمل

— لا تشن وجه العفو بالتقريع

— لا تنكح خاطب سرك . ومن زاد أدبه على عقله كان كالراعى الضعيف مع المواشى الكثيرة

— قال أبو العباس الناشىء لأبى سهل بن نوبخت :

زعمت أبا سهل بأنك جامعٌ * ضروبا من الآداب يجمعها الكهلُ

وهبك تقول الحق أىّ فضيلةٍ * تكون لذى علم وليس له عقل

— الهمّ حبس الروح

— قلوب العقلاء حصون الأسرار

— من كرمت عليه نفسه ، هان عليه ماله

— من جرى فى عنان أمله ، عثر بأجله

— ما كل من وعد وعدا يحسن إنجازه

— ربما أورد الطمع ولم يصدر ، وضمن ولم يوف

— ربما شرق شارب الماء قبل ريه

— من تجاوز الكفاف لم يقنعه إكثار

— كلما عظم قدر المنافَس فيه عظمت الفجيعة بفقده ، ومن أرحله الحرص أنضاه الطلب

— الأمانى تعمى أعين البصائر ، والحظ يأتى من لم يؤاته . وربما كان الطمع وعاء حشوه المتالف ، وسائقاً يدعو إلى الندامة

— ما أحلى تلقى البغية وأمرّ عاقبة الفراق

— من لم يتأمل الأمر بعين عقله ، لم تقع حيلته إلا على مقاتله

رثاء المعتضد

قال أبو العباس يرثى المعتضد

قضَوْا ما قضَوْا من أمرهم ثم قدّموا * إماماً إمام الحق بين يديه
فصلّوا عليه خاشعين كأنهم * صفوف قيامٌ للسلام عليه

وقال يرثيه

قالت سريرة ما لجفنك ساهراً * قلقا وقد هدأت عيون النُّوَّم
ماقد رأيت من الزمان أحلّ بى * هذا وتحت الصدر ما لم تعلمى
يانفس صبراً للزمان وريبه * فهو الملىء بما كرهت فسلّمى
إن الذى حاز الفضائل كلها * هو ذاك فى قعر الضريح المظلم
أما السيوف فمن صنائع بأسه * لولاه لم يروَيْن من سفك الدم
وكأن أحداث الزمان عبيده * فمتى يؤخرهنّ لا تتقدم
يقظان من سِنة المضيع قلبهُ * ومعوّل للمعْوِلِ المتظلم
يرعى الضغائن قبل ساعة فرصة * فإذا رآها أمكنت لم يحجم
كم فرصة تُركت فصارت غصةً * تشجى بطول تلهف وتندم
ولرب كيد ظل يسجد بعدها * فى بشر وجه مطلق متجهم

وهى المنايا ان رمين بنبلها * يرمين فى نفس الأجل الأعظم
لله درك أى ليث كتيبةٍ * والخيــل تعثر بالقنا المتحطم
ولقد عمرت ولا حريم معاند * حرم ولا الاســلام بالمستسلم

تعزية المعتضد بابنه هرون

وقال للمعتضد يعزيه بابنه هرون

ياناصر الدين إذ هُدّت قواعده * وأصدق الناس فى بؤس وإنعام
وقائد الخيل مذ شدت مآزره * مـذللات بإسراج وإلجام
كأنهن قناً ليست لهـا عقـدٌ * يهزها الزجر فى كرٍّ وإقدام
قُبٌّ كطى ثياب القصر مضمرةٌ * تقرب النار بين البيض والهام
وسائس الملك يرعاه ويكلؤه * إذا علا الغمض فى أجفان نوّام
تمـــرى أنامله الدنيا لصاحبها * ونصـله من عـداه قاطرٌ دامى
كالسهم يبعثه الرامى بصفحته * يلقى الردى دونه والفوق للرامى
لايشتكى الدهر إن خطبٌ ألمّ به * إلا الى صعدة أو حـد صمصام
صبراً فديناك إن الصـبر عادتنا * وانْ طُوينا على حزن وتهيـام
فبادر الأجر نحو الصبر محتسباً * ان الجزوع صـبور بعد أيام

تعزيته بجاريته دويرة

ولما ماتت دويرة ، وهى جارية كانت مكينة عنـده ، جزع عليها جزعاً شديداً فقال له عبيد الله بن سليمان : مثلك ياأمير المؤمنين تهون عليه المصائب لأنك تجد من كل فقيد خلفا ، وتنال جميع ماتريد من العوض ، والعوض لايوجد منك ، فلا ابتلى الله الاسلام بفقدك ، وطوّل عمره بطول عمرك ، وكأن الشاعر عنى أمير المؤمنين بقوله

يُبكى علينا ولا نبكى على أحد * لنحنُ أغلظ أكباداً من الإبلِ

فضحك المعتضد وتسلى وعاد إلى عادته . قال محمد بن داود الجراح فلقيني عبيدالله فأخبرني بذلك وقال : أردت هنا معى البيت الذى أنشدته فاوجدته فقلت له قد قال البطين البجلي

طوى الموت ما بيني وبين أحبةٍ * بهم كنت أعطى من أشاء وأمنعُ
فلا يحسب الواشون أن قناتنا * تلين ولا أنا من الموت نجزع
ولـكن للألاّف لا بدّ لوعةً * إذا جعلت أقرانها تنقطع

فكتبهُ وقال : لو حفظته لما عدلت عنه

الموتى

وقال ابن المعتز وذكر الموتى

وسكانِ دارٍ لا تزاور بينهم * على قرب بعض فى المحلة من بعضِ
كأن خواتيما من الطين فوقهم * فليس لها حتى القيامة من فض

عبيد الله بن سليمان

وقال يمدح عبيد الله بن سليمان

أيا مُوصل النعمى على كل حالةٍ * إلىَّ قريباً كنت أو نازح الدارِ
كما يلحق الغيث البلاد بسيلهِ * وإن جاد فى أرض سواها بامطار
ويا مقبلا والدهر عنىّ معرضٌ * يقسّم لحمى بين ناب وأظفار
ويا من يرانى حيث كنت بقلبهِ * وكم من أناس لا يرون بأبصار
لقد رمتَ بى آمال نفسىَ كلها * فيالهف نفسى لو أعنت بمقدار
ذكرت مُنى سمع الامام وعينهِ * ورفعت نارى كى يرى ضوءها السارى
وكم نعمة لله فى صرف نقمةٍ * ترجىّ ومكروه حلا بعد إمرار
وما كل ما تهوى النفوس بنافع * ولا كل ما تخشى النفوس بضرّار

قوله كما يلحق الغيث البلاد بسيله مأخوذ من قول نهشل بن جرى وقد بعث إليه كثير بن الصلت كسوة ومالا من المدينة

جزى الله خيرا والجزاء بكفه * بنى الصلت إخوان السماحة والمجد
أتانى وأهلى بالعراق نداهمُ * كما انقضّ سيل من تهامة أو نجدِ

وقال ابن المولى

سررت بجعفر إذ حل أرضى * كما سُرّ المسافر بالايابِ
كممطورٍ ببلدته فأضحى * غنياً من مطالعة السحاب

عبد الله بن طاهر

وبعث عبد الله بن طاهر إلى أبى الجنوب بن أبى حفصة وهو ببغداد عشرين ألف درهم فقال

لعمرى لنعم الغيث غيثٌ أصابنا * ببغداد من أرض الجزيرة وابلهُ
ونعم الفتى والبيد بينى وبينهُ * بعشرين ألفاً صبّحتنى رسائله
فكنا كحىٍّ صبّح الغيث أهلهُ * ولم ينتجع أظعانه وحمائله
أتى جود عبد الله حتى كفت بهِ * رواحلنا سير الفلاة رواحله

أبو شجاع

وكانت بنو كلاب ومن والاها من العرب بنواحى الكوفة تجمعوا وعزموا على أخذ الكوفة سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة فبعث أبو شجاع عضد الدولة دلبين بن يشكر فأصلحهما وكان أبو الطيب المتنبي بها فوصله وبعث إليه خلعاً وقاد إليه فرساً بسرج ثقيل فقال فى قصيدة

فلو لم يسر سرنا إليه بأنفسٍ * غرائب يؤثرن الجياد على الأهل
وما أنا ممن يدعى التوق قلبه * ويعتلّ فى ترك الزيارة بالشغل (١)

(١) التوق هو الشوق

ولكن رأيت القصد فى الفضل شركةً * فكان لك الفضلان بالقصد والفضل
وليس الذى يستتبع الوبل رائداً * كمن جاءه فى داره رائد الوبل

الموفق

وكان ابن المعتز يمدح أبا أحمد بن المتوكل ويلقب بالناصر والموفق وكانت حاله قد راجت فى أيام المعتمد الى غاية لم يبلغها خليفة ، وقد ذكر الصولى فى قصيدة لصاحبه فقال وقد اقتص خلفاء بنى العباس من أولهم

ومعتمد من بعدهم وموفق * يردد من إرث الخلافة ماذهب
ينازلهم فى كل فضل وسؤدد * وان لم يكن فى العدّ منهم لمن حسب

وقال المعتمد أو قيل عن لسانه لما غلبه الموفق على أمره

أليس من العجائب أن مثلى * يرى ماهان ممتنعاً عليه
وتؤخذ باسمه الدنيا جميعاً * وما من ذاك شىء فى يديه

وشعر ابن المعتز فيه

إليك امتطينا العيس تنفخ فى البُرى * وللصبح طرف بالظلام كحيلُ
صدين من التهجير حتى كأنها * سيوف جلاها الصقل وهى نحول
فبتنا ضبوفاً للفلاة بَراهمُ * عنيقٌ ونصٌ دائم وذميل
يهز برود القصب فوق متونها * نسيم كنفث الراقيات عليل
ولما طغى أمر الدَّعىّ رميته * بعزم يرد العضب وهو فليل
وجردت من أغماده كل مرهف * إذا مانضته الكف كاد يسيل
جرى فوق متنيه الفرند كأنما * تنفس فيه القين وهو صقيل
وأعلمته كيف التصافح بالقنا * وكيف تروّى البيض وهى نُحول
سريعٌ إلى الأعداء أما جَنانُهُ * فماض وأما وجهه فجميل
ويقرى السؤال العذر من بعد ماله * ويستصغر المعروف حين ينيل

أخذ معنى قوله : « نسيم كنفث الراقيات عليل » عبد الكريم بن إبراهيم

فقال

سلام على طيب روحاتنا * إلى القصر والنهَر الخضرمِ
إلى مُزبد الموج طامى العبا * ب يهدر فى البان والساسمِ
تخال به قطها مقرما * يكرّ على قطم مقرم
ويسخو فيسحب فى ذابل * يمان تسهّم بالأنجم
كأن الشمّال على وجهه * بها سَقم وهى لم تسقم
ضعيفة رش كنفث الرقى * على كبد المدنف المعدم
إذا درجت فوقه درّجتـ * ـه فى حُبُك الزرد المحكم
وقد جللته بأوراقها * فروع علتها نطاق اليم
علتها الحمام بتغريدها * كما سجع النوح فى مأتم
كأن شعاع الضحى بينها * على السوسن الغض والحيزم
وشائع من ذهب سائل * على خسروانية نُعّم
رُبىً تنفقأ من فرقها * عزالى الربيع لدى المرهم
على كل محبية خلة * تبدّى على جدول مفعم
كما فتل الوقف أصداغهُ * وكالأرقم انساب للأرقم

صاحب الزنج

وقول ابن المعتز (ولما طغا أمر الدعى) يريد صاحب الزنج بالبصرة وكانت شوكته قد اشتدت وظفر به بعد مواقعة كثيرة، وفى ذلك يقول ابن الرومى فى قصيدة طويلة جداً يمدح فيها أبا أحمد

أبا أحمد أبليت أمة أحمدٍ * بلاء سيرضاه ابن عمك أحمدُ
حصرت عميد الزنج حتى تخاذلت * قواه وأودى زاده المتزود
فظل ولم تقتله يلفظ نفسهُ * وظل ولم تأسره وهو مقيد
وكانت نواحيه كفافا فلم تزل * تخففها شحذا كأنك مِبرد

تفرق عنـــه بالمكايد جنده * وتزدادهم جندا وجندك يحصد
ولابس سيف القرن بعد استلابه * أضر له من كاسديه وأوكد
فما رمته حتى استقل برأسه * مكان قناة الظهر أسمر أجرد
ولم تأل إنذاراً له غـــير أنه * رأى أن متن البحر صرح ممرد
سكت سكوتاً كان رهناً بوثبة * فاس كذاك الليث للوثب يلبد

هذا مأخوذ من قول النابغة

وقلت يا قوم إن الليث منقبض * عـــلى براثنه للوثبة الضارى

يقول فى مدح صاعد

يقرظ إلا أن ما قيـــل دونه * وبوصف الا أنه يتجـــدد
أرق من المـاء الذى فى حسامه * طباعاً وأمضى من شباه وأنجد
له سورة مكتنة فى سكينة * كما اكتن فى الغمد الجراز المهند
كأن أباه حين سماه صاعدا * رأى كيف يرقى فى العلاء ويصعد

وله فى العلاء وصاعد

سماه أسرته العلاء وانمـا * قصدوا بذلك أن يتم علاؤه

وهذا من قوله كما قال المرزبان وقد أنشد لابن المعتز فى مناقضة الطالبين

دعوا الأسد تسكن فى غابها * ولا تدخـــلوا بين أنيابهـا
فنحن ورثنا ثياب النبى * فكم تجـــذبون بأهدابهـا

وقد أخذه من بعض العباسيين فى قوله

دعوا الأسد تسكن أغيالها * ولا تقربوها وأشبالهـــا

ولكنه سرقه ساجاً ورده عاجاً ، وسله قطيفة ورده ديباجا

ومن قصيدة ابن الرومى

تراه عن الحرب العوان بمعزل * وآثاره فيهـا وان غاب تشهد
كما احتجب المقدار والحكم حكمه * عن الخلق طراً ليس عنه مصرد

البحترى

ربى الأمور بنفسه ومحلها * متقارب ومـــدارها متباعد

يتكفل الأدنى ويدرك رأيه الأقصى ويتبعه الأبى المعاند
ان غاب فهو من النباهة مُنجدٌ * أو غاب فهو من المهابة شاهد

وقال اعرابى يصف رجلا : كان اذا ولى لم يطابق بين جفونه ، ويرسل العيون على عيونه ، فهو غائب عنهم ، شاهد معهم ، والمحسن آمن والمسىء خائف

فتى روحه روحٌ بسيطٌ عيانهُ * ومسكن ذاك الروح نورٌ مجسدُ
صفا ونفى عنه القذى فكأنهُ * اذا ما استشفته العقول مصعد
أبى من تعاطى ما بلغتم كرائمٌ * منال الثريا وهو أكمه مقعد
كرمتم فخاس المفعمون بمدحكم * اذا رجزوا فيكم أفلتم فقصدوا
كما زهرت جنات عدن وأثمرت * فأضحت وعجم الطير فيها تغرد

وفى هذه القصيدة يقول

لما تؤذن الدنيا به من صروفها * يكون بكاء الطفل ساعة يولدُ
والا فما يبكيه منها وانها * لأفسح مما كان فيه وأرغد
اذا أبصر الدنيا استهلّ كأنهُ * بما سوف يلقى من رداها يهدَّد

قال الصولى افتتح ابن الرومى هذه القصيدة على ما لا يلزمه من فتح ما قبل حرف الروى اقتدارا فحمله ذلك على أن قال

متاح له مقداره فكأنما * تقوض ثهلان عليه وصندَد

ثهلان اسم جبل وهذا لا يصح انما هو صندد بكسر الدال ، لأن فعللا لم يجىء الا فى أربعة أحرف درهم ، وهجرع ، وهبلع ، للذى يبلع كثيرا ، وقلعم للذى يقلع الأشياء

وصف السيف

وقول ابن المعتز فى وصف السيف : كأنما

تنفس فيه القين وهو صقيل

معنى بديع فى وصف الفرند ، وقد قال

ولى صارم فيه المنايا كوامنٌ * فلا يُنتضى إلا لسفك دماءِ
ترى فوق متنيه الفرند كأنهُ * بقية غيم رقّ دون سماء

وقال أيضاً إسحق بن خلف

ألقى بجانب خصرهِ * أمضى من الأجل المتاحِ
وكأنما رد البها * ءُ عليه أنفاس الرياح

ولما صار سيف عمرو بن معديكرب وكان يسمى الصمصامة إلى الهادى وكان عمرو وهبه لسعيد بن العاص فتوارثه ولده إلى أن مات المهدى فاشتراه موسى الهادى بمال جليل ، وكان أوسع بنى العباس كفا ، وأكثرهم عطاء ، ودعا بالشعراء وبين يديه مكتل فيه بدرة ، فقال قولوا فى هذا السيف فبدر ابن يامين البصرى فقال

حاز صمصامة الزبيدى من بيـ * ـن جميع الأنام موسى الأمينُ
سيف عمرو وكان فيما سمعنا * خير ما أغمدت عليه الجفون
أخضر اللون بين حديه برد * من ذعاف يميس فيه المنون
أوقدت فوقه الصواعق ناراً * ثم شابت فيه الذعاف القيون
فاذا ما سللته بهر الشمـ * ـس ضياء فلم تكد تستبين
ما يبالى من انتضاه لحرب * أشمالٌ سطت به أم يمين
يستطير الأبصار كالقبس المشـ * ـعل ما تستقر فيه العيون
وكأن الفرند والجوهر الجا * رى على صفحتيه ماءٌ معين
نعم مخراق ذا الخليفة فى الهيـ * ـجاء يقضى به ونعم القرين

قال موسى : لم يتعدمافى نفسى ، واستحقه ، وأمره بالمكتل والسيف ، فلما خرج قال للشعراء : إنما حرمتم بى ومن أجلى ، فشأنكم المكتل ، وفى السيف غنائى . فاشترى منه السيف بمال جليل

البحترى .

قد جدت بالطرف الجواد فثنه * لأخيك من جدوى يديك بمنصل
يتناول الروح البعيـــد مناله * عفواً ويفتح فى القضاء المقفل
بانارة فى كل حتف مظـــلم * وهداية فى كل أرض مجهـــل
يغشى الوغا فالترس ليس بجنة * من حده والدرع ليس بمعقل
ماض وان لم تمضه يد فارس * بطل ومصقول وان لم يصقل
مصغ إلى حكم الردى فاذا مضى * لم يلتفت وإذا قضى لم يعدل
متوقـــد يفرى بأول ضربة * ما أدركت ولو انها فى يذبل
وكأن فارسه إذا استعصى به * فى الروع يعصى بالسماك الأعزل
فاذا أصاب فكل شيء مقتل * وإذا أصيب فما له من مقتل
حملت حمائله القـــديمة بقلة * من عهد عاد غضة لم تذبل

وقال ابن هانىء للمعز

عجباً لمنصلك المقـــلد كيف لم * تسل النفوس عليك منه مسيلا
لم يخل جبار الملوك بذكره * إلا تشحط فى الدماء قتيلا
فاذا رأيناه رأينا علة * للنيرات ونيرا معلولا
بك حسنه متقلدا وبهاؤه * متنكبا ومضاؤه مسلولا
فاذا غضبت علته دونك ربدة * يغدو بها طرف الزمان كحيلا
وإذا طويت على الرضا أهدى إلى * شمس الظهيرة عارضاً مصقولا
كتب الفرند عليه بعض صفاتكم * فعرفت فيه التاج والاكليلا

وقال

هل يدنينى من فنائك سابح * مرح وجائلة النسوع أمون

ومهند فيـــه الفِرند كأنهُ ⁕ ذِمرٌ له خلف الغِرار كمين
عضب المضارب مقفر من أعين ⁕ لكنه من أنفس مسكون

وأهدى الكندى إلى بعض إخوانه سيفاً فكتب إليه « الحمد لله الذى خصك بمنافع كنافع ما أهديت ، وجعلك تهتز للمكارم اهتزاز الصارم ، وتمضي فى الأمور مضاء حده المأثور ، وتصون عرضك بالأرفاد ، كما تصان السيوف بالأغماد ، ويطّرد ماء الحياة فى صفحات خدك المشوف ، كما يشف الرونق فى صفائح السيوف ، وتصقل شرفك بالعطيات ، كما تصقل متون المشرفيات

وفد الشام إلى المنصور

قدم على أبى جعفر المنصور وفد من الشام بعد انهزام عبد الله بن على وفيهم الحارث بن عبد الرحمن الغفارى فتكلم جماعة منهم ثم قام الحارث فقال: يا أمير المؤمنين إنا لسنا وفد مباهاة ولكنا وفد توبة استخفت حليمنا، فنحن بما قدمنا معترفون ، وبما سلف منا معتذرون ؛ فان تعاقبنا فبما أجرمنا ، وإن تعف عنا فطالما أحسنت إلى من أساء . فقال المنصور : أنت خطيب القوم ، ورد عليه ضياعه بالغُوطة .

وقال رجل من أهل الشام للمنصور : يا أمير المؤمنين من انتقم فقد شفى غيظه وانتصف ، ومن عفا تفضل ، ومن أخذ حقه لم يجب شكره ، ولم يذكر فضله ، وكظم الغيظ حلم ، والتشفى طرف من الجزع ، ولم يمدح أهل التقى والنهى من كان حليما بشدة العقاب ، ولكن بحسن الصفح والاغتفار وشدة التغافل . وبعد فالمعاقب مستدع لعداوة أولياء المذنب ، والعافى مسترع لشكرهم آمن من مكافأتهم ، ولأن يُثنى عليك باتساع الصدر خير من أن توصف بضيقه ، على أن إقالتك عثرات عباد الله موجب لإقالة عثرتك من

ربهم ، وموصول بعفوه ، وعقابك إياهم موصول بعقابه ، قال الله عز وجل « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين »

كلمات فى العفو

وقال بعض الكتاب لرئيسه وقد عتب عليه : إذا كنت لم ترض منى بالاساءة فلم رضيت منك بالمكافأة !

وأذنب رجل من بنى هاشم فقبضه المأمون فقال : يا أمير المؤمنين من حمل مثل حالتى ، ولبس ثوب حرمتى ، غفر له فوق زلتى . قال صدقت وعفا عنه

ودخل بعض الكتاب على أميره بعد نكبة ثابتة فرأى من الأمير بعض الازدراء فقال له : لا يضعنى عندك خمول النبوة ، وزوال الثروة ، فان السيف العتيق إذا مسه كثير الصدأ استغنى بقليل الجلاء حتى يعود حده ، ويظهر فرنده ، ولم أصف نفسى عجبا ، لكن شكرا . وقال صلى الله عليه وسلم « أنا أشرف ولد آدم ولا فخر » فجهر بالشكر وترك الاستطالة بالكبر

تميم بن جميل

وكان تميم بن جميل السدوسى بشاطىء الفرات واجتمع إليه كثير من الأعراب فعظم أمره ، وبعد ذكره ، فكتب المعتصم إلى مالك بن طوق فى النهوض إليه فتبدد جمعه وظفر به فحمله مستوثقا إلى باب المعتصم ، فقال أحمد ابن أبى دواد ما رأيت رجلا عاين الموت فما هاله ولا شغله عما كان يجب عليه أن يفعله إلا تميم بن جميل ، فانه لما مثل بين يدى المعتصم فأحضر السيف والنطع وأوقف بينهما تأمله المعتصم ، وكان جميلا وسيما ، فأحب أن يعلم أين لسانه من منظره ، فقال : تكلم يا تميم . فقال : أما إذ أذنت

يا أمير المؤمنين فأنا أقول الحمد لله الذى أحسن كل شىء خلقه ، وبدأ خلق الانسان من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ، جبر بك صدع الدين ، ولمّ بك شعث المسلمين ، وأوضح بك سبل الحق ، وأخمد بك شهاب الباطل ، إن الذنوب تخرس الألسن الفصيحة ، وتعيي الأفئدة الصحيحة ، ولقد عظمت الجريرة ، وانقطعت الحجة ، وساء الظنّ ، ولم يبق إلا عفوك أو انتقامك ، وأرجو أن يكون أقربهما منى ، وأسرعهما إلى ، أليقهما بك وأولاهما بكرمك ، ثم قال

أرى الموت بين السيف والنطع كامنا * يلاحظنى من حيث ما أتلفتُ
وأكبر ظنى أنك اليوم قاتلى * وأى امرىء مما قضى الله يفلت
وأى امرىء يأتى بعذر وحجة * وسيف المنايا بين عينيه مُصلَت
وما جزعى من أن أموت واننى * لأعلم أن الموت شىء مؤقت
ولكنّ خلفى صِبيةً قد تركتهم * وأكبادهم من حسرة تتفتت
فان عشت عاشوا سالمين بغبطة * أذود الردى عنهم وان مت مُوِّتوا
وكم قائل لايبعد الله داره * وآخر جذلانٌ يسر ويشمت

فتبسم المعتصم وقال : ياجميل قد وهبتك للصّبية ، وغفرت لك الصبوة ثم أمر بفك قيوده ، وخلع عليه ، وعقد له بشاطىء الفرات

عبد الله بن طاهر

وكتب المعتصم حين صارت له الخلافة الى عبد الله بن طاهر : عافانا الله وإياك ! قد كانت فى قلبى منك هفوات غفرها الاقتدار ، وبقيت حزازات أخاف منها عليك ، عند نظرى اليك ، فان أتاك ألف كتاب أستقدمك فيه فلا تقدم ، وحسبك معرفةً بما أنا منطوٍ لك عليه إطلاعى إياك على مافى ضميرى منك ، والسلام

الخلفة المعتصم

قال العباس بن المأمون ولما أفضت الخلافة الى المعتصم دخلت فقال هذا مجلس كنت أكره الناس لجلوسي فيه ، فقلت يا أمير المؤمنين أنت تعفو عما تيقنته، فكيف تعاقب على ما توهمته ؟ فقال لو أردت عقابك لتركت عتابك . وكان المعتصم شهماً شجاعاً ، عاقلا مفوّها ، ولم يكن فى بنى العباس أمىُّ غيره . قيل كان سبب ذلك أنه رأى جنازة لبعض الخدم فقال ليتنى مثله لا تخلص من الكتّاب ! فقال الرشيد والله لاعذبتك بشىء تختار عليه الموت . قال أبو القاسم الزجّاج وهذا شىء يحكى من غير رواية صحيحة إلا أن جملته أنه كان ضعيف البصر بالعربية ، وقرأ أحمد بن عمار الشيذرى وكان يتقلد العرض عليه فى الحضرة كتاباً فيه « ومطرنا مطراً كثير الكلأ » فقال له المعتصم ما الكلأ ؟ فقال لا أدرى فقال إنا لله وإنا إليه راجعون ! خليفة أمىّ وكاتب أمىّ ! ثم قال مَن يقرب منا من كتاب الدار ؟ فعرف مكان محمد بن عبد الملك الزيات وكان يتولى قهرمة الدار ويشرف على المطبخ فأحضره فقال ما الكلأ فقال للنبات كله رطبه ويابسه ، فالرطب منه خاصة يقال له الخلا ، ومنه سميت المخلاة ، واليابس يقال له حشيش ، ثم اندفع فى صفات النبات من ابتدائه إلى اكتماله الى هيجه ، فاستحسن ذلك المعتصم وولاه العرض من ذلك اليوم ، فلم يزل وزيراً مدة خلافته وخلافة الواثق حتى نكبه المتوكل بحقود حقدها عليه أيام أخيه الواثق . قال الرياشى كتب ملك الروم إلى المعتصم كتاباً يتهدده فيه فأمر بجوابه ، فلما قرئ عليه لم يرض ما فيه ، وقال لبعض الكتاب اكتب « أما بعد فقد قرأت كتابك ، وفهمت خطابك ، والجواب ما ترى لا ما تسمع ، وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار »

قطرى والحجاج

وهـذا نظير قول قَطَرى للحجاج وقد كتب إليه كتاباً يتهدده ، فأجابه قطرى : أمابعد فالحمد لله الذى لوشاء لجمع شخصنا ، فعلمت أن مثاقفة الرجال أقوم من تسطير المقال

بنو المهلب

ولمـا افتتح المهلب خراسان ونفى الخوارج عنها وتفرقت الازارقة كتب الحجاج اليه أن اكتب لى بخبر الوقعة واشرح لى القصة حتى كأنّى شاهدهـا فبعث اليه المهلب كعب بن معدان الأشعرى فأنشده قصيدة فيها ستون بيتاً يقتص خبرهم ، ولا يخرم منه شيئاً ، فقال الحجاج : أخطيب أم شاعر ؟ قال كلاهما أعز الله الأمير ! قال أخبرنى عن بنى المهلب قال المغيرة سيدهم، وكفاك بيزيد فارساً ، وما لقى الأبطال مثل حبيب ، وما استحيا شجاع أن يفر من مدرك ، وعبد الملك موت ناقع ، وحسبك بالمفضل فى النجدة ، وأسمحهم قبيصة ، ومحمد ليث غاب ، فقال الحجاج ما أراك فضلت عليهم واحدا منهم ؛ فأخبرنى عن جملتهم ومن أفضلهم ؟ فقال هم أعز الله الأمير كالحلقة المفرَغة لا يُدرَى أين طرفها. قال إن خبر حربكم كان يبلغنى عضيا ، أفكذلك كان ؟ قال نعم أيها الأمير ، السماع دون العيان ؛ قال أخبرنى كيف رضا المهلب عن جنده ورضا جنده عنه ؟ قال أعز الله الأمير له عليهم شفقة الوالد ، ولهم به بر الولد ، قال أخبرنى كيف فاتكم قَطَرى ؟ قال كدناه فى منزله فتحول عنه ، وتوهم أنه كادنا بذلك ؛ قال فهلا اتبعتموه ، قال : الكلب اذا أحجر عقر ، قال : المهلب كان أعلم بك حيث أرسلك

بشر بن مالك

وقد روى أن المهلب لما فرغ من قتل عبد ربه الحرورى دعا بشر بن مالك فأنفذه بالاشارة الى الحجاج فلما دخل على الحجاج قال ما اسمك ؟ قال بشر ابن مالك فقال الحجاج بشارة وملك ، كيف خلفت المهلب ؟ قال خلفته وقد أمن ما خاف ، وأدرك ما طلب ، قال كيف كانت حالكم مع عدوكم ؟ قال كانت البداءة لهم والعاقبة لنا ، قال الحجاج العاقبة للمتقين . قال فما حال الجند قال وسعهم الحق ، وأغناهم النفل ، وانهم لمع رجل يسوسهم بسياسة الملوك ، ويقاتل بهم قتال الصعلوك ، فلهم بر الوالد ، وله منهم طاعة الولد ، قال فما حال ولد المهلب ؟ قال رعاة البيات حتى يأمنوه ، وحماة السرح حتى يردوه ، قال فأيهم أفضل ؟ قال ذلك الى أبيهم ، قال وأنت أيضا فانى أرى لك لسانا وعبارة ، قال هم كالحلقة المفرغة لا يُدرَى أين طرفها ، قال ويحك أكنت أعددت لهذا المقام هذا المقال ؟ قال : لا يعلم الغيب الا الله

أبو الصقر وصاعد بن مخلد

ودخل أبو الصقر قبل وزارته على صاعد بن مخلد وهو الوزير حينئذ ، وفى المجلس أبو العباس بن ثوابة ، فسأله الوزير عن رجل فقال : العيّ تريد بى ؟ فقال أبو العباس مثلك يحتاج أن يشد ، ويحد ، فقال هذا من جهلك ، أما علمت أن من يحد لا يشد ، ومن يشد لا يحد ؟ فخرج أبو الصقر مغضبا

أبو العيناء وابن ثوابة

وكان أبو العيناء يعادى ابن ثوابة لمعاداته لأبى الصقر فاجتمعا فى مجلس صاعد فى غد ذلك اليوم فتلاحيا ، فقال ابن ثوابة أما تعرفنى ، فقال بلى أعرفك

ضيق العطن ، كثير الوسن ، خارًا على الذقن ، وقد بلغني تعديك على أبي الصقر ، وانما حلم عنك لأنه لم يجدلك عزا فيذله ، ولا علوا فيضعه ، ولا مجدا فيهدمه ، فعاف لحمك أن يأكله وينهكه ، ودمك أن يسفكه ، فقال ابن ثوابة ماتساب انسانان الا غلب ألأمهما ، فقال أبو العيناء : لهذا غلبت أمس أبا الصقر !

مكارم أبي الصقر

ومما يعد من مكارم أبي الصقر أن ابن ثوابة دخل عليه في وزارته فقال تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين . فقال أبو الصقر لا تثريب عليك يغفر الله لك ! فما قصر في الاحسان اليه ، والانعام عليه ، مدة وزارته

أبو الصقر وأبو العيناء

ولما ولى أبو الصقر الوزارة خير أبا العيناء فيما يحبه حتى يفعله به فقال أريد أن تكتب الى أحمد بن محمد الطائي تعرّفه مكاني ، وتلزمه قضاء حق مثلي فكتب اليه كتابا بخطه فوصّله الى الطائي فسيّب له في مدة شهر مقدار ألف دينار وعشرة أجمل فانصرف بجميع مايحبه ، وكتب إلى أبي الصقر كتاباً ضمنه : أنا أعزك الله طليقك من الفقر ، ونقيذك من البؤس ، أخذت بيدي عند عثرة الدهر ، وكبوة الكبر ، وعلى أية حال حين فقدت الأولياء والاشكال والاخوان والأمثال ، الذين يفهمون في غير تعب ، وهم الناس الذين كانوا غياثاً للناس ، فحللت عقدة الخلة ، ورددت إلى بعد النفور النعمة ، وكتبت لى كتاباً إلى الطائي فكان مما كان منك اليك ، أتيته وقد استصعبت على الأمور ، وأحاطت بي النوائب ، فكثر من بشره ، وبذل من يسره ، وأعطى من ماله أكرمه ، ومن بره أحكمه ، مكرماً لى مدة ما أقمت ، ومثقلا لى من فوائده لما ودّعت ، حكمني في ماله فتحكمت ، وأنت تعرف جوري إذا تمكنت ، وزاد في طوله فشكرت ، فأحسن الله جزاك ، وأعظم حباك ، وقدمني

أمامك ، وأعاذنى من فقدك : فقد أنفقتَ علىّ مما ملكك الله ، وأنفقتُ من الشكر مايسره الله لى . والله عز وجل يقول (لينفق ذوسعة من سعته) فالحمد لله الذى جعل لك اليد العالية ، والرتبة الشريفة ، لا أزال الله عن هذه الأمة مابسط فيها من عدلك ، وبث فيها من رفدك

ذم أبى العيناء لابن الخصيب

قطعة مختارة من نسخة الكتاب الذى عمله أبو العيناء فى ذم أحمد بن الخصيب لما نكب على ألسنة الكتاب والقواد وأرباب الدولة . قال ذكره محمد بن عبد الله بن طاهر فقال : مازال يَخرق ولا يرقع ، وما زلت أتوقع له الذى وقع فيه . وذكره وصيف فقال : ترك العقلاء على يأس مرتبته والحمق على رجاء درجته . وذكره موسى بن بغا فقال لولا أن القدر يعشى البصر ، لما نهى فيها ولا أمر . وذكره فارس بن بغا فقال : لم تتم له نعمة ، لأنه لم يكن له فى الخير همة . وذكره الفضل بن العباس فقال : إن لم يكن تاريخ البلاء فما أعظم البلوى . وذكره هرون بن عيسى فقال كانت دولته من دولة المجانين ، خرجت من الدنيا والدين . وذكره المعلى بن أيوب فقيل له ماأعجب مانكب فقال نعمته أعجب من نكبته ! وذكره ميمون بن إبراهيم فقال : لو تأمل فماله فاجتنبها لاستغنى عن الآداب أن يطلبها ! وذكره محمد بن نجاح فقال لئن كانت النعمة عظمت على قوم خرج عنهم لقد عظمت المصيبة على قوم نزل فيهم ! وذكره على بن المنجم فقال لم يكن له أول يرجع إليه ، ولا آخر يعود عليه ، ولا عقل فيدركه عاقل لديه ! وذكره محمد بن موسى بن شاكر المنجم فقال ان ذكرت ذا فضل تنقصه لما فيه من ضده أو ذكرت ذا نقص تولاه لما فيه من شكله . وذكره بن ثوابة فقال امرؤ أساء عشرة الاحرار ، فأصبح مقفر الديار . وذكره حجاج ابن هرون فقال ما كان له فى الشرف أسباب متان ، ولا فى الخير عادات حسان . وذكره محمد بن الفضل فقال مازال

يستوحش بالنعمة حتى أنس بالنقمة . وذكره عبد الله بن منصور فقال كنت أرثى للسلطان من جمعه كما أبكى للرعية من ظلمه . وذكره أبو فراس فقال لئن علا بخطأ لقد انحط بحق . وذكره سعيد بن حميد فقال : إذا أصاب أحجم ، وإذا أخطأ أقدم

أبو بكر سيبويه وأهل مصر

وكان فى هذا العصر بمصر أبو بكر المعروف بسيبويه ماقلة البصرة يشبهه فى حضور جوابه وخطابه ، وحسن عبارته ، وكثرة روايته ، وكان قد تناوله البلاء ، وعرضت له منه لوثة ، وكان أكثر الناس يتبعونه ويكتبون عنه مايقول ، قال يوماً للمصريين : ياأهل مصر أصحابنا البغداديون أحزم منكم لايقولون بالولد ، حتى يتخذوا له العقد والعدد ، فهم أبداً يعتزلون . ولا يقولون باتخاذ الصغار ، حزماً ان يملكهم سوء الجوار ، فهم أبداً يكنزون . ولا يقولون باتخاذ الحرائر خوفاً أن تتوق أنفسهم الى السرارى فهم أبداً يتسرون . ولا يقولون باظهار الغنى فى مكان عُرفوا فيه بالفقر ، فهم أبداً يسافرون . ووقف يوما بالجامع وقد أخذت الخلق مأخذها ، فقال يا أهل العصر حيطان المقابر أنفع منكم ، يستند إليها من التعب ، ويستدفأ بها من الريح ، ويستظل بها من الشمس ، والبهائم خير منكم تُمتطى ظهورها ، وتُحتذى جلودها . وتؤكل لحومها

حديثه مع ابن الخنزابة

وكان أبو الفضل بن الخنزابة ربما رفع أنفه تيها فقال له سيبويه وقد رآه فعل ذلك : شم منى الوزير رائحة كريهة فشمر أنفه ، فأطرق واستعمل النهوض ، فخرج سيبويه ، فقال رجل : من أين أقبلت ؟ فقال من عند الزاهى بنفسه ، المدل بطقسه ، المستطيل على أبناء جنسه . واستأذن على مسلم ابن عبيد الله العلوى ، ومسلم من أهل الحجاز نزل مصر ، فحجب عنه ، فقال:

قولوا له يرجع إلى لبس العبا ، ومص النوى ، وسكنى الفلا ، فهو أشبه به من نعيم الدنيا

حديثه مع صاحب الراضى

وكان على شرطة كافور الأخشيدى أحد الخاصة فوجد عليه سيبويه فى بعض الأمر فعزل عن الشرطة فوليها زكى صاحب الراضى ، فلم يحمده أيضاً ، فوقف لكافور وهو مار إلى الصلاة يوم الجمعة ، فقال : أيها الأستاذ ، وليت ظالماً وعزلت ظالماً ، قليل الوفا ، كثير الجفا ، غليظ القفا . فتبسم ابن برك البغدادى وكان يساير كافوراً فقال : وهذا ابن برك ممن يغرك ، لن ينفعك وقد يضرك

حديثه مع الأمير مفلح

وأخلى الحمام لمفلح الحسينى فأتى سيبويه ليدخل فمنع ، وقيل الأمير مفلح به فقال لا أنقى الله مغسوله ، ولا أبلغه سُوله ، ولا وقاه من العذاب مهوله ! وجلس حتى خرج فقال : إن الحمام لأحد ثلاثة مبتلًى من قُبله ، أو مبتلى فى دبره ، أو سلطان يخاف من شره ، فأى الثلاثة أنت ؟ قال أنا المقدم

حديثه مع أبى بكر الخازن

وأحضره أبو بكر بن عبد الله الخازن فقال قد بلغنى بذاء لسانك وقبيح معاملتك للأشراف ، فاحذر أن تعود فينالك منى أشد العقوبة فخرج متحزناً فكان الولدان يتولعون به ويذكرون له الخازن ، فيشتد عليه ذلك ، فينصرف ولا يكلمهم ، فمر به رجل يكنى أبا بكر من ولد عقبة بن أبى معيط ، وغلام قد لج عليه بذلك ، فضحك المعيطى ، فقال للرجل ضرب الله عنق الخازن كما ضرب النبى صلى الله عليه وسلم عنق عقبة بن أبى معيط على الكفر ، وضرب

ظهر أبيك بالسوط كما ضرب على بن أبى طالب بأمر عثمان رضى الله عنهما ظهر الوليد بن عقبة على شرب الخمر ، وألحقك يا صبى بالصبية ! يريد قول النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال له عقبة لما أمر النبى صلى الله عليه وسلم علياً رضى الله عنه بقتله «فمن للصبية يا رسول الله» قال النار لك ولهم

فانصرف المعيطى وبطن الأرض أحب إليه من ظهرها

عقوق أبى العيناء

وقال أبو العيناء : أنا أول من أظهر العقوق لوالديه بالبصرة ، قال لى أبى إن الله قد قرن طاعته بطاعتى . فقال تعالى : أن اشكر لى ولوالديك . فقلت يا أبت إن الله تعالى قد أمنى عليك ولم يؤمنك علىّ . فقال تعالى : « ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم » .

كلمات الأعراب

وقال أعرابى لأبيه يا أبت إن فى كبير حقك ما يبطل صغير حقى عليك ، والذى تمتّ به إلىّ أمت بمثله إليك ، ولست أزعم أنا سواء ، ولكن لا يحل لك الاعتداء

كلمات أبى العيناء

دخل على عبيد الله بن سليمان فضمه إليه فقال أنا الى ضم الكفاية أحوج منى الى ضم اليدين . وقال له مرة أنا معك مغبوط الظاهر موجود الباطن .

قال أبو الطيب المتنبى

ماذا لقيت من الدنيا وأعجبهُ * أنى بما أنا باكٍ منه محسودُ

وقال له رجل يا مخنث فقال وضرب لنا مثلا ونسى خلقه ! وذكر

أبو العيناء محمد بن يحيى بن يحيى بن خالد بن برمك فقال بأبى وأمى دام الوجه الطلق ، والقول الحق ، والوعد الصدق ، نيته أفضل من علانيته ، وفعله أفضل من قوله . وقال له المتوكل ماأشد ما مرّ عليك من فقد بصرك ؟ فقال ماحرمت منه من النظر اليك أيها الأمير ! وقال لعبيد الله بن يحيى : مسنا وأهلنا الضر ، وبضاعتنا الحمد والشكر ، وأنت الذى لايخيب عنده حر . وقال له يوما : قد اشتد الحجاب ، وفحش الحرمان ، فقال ارفق ياأباعبد الله ! فقال لو رفق بى فعلك لرفق بك قولى ! وقال له : أيها الوزير ، اذا تغافل أهل الفضل هلك أهل التجمل . وذم رجلا فقال : لا يعرف الحق فينصره ولا الباطل فينكره . وقيل له ما أبلغ الكلام ؟ فقال ما أسكت المبطل ، وجبر المحق . وقيل له مات الحسن ابن سهل فقال والله لئن أتعب المادحين ، لقد أطال بكاء الباكين ، والله لقد أصيب بموته الأنام ، وخرست لفقده الأقلام

رثاء

قال أشجع بن عمرو السلمى

مضى ابن سعيد حين لم يبق مشرق * ولا مغرب إلا له فيه مادحُ
وما كنت أدرى ما فواضل كفهِ * على الناس حتى غيبته الصفائح
فأصبح فى لحد من الأرض ميتا * وكانت به حيا تضيق الصحاصح
كأن لم يمت ميت سواه ولم تقم * على أحد الا عليه النوائح
فما أنا من رزء وان جل جازعٌ * ولا بسرورٍ بعد ما مات فارح
لئن حسنت فيك المراثى وذكرها * لقد حسنت من قبل فيك المدائح
سأبكيك مافاضت دموعى وان تغض * فحسبك منى ما تكنّ الجوانح

قوله

وكانت به حيا تضيق الصحاصح

يتعلق بقول الحسين بن مطير في معن بن زائدة

ألِمّا على معن وقولا لقبرهِ * سقتك الغوادى مربعا ثم مربعا
فيا قبر معن أنت أول حفرةٍ * من الأرض خُطّت للسماحة موضعا
ويا قبر معن كيف واريت جوده * وقد كان منه البر والبحر مترعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميت * ولو كان حيًّا ضقت حتى تصدعا
فتًى عِيش فى معروفه بعد موتهِ * كما كان بعد السيل مجراه مرتعا
ولما مضى معن مضى الجود وانقضى * وأصبح عِرنين المكارم أجدعا

وهذا كقول عبد الصمد بن المعذل فى عمرو بن سعيد بن مسلم الباهلى

أقبر أبى أميــــة لو عُلاه * حملت اذاً لضقت به ذراعا
حويت الجود والتقوى وعمراً * فكيف أطقت ياقبر اضطلاعا
لموتهم أطقت له انضماماً * ولولا ذاك لم تطق اتساعا

سعر الخنساء

وقول أشجع

لئن حسنت فيك المراثى وذكرها

من قول الخنساء

ياصخر بعدك هاجنى استعبارى * شانيـــك بات بذلتى وصغارى
كنا نعدّ لك المدائح مدة * والآن صرت تناح بالأشعار

وقالت جنوب أخت عمرو

سألت بعمرٍو أخى صحبه * فأفظعنى حين ردوا السؤالا
فقالوا أتيح له نائماً * أغر السلاح عليه أجالا

أتيح له نَمِرا أجبـــلٍ * فنالا لعمرك منه منالا
فأقسم يا عمرو لو نبهاك * اذاً نبها منك داءً عضالا
اذاً نبها غـــير رعديدةٍ * ولا طائشا دهشاً حين صالا
همامع تصرف ريب المنون * من الدهر ركنا شديدا أمالا
وقالوا قتلناه فى غارةٍ * بآية أن قد ورثنا النبالا
فهلا اذاً قبل ريب المنون * وقد كان فذّا وكنتم رجالا
وقد علمت فَهْم عند اللقاء * بأنهمُ لك كانوا ثِقالا
كأنهـــمُ لم يحسوا بهِ * فيخلوا نساءهمُ والحجالا
ولم ينزلوا بمحول السنين * به فيكونوا عليه عيالا
وقد علم الضيف والمرملون * اذا اغبرّ أفق وهبت شمالا
وخلت عن اولادها المرضعا * ت ولم تر عينٌ لمزن بلالا
بأنك كنت الربيع المغيث * لمن يعتفيك وكنت الثمالا
وخرق تجاوزت مجهولهُ * بوجناء حرف تشكّى الكلالا
وكم من قبيـــل وان لم تكن * أردتهمُ منك باتوا وِجالا

عمرو بن عاصم

قال عمرو بن شبة وكان عمرو بن عاصم هـذا يغزو فَهماً فيصيب منهم فوضعوا له رصداً على الماء ، فأخذوه فقتلوه ، ثم مروا بأخته جنوب فقالوا: أخاك ، فقالت لئن طلبتموه لتجدُنّه سريعاً ! فقالوا قد أخذناه فقتلناه ، وهذا نَبله ، فقالت والله لئن سلبتموه لأنحدرنّ إلى حجرته حافية ، ولرب ثدى منكم قد افترشه ، ونهب قد احتوشه ! ثم قالت الأبيات المتقدمة الذكر

أجمل ماقيل فى الرثاء

وأنشد أبو حاتم ولم يُسمّ قائله

الا فى سبيل الله ماذا تضمنت * بطون الثرى واستودع البلد القفر

بدورٌ اذا الدنيا دجت أشرقت بهم * وان أجدبت يوما فأيديهم القطرُ
فيا شامتاً بالموت لا تشمتنّ بهم * حياتهمُ فخرٌ وموتهم ذكر
أقاموا بظهر الأرض فاخضرّ عودها
وصاروا ببطن الأرض فاستوحش الظهر

رثاء العتبي لبنيه

وقال أبو عبد الله العتبي وتوفى له بنون فجع بهم ومات فى آخرهم ابن له يكنى أبا عمرو كان يقول الشعر فقال يرثيه

لقد شمت الواشون بى وتغيّرتْ * وجوهٌ أراها بعد موت أبى عمرو
تجرّى علىّ الدهر لما فقدتهُ * ولو كان حيا لاجترأت على الدهر
أسكّان بطن الأرض لو يقبل الفدا * فدينا وأعطينا بكم ساكن الظهر
فيا ليت من فيها عليها وليت من * عليها ثوى فيها مقيما إلى الحشر
وقاسمنى دهرى بنىّ مشاطرا * فلما توفى شطره مال فى شطرى
فصاروا كأن لم يعرف الموت غيرهم * فثكل على ثكل وقبر على قبر

وقال فى ابن له توفى صغيرا

إن يكن مات صغيراً * فالأسى غير صغيرِ
كان ريحانى فأمسى * وهو ريحان القبور
غرسته فى بساتين البلى أيدى الدهور

ومن هنا أخذ أبو الطيب المتنبي قوله

فإن تك فى قبر فانك فى الحشا * وإن تك طفلا فالأسى ليس بالطفلِ

أبيات خليف الأقطع

وقال خليف بن خليفة الأقطع

أعاتب نفسى إن تبسمت خاليا * وقد يضحك الموتور وهو حزينُ

وبالغد أشجانى وكم من شجٍ له * دُوَيْن المصلى والبقيع شجون
رُبًى حولها أمثالها إن أتيتها * قرينك أشجاناً وهن سكون
كفى الهجر أنا لم يضح لك أمرنا * ولم يأتنا عما لديك يقين

أبيات أبى عطاء السندى

وقال أبو عطاء السندى فى يزيد بن هبيرة

ألا إن عيناً لم تجد يوم واسط * عليك بباقى دمعها لجمودُ
عشيةَ قام النائحات وشققت * جيوبٌ بأيدى مأتم وخدودُ
فان تُمس مهجور الفناء فربما * أقام به بعد الوفود وفودُ
فانك لم تبعد على متعهدٍ * بلى كل ماتحت التراب بعيدُ

كلمة لبعض الأعراب

وقال أعرابى

ومن عجب أن بتّ مستودع الثرى * وبتُّ بما زودتنى متمتعا
فلو أننى أنصفتك الود لم أبت * خلافك حتى تنطوى فى الثرى معا
سأحمى الكرى عينى وأفترش الثرى * يمينى اذا صار الثرى لك مضجعا
وبعدك لا آسى لعظم رزيةٍ * قضيتَ فهوّنت المصائب أجمعا

ومعنى هذا البيت الأخير تداوله الناس نظما ونثرا

رثاء أبى نواس للامين

قال أبو نواس فى الأمين

طوى الموت ما بينى وبين محمد * وليس لما تطوى المنية ناشر
لئن عمرت دور بمن لا أحبهُ * لقد عمرت ممن أحب المقابر
وكنت عليه أحذر الموت وحدهُ * فلم يبق لى شىء عليه أحاذر

أم الهيثم السدوسية

وقيل لأم الهيثم السدوسية : لأسرع ما سُلبت ولدك الهيثم ! قالت : أما والله لقد رزئته البدر فى بهائه ، والرمح فى استوائه ، والسيف فى مضائه ، ولقد فتت مصيبته كبدى ، وأفنى فقده جلدى ، وما اعتضت من بعده إلا أمن المصائب لفقده.

ما أصيب من أثيب

وعزّى أبو العيناء أحمد بن أبى دواد عن ولد له فقال : ما أصيب من أثيب ، والله لقد هان لفقده ، جليل المصايب من بعده .

كلمة لبعض الأعراب

ودخل أعرابى من بادية البصرة إلى الشام ومعه بنوه فلما كان بِقنّسرين مات بنوه بالطاعون فقال :

أبعد بنِيَّ الدهرَ أرجو غضارةً * من العيش أو آسى لمافات من عمرى
غطارفة زُهرٌ مضوا لسبيلهم * فلهفى على تلك الغطارفة الزهر
سقى الله أجساداً ورائى تركتها * بحاضر قنّسرين من صيِّب القطر
يذكرنيهم كل خير رأيته * وشر فما أنفك منهم على ذكر

وهذا البيت كقول الآخر :

رعاك ضمان الله يا أم مالك * ولَله أن يرعاك أولى وأوسعُ
يذكرنيك الخير والشر والذى * أخاف وأرجو والذى أتوقع

كلمة لمسلم بن الوليد

وقال مسلم بن الوليد :

وإنى وإسمعيل يوم وداعهِ * لكالغمد يوم الروع فارقه النصلُ

أما والحبالات الممرّات بيننا * وسائل آدتها المودة والوصل
لما خنت عهداً من إخاء ولا نأى * بذكرك نأىٌ عن ضميرى ولا شغل
وإنىَ فى مالى وأهلى كآتى * لفقدك لا مال لدىّ ولا أهل
يذكرنيك الخير والشر والحجا * وقيل الخنى والحلم والعلم والجهل
فألقاك عن مذمومها متنزهاً * وألقاك فى محمودها ولك الفضل
وأحمد من أخلاقك البخل انهُ * بعرضك لا بالمال حاشالك البخل
أمنتجعاً مروا بأثقال همةٍ * دع الثقل واحمل حاجة مالها ثقل
ثناء كعرف الطيب يهدى لعرفه * وليس له إلا بنى برمك أهل
فان أغش قوماً بعدهم أو أزرهمو * فكالوحش يدنيها من القنص المحل

التعازى والبكاء

ومن ألفاظ أهل العصر فى التعازى وما يتعلق بها من ذكر البكاء والجزع وعظم المصائب

— خبر عزّ على النفوس مسمعه ، وأثرّ فى القلوب موقعه

— خبر تستكّ له المسامع ، وترتجّ له الأضالع ، وتسقط له الحبالى ، وتصحو منه السكارى

— خبر كادت له القلوب تطير ، والعقول تطيش ، والنفوس تطيح

— خبر يخفض البصر ويقذيه ، ويقبض الأمل ويقدح فيه . ياسوء صباح أتى فيه الخبر فرأينا الرجاء قد انقطع ، وأصم به الناعى وقد أسمع

— ناعى الفضائل قائم ، وأنف المحاسن راغم

— خبر جرح الصدر ، وأحل البكاء ، وحرم الصبر ، وأطار واقع السكون ، وأثار كامن الوجوم ، وثقلت وطأته على أجزاء النفس ، وتأدت مضرته إلى سواء القلب

— كتبت والأرض واجفة ، والشمس كاسفة ، للرزء العظيم ، والمصاب الجسيم ، فى فلك الملك ، وركن المجد ، وقريع الشرق والغرب ، وما عسى أن يقال فى الفلك الأعلى إذا انهار من جوانبه ، وتهافت على مناكبه .

أتى الناعى ، فندب المساعى ، وقامت بواكى المجد ، وكسفت شمس الفضل ، وعاد النهار أسود ، والعيش أنكد

— غرب لموته نجم الفضل ، وكسدت سوق الأدب ، وقامت نوادب السماحة ، ووقف فلك الكرم ، ولطمت عليه المحاسن خدودها ، وشقت له المناقب جيوبها وبرودها

— قد كانت الرزية بحيث مارت السماء مورا ، وسارت الجبال سيرا ، حتى شوهدت الكواكب ظهرا ، ثم تهافتت شفعا ووترا ، وارتاعت الأمة وانبسطت الظلمة ، وارتفعت الرحمة ، واضطربت الملة ، وقامت نوادب المجد ، وأصبح الناس من القيامة على وعد

— إن المجد لبعده جارى الدموع ، وإن الفضل لمنزعج النفس ، وإن الكرم لحرج الصدر ، وإن الملك لواهن الظهر

— كتابى وأنا من الحياة متذمم ، وبالعيش متبرم ، بعد ما ماد الطود الشامخ ، وزال الجبل الباذخ ، ونطقت نوادب المجـــد ، وأقيمت ماتم الفضل

— نعى فلان فتنكر وجه الدهر ، وقبضت مهجة الفخر : فلا قلب إلا قد تبيّن صدعه ، ولا عين إلا وهى ترشح بالدّم

— كتبت والأحشاء محترقة ، والأجفان بمائها غرقة ، والدمع واكف والحزن عاصف

— مصاب أطلق أسراب الدموع وفرقها ، وأقلق أعشار القلوب وأحرقها مصاب فض عقود الدموع ، وشب النار بين الضلوع ، مصاب أذاب قلوب

الأحرار ، فتحلبت سحـــائب الدموع الغزار ، وانسدّت مسالك السكون والاستقرار .

— كتبت عن عين تدمع ، وقلب يجزع ، ونفس تهلع ، وقـد أذبلت غصون العبرة ، وحجبت وافد الحيرة ، ومدّ الهم إلى جسمى يد السقم ، وجر الدمع على خدى ذيول الدم

— لولا أن العين بالدمع أنطق من كل لسان وقلم ، لأخبرت عن بعض ما أوهن ظهرى ، وأوهى أزرى . إن الفجيعة إذا لم تحارب بجيش من البكاء ، ولم يخفف من أثقالهـا بالاشتكاء ، تضاعف داؤها ، وازدادت أعباؤها ، وعزْ دواؤها

— قد شفيت غليلى بما استدررته من أسراب الدموع المتحيرة ، وخففت عنى بعض البرحاء بما امتريته من أخلافها المتحدرة

— ان فى إسبال العبرة ، وإطلاق الزفرة ، والاجهاش بالبكاء والنشيج ، وإعلان الصياح والضجيج ، تنفيساً عن برحاء القلوب ، وتخفيفاً من أثقال الـكروب

— قد أتى الدهر بما هدّ الأصلاب ، وأطار الألباب : من النازلة الهائلة ، والفجيعة القطيعة

— رزء أضعف العزائم القوية ، وأبكى العيون البكية

— مصيبة زلزلت الأرض ، وهدمت الـكرم المحض ، وسلبت الأجفان كراها ، والأبدان قواها . فجيعة لا يداوى كَلْمها آس ، ولا يسد ثلمها تناس

— مصيبة تركت العقول مدلَّهة ، والنفوس مولهة

— رزء هض وهاض ، وأزال الانخزال والانخفاض ، ولم يرض بأن فض الأعضاء ، حتى أفاض الدماء

— رزء ملأ الصدور ارتياعا ، وقسم الألباب شَعاعا ، وترك الجفون مقروحة والدموع مسفوحة ، والقوى مهدودة ، وطُرق العزاء مسدودة

— رزء نكأ القلوب وجرحها ، وأحر الأكباد وقرحها ، مالى يدتخط إلا بكلفة ، ولا نفس تتردد إلا فى غصة ، ولا عين تنظر إلا من وراء قذى ، ولاصدر ينطوى إلا على أذى ، فالدموع واكفة ، والقلوب واجفة ، والهم وارد ، والأنس شارد

والناس مأتمهم عليه واحدٌ ＊ فى كل دار رنّة وزفـــيرُ

— أين منى كندة وهى تلهف على حجر ، والخنساء تبكى على صخر

— أنا بين عـــبرة وزفرة ، وأنة وحسرة . وتململ واضطراب ، واشتعال والتهاب

— مصيبة أصبحت لغمتها وقيذا ، ولكربتها أخيذا

— كتبت وقد ملك الجزع صبرى وعزائى ، وحصل ناظرى فى إسار وبكائى ، فالقلب دهش ، والبنان يرتعش ، وأنا من البقاء مستوحش

— قدانتهى بى الهلع إلى حيث لاالتأسى مُصحِب ، ولا التناسى مصاحب

— بى انزعاج يحل عقود الحزم ، واكتئاب ينقض شروط العزم

— قد بلغ الحزن مبلغاً لم أبتـذله للنوائب ، وإن جلت وقعا . ونال منى منالا لم يعتد طروق المصائب ، وإن عظمت فجعا

ـ كتبت بين اضطراب نفس ، واضطرام صدر ، والتهاب قلب ، وانتهاب صبر ، فما أعظمه مفقودا ، وما أكرمه موجودا

— إنى لأنوح عليه بنوح المناقب ، وأرثيه مع النجوم الثواقب ، وأبكيه مع المعالى والمحاسن . وأثنى بثناء المساعى والمآثر

— ليت يمين الزمان شلت قبل أن فتكت بمهجة الفضل ، وعين الزمان كُـفت قبل أن رأت مصرع الفخر

— لقد رزئنا من فلان عالماً فى شخص ، وأمة فى نفس

— مضى والمحاسن تبكيه . والمناقب تعزى فيه

— العيون لما قرت به أسخنها فيه ريب المنون ، ولما شرحت به الصدور قبضها بفقده المقدور

— قد ركب على الأعناق بعد العتاق ، وعلى الأجياد بعد الجياد ، وفاح فتيت المسك من مآثره ، كما يفوح العنبر من مجامره

— كان منزله مألف الأضياف ، ومأنس الأشراف ، ومنجع الركب ، ومقصد الوفد ، فاستبدل بالأنس وحشة ، وبالنضارة غبرة ، وبالبياض ظلمة ، واعتاض من تزاحم المواكب تلادم المآتم ، ومن ضجيج النداء والصهيل، عجيج البكاء والعويل

— هذه المكارم تبدى شجوها لفقده ، وتلبس حدادها من بعده ، وهذه المحاسن قد قامت نوادبها مع نوادبه ، واقترنت مصائبها بمصائبه

— لو قُبلت الفدية لوقيته بنفسي وأيام عمرى ، علماً بأن العيش بمثله من إخوان الصفا يصفو ، وبظعنه عن الدنيا يكدر ويعفو

— لو وقى من الموت عزيز قوم بعزته ، أو كبير بأولاده وأسرته ، أو ذو سلطان باستطالته وقدرته ، أو زعيم دولة بحشمه وعُدته ، لكان الماضى أحق من وقى ، وأولى من فدى . وكنا أقدر على دفع ما حدث ، وذبّ ما كرث وأرهق ، لكنه الأمر المسوّى فيه بين من عز جانبه وذل ، وكثر ماله وقل ، حتى لحق المفضول بالفاضل ، والناقص بالكامل .

شكوى الزمان

ولهم فيما يطابق هذا النحو من وصف الدهر وذم الدنيا

— هو الدهر لا يعجب من طوارقه ، ولا ينكر هجوم بوائقه ، عطاؤه فى ضمان الارتجاع ، وحباؤه فى قران الانتزاع

— من عرف الزمان ، لم يستشعر منه الأمان ، وتصور تصرف الحوادث ، بين الموروث والوارث

— الدهر مشحون بطوارق الغِيَر ، مشوب صفو أيامه بالكدر ، ممزوج صابه بالعسل ، موصولة حبال الأمن فيه بأسباب الأجل

— قد جعل الله الدنيا دار قلعة ، ومحل نقلة ، فمن راحل ليومه ، ومن مؤخر لغده ، وكلٌّ مستوف لأجله ، وجار لأمله

— ما الدنيا إلا دار النقلة ، ولا المقام فيها إلا للرحلة

— إن المرء حقيق إذا طرقه ما يتحيَّف صبره ، ويتطرق صدره ، أن يعود إلى علمه بالدنيا كيف نصبت على النقلة ، وجنبت طول المهلة ، وابتدئت للنفاد ، وشفع كونها بالفساد ، وأن الثاوى فيها راحل ، والأيام مراحل

— موهوب الدنيا مسلوب ، وإن أرجىء إلى مهلة ، وممنوحها مجذوب ، وإن أخر إلى أجل

— لو خلد من سبق ، لما وسعت الأرض من لحق ، ولذلك جعلت الدنيا دار قلعة ، ومحل نجعة

سُبقنا إلى الدنيا فلو عاش أهلها * منعنا بها من جيئة وذهوب
تملكها الآتى تملك سالب * وفارقها الماضى فراق سليب

ذم الدنيا

قال عتبة بن هرون كنت مع الفضل الرقاشى فمر بمقبرة فقال : يا أهل الديار الموحشة ، والمحال المقفرة ، التى نطق بالخراب فناؤها ، وشيد بالتراب بناؤها . ساكنها مغترب ، وعامرها مقترب ، أهل هذه المنازل متشاغلون ، لا يتواصلون تواصل الإخوان ، ولا يتزاورون تزاور الجيران ، قد طحنهم بكلكله البلى ، وأكلهم الجندل والثرى

وقال خاقان بن صبح : لوحشة الشك التمسنا أنس اليقين ، ومن ذل الجهل هربنا إلى عز المعرفة ، ولخوف الضلالة لزمنا الجادة

وقال بعض الحكماء : كمون المصائب ، ونزول النوائب ، وبغتات المنايا ، مطويات فى الساعات ، مكنونات فى الأوقات ، ورب مغتبط بساعة فيها انقضاء أجله ، ممتع بوقت صار فيه إلى قبره ، ومنتظر ورود يوم فيه منيته .

أعرابى يعظ ابنه

ووعظ أعرابى ابناً له أفسد ماله فى الشراب فقال : لا الدهر يعظك ، ولا الأيام تنذرك ، والساعات تعدُّ عليك ، والأنفاس تعد منك ، وأحب أمريك إليك ، أردهما بالمضرة عليك .

المقامة الاهوازية

ومن إنشاء بديع الزمان فى المقامات حدثنا عيسى بن هشام قال :

كنت فى الأهواز فى رفقة متى ترقّ العين فيهم تَسهّل ، ليس منا إلا أمرد بكر الآمال ، غض الجمال ، أو مختط حسن الإقبال ، أمن الأيام والليال ، فأفضنا فى العشرة كيف نُحكم معاقدها ، والأخوة كيف نضع قواعدها ، والسرور فى أى وقت نتقاضاه ، والأنس كيف نتهاداه ، وفائت الحظ كيف نتلافاه ، والشراب والنقل كيف نتعاطاه ، ومال بعضنا إلى السماع والجماع ، وقمنا نجر أذيال الفسوق ، حتى انصرفنا من السوق ، واستقبلنا رجل فى طِمرين ، فى يمناه عكازة ، وعلى كتفه جنازة ، فتطيرنا لما رأينا الجنازة ، وأعرضنا عنها صفحا ، وطوينا دونها كشحا ، فصاح بنا صيحة كادت الأرض لها تنفطر ، والنجوم تنكدر وقال لترَنُّنَّها صغرا ، ولتركبنها قسرا ، ما لكم تَطيّرون من مطية ركبها أسلافكم ، وسيركبها أخلافكم ، وتقزّزون من سرير وطئه آباؤكم ، وسيطؤه أبناؤكم ، أما لتُحْمَلُنَّ على هذه العيدان ، إلى تلكم الديدان ، ولتنقلن بهذه الجياد ، إلى تلكم الوهاد . ويحكم تطيرون كأنكم مخيرون ،

وتتكرهون كأنكم منزهون ، هل تنفع هذه الطيَرة ، يا فجرة !

قال عيسى بن هشام : فلقد نقض علينا ما كنا عقدناه ، وأبطل لنا ما كنا أردناه ، فملنا إليه وقلنا ما أحوجنا إلى وعظك ، وأعشقنا للفظك ، ولو شئت لزدت ، قال إن وراءكم موارد أنتم واردوها ، وقد سرتم إليها عشرين حجة

وان امرأ قد سار عشرين ِحجةً * إلى منهل من ورده لقريبُ

وفوقكم من يعلم أسراركم ، ولو شاء لهتك أستاركم ، يعاملكم فى الدنيا بحلمه ، ويقضى عليكم فى الآخرة بعلمه ، فليكن الموت منكم على ذُكر ، لئلا تأتوا بنكر ، فانكم متى استشعرتموه لم تجمحوا ، ومتى ذكرتموه لم تمرحوا ، وإن نسيتموه فهو ذاكركم ، وإن نمتم عنه فهو ثائركم ، وإن كرهتموه فهو زائركم ، قلنا فما حاجتك قال هى أطول من أن تُحد ، وأكثر من أن تعد ، قلنا فسانح الوقت . قال : رد فائت العمر ، ودفع نازل الأمر ، قلنا ما إلى ذلك سبيل ، ولكن لك ما شئت من متاع الدنيا وزخرفها ، قال لا حاجة لى فيها

قوله * وإن امرأ قد سار عشرين حجة * محرف عن قول قائله

وإن امرأ قدر سار خمسين حجة * والبيت لأبى محمد التيمى أنشده دعبل.

إذا مامضى القرن الذى أنت فيهمُ * وخُلِّفت فى قرن فأنت غريبُ

والبيت بعده ، قال دعبل وتزعم الرواة أنه لأعرابى من بنى أسد قال. خلاد الأرقط كنا على باب أبى عمرو بن العلاء ومعنا التيمى فذكرنا كتاب. الحجاج بن يوسف إلى قتيبة بن مسلم : إنى وإياك لدنان ، وإن امرأ قد سار خمسين حجة لقمن أن يزيد . فأصلحناه فانتشله التيمى فاجتلبه فى شعره

كتاب البديع إلى أبي القاسم الكرجى

— ١ —

وكتب البديع إلى أبي القاسم الكرجى : أنا وإن لم ألق تطاول الاخوان إلا بالتطول ، وتحامل الأحرار إلا بالتحمل ، أحاسب الشيخ على أخلاقه حنئًا بما عقدت يدى عليه من الظن به ، والتقدير فى مذهبه ، ولولا ذاك لقلت فى الأرض مجال إن ضاقت ظلاله ، وفى الناس واصل إن رثت حباله ، وأؤاخذه بأفعاله ، فان أعارنى أذناً واعية ، ونفساً مراعية ، وقلباً متعظاً ، ورجوعا عن الذهاب ، ونزوعا عما يقرعه فى هذا الباب ، فرشت لمودته خوان صدرى ، وعقدت عليه جوامع خصرى ، ومجامع عمرى ، وإن ركب من التعالى غير مركب ، وذهب من التغالى فى غير مذهب ، أقطعته خطة أخلاقه ، ووليته جانب إعراضه ، فكنت امرأ

لا أذود الطير عن شجر * قد بلوت المر من ثمره

فانى أطال الله بقاء مولاى وإن كنت مقتبل السن والعمر ، فقد حلبت شطرى الدهر ، وركبت ظهرى البر والبحر ، ولقيت وفدى الخير والشر ، وصافحت يدى النفع والضر ، وضربت إبطى العسر واليسر ، وبلوت طعمى الحلو والمر ، ورضعت ثديى العرف والنكر ، فما تكاد الأيام ترينى من أفعالها غريبا ، أو تسمعنى من أقوالها عجيبا ، ولقيت الأفراد ، وطارحت الآحاد ، فما رأيت أحداً إلا ملأت حاقى سمعه وبصره ، وشغلت حيزى فكره ونظره ، وأثقلت كتفه فى الحزن ، وكفته فى الوزن ، وودّ لو بادر القِرن صحيفتى ، أو اتقى صفيحتى ، فما لى صغرت هذا الصغر فى عينه ، وما الذى أزرى بى عنده حتى احتجب وقد قصدته ، ولزم أرضه وقد حضرته ، وأنا أحاشيه أن يجهل قدر الفضل ، أو يجحد فضل العلم ،

أو يمتطى ظهر التيه ، على أهليه ، وأسأله أن يختصنى من بينهم بفضل إنعام إن زلت بى مرة قدم فى قصده ، وكأنى به وقد غضب لهذه المخاطبة المجحفة ، والرتبة المتحيفة ، وهو فى جنب جفائه يسير ، وإن أقلع عن عادته إلى الوفاء ، ونزع عن شيمته فى الجفاء ، فأطال الله بقاء الأستاذ وأدام عزه وتأييده .

— ٢ —

وله إليه رقعة :

يعز علىّ أطال الله بقاء الشيخ الرئيس أن ينوب فى خدمته قلبى عن قدمى ، ويسعد برؤيته رسولى ، دون وصولى ، ويردَ شرعة الأنس به كتابى ، قبل ركابى ، ولكن ما الحيلة والعوائق جمة

وعلىّ أن أسعى وليس علىّ إدارك النجاح

وقد حضرت داره ، وقبلت جداره ، وما بى حب الجدران ، ولكن شغفاً بالقطان ، ولا عشق الحيطان ، ولكن شوقاً إلى السكان ، وحين عدَت العوادى عنه أمليت ضمير الشوق على لسان القلم ، معتذراً إلى الشيخ على الحقيقة ، عن تقصير وقع ، وفتور فى الخدمة عرض ، ولكنى أقول :

إن يكن تركى لقصدك ذنباً * فكفى أن لا أراك عقابا

كتاب البديع إلى عدنان بن محمد

وله جواب إلى رئيس هراة عدنان بن محمد : ورد كتاب الشيخ الرئيس سيدى فظلت وفود النعم تترى لدىّ ، ومثلت بين عينىّ ، ووجدت سيدى وقد أخذ مكارم نفسه ، فجعلها قلادة عرسه ، وتتبع المحاسن من عنده ، فحلى بها نحر عبده ، وما أشبّه رائع حليه ، فى نحر وليه ، إلا بالغرة

اللائحة ، على الكالحة [1] ، لا آخذ الله الشيخ بوصف نزعه عن عرضه ، وزرعه فى غير أرضه ، ونعت سلخه عن خلقه ، وأهداه إلى غير مستحقه ، وفضل استفاده من فرعه وأصله ، وأوصله إلى غير أهله . ذكر حديث الشوق ولو كان الأمر بالزيارة حتما ، أو الاذن غرماً أطلق عزما ، لكان آخر نظرى فى الكتاب ، أول نظرى إلى الركاب ، ولاستعنت على كُلف السير ، أجنحة الطير ، لكنه أدام الله عزه صرفنى بين يد سريعة النبذ ، ورجل وشيكة الأخذ ، وأرانى زهدا فى ابتغاء ، كحسو فى ارتغاء ، ونزاعا فى نزوع ، كذهاب فى رجوع ، ورغبة فىّ كرغبة عنى ، وكلاما فى الغلاف ، كالضرب تحت اللحاف ، فلم أصرح بالاجابة وقد عرض بالدعاء ، ولم أعلن بالزيارة وقد أسر بالنداء ، ولو لم يدعنى بلسان المحاجاة ، ولم يجاهرنى بفم المناجاة ، لكنت أسرع إليه ، من الكرم إلى عِطفيه ، وفكرت فى مراد الشيخ ، فوجدته لايتعدى الكرم يشب ناره ، والفضل يدرك ثاره ، وإذا كان الأمر كذلك فما أولاه ، بترفيه مولاه ، عن زفرة صاعدة ، بزفرة قاصدة ، وقد زاد سيدى فى أمر المخاطبة ، وما أحسن الاعتدال ، وقد كفانا نية الأستاذ ، وأسأله أن لايزيد ، وقد بدأ ويجب أن لايعيد ، فلا تنفع كثرة العد ، مع قلة المعدود . والزيادة فى الحد مع نقصان المحدود ، نقص من الحدود . ورب ربح أدى إلى خسران ، وزيادة أفضت إلى نقصان . ورأى الشيخ فى تشريفه بجوابه موفق إن شاء الله تعالى

كتاب لأبى اسحاق الصابى

اجتلب قوله فى أول هذه الرسالة من قول أبى إسحاق الصابى فى جواب كتاب لبعض أصحابه :

وصل كتابك مشحوناً بلطيف برك ، موشحاً بغامر فضلك ، ناطقاً

(١) الكالحة : هى العابسة

بصحة عهدك ، صادقا عن خلوص ودك ، وفهمته وشكرت الله تعالى على سلامتك شكر المخصوص بها ، ووقفت على ما وصفته من الاعتداد بى ، وتناهيت إليه من التقريظ لى ، فما زدت على أن أعرتنى خلالك ، ونحلتنى خصالك ، لأنك بالفضائل أولى وهى بك أحرى ، ولو كنت فى نفسى ممن يشتمل على وصفه حدى اذا حددت ، أو يحيط بكماله وصفى اذا وصفت ، لشرعت فى بلوغها والقرب منها ، لكن المادح لك مستفرغ لك وسعه وقد بخسك ، ومستغرق طوقه وقد نقصك ، فأبلغ ما يأتى به المثنى عليك ، ويتوصل اليه المطرى لك الوقوف فى ذلك دون منتهاه ، والاقرار بالعجز عن غايته وقواه

أبيات لابن الرومى

ونقل البديع ما ذكره من ترك تكلف السفر والبعثة بما حضر من قول ابن الرومى

أماحق حامى عرضٍ مثلِك أن يرى * له الرِّفد والترفيه أوجبَ واجبِ
أقمت لكى تزداد نعماك نعمةً * وتغنى بوجه ناضر غير شاحب
وكى لا يقول القائلون أثابهُ * وعاقبه والقوم جم المشاعب
وليس عجيباً أن ينوب تكرماً * غريب به من آمل لك غائب
ذمامِىَ ترْعى لا ذمام سفينةٍ * وحقىَ لا حق القِلاص النجائب

تكلف التصوف

ودخل أبو العتاهية على ابنه محمد وقد تصوف فقال : ألم أكن قد نهيتك عن هذا ؟ فقال وما عليك أن أتعوّد الخير ، وأنشأ عليه ! فقال : يابنى يحتاج المتصوف الى رقة حال ، وحلاوة شمائل ، ولطافة معنى ، وأنت ثقيل الظل ، مظلم الهواء ، راكد النسيم ، جامد العينين ، فأقبل على سوقك فانه أعود عليك — وكان بزازا

كلمات للصوفية

فِقر من كلام المتصوفة والزهاد والقُصاص

— نُور الحقيقة ، أحسن من نَور الحديقة

— الزهد قطع العلائق ، وهجر الخلائق

— الدنيا ساعة ، فاجعلها طاعة

— التصوف ، ترك التكلف

— قيل لمتصوف : أتبيع مرقعتك ؟ قال أرأيتم صيادا يبيع شبكته !

— وقيل لبعضهم لو تزوجت ! قال لو قدرت أن أطلق نفسى لطلقتها ، وأنشد :

تجرد من الدنيا فانك انما * سقطت الى الدنيا وأنت مجردُ

— الدنيا نوم ، والآخرة يقظة ، والمتوسط بينهما الموت ، ونحن فى أضغاث أحلام

— ذوالنون : العبد بين نعمة وذنب ، لايصلحهما الا الشكر والاستغفار

— غيره : ينبغى للعبد أن يكون فى الدنيا كالمريض لابد له من قوت ، ولا يوافقه كل طعام

— ليس فى الجنة نعيم أعظم من علم أهلها أنها لاتزول

— ابن المبارك : الزهد إخفاء الزهد

— اذا هرب الزاهد من الناس فاطلبه ، واذا طلبهم فاهرب منه

— من أطلق طرفه ، كثر أسفه

— من سوء القدر ، فضل النظر

— من طاوع طرفه ، تابع حتفه

— من نظر بعين الهوى حار ، ومن حكم على الهوى جار ، ومن أطال النظر لم يدرك الغاية ، وليس لناظر نهاية

— ربما أبصر الأعمى رشده ، وأضل البصير قصده

— وقيل : رب حرب جُنيتْ من لفظة ، ورب حب غرس من لحظة :

وأنشد :

نظرت اليها نظرة لو كسوتها * سرابيل أبدان الحديد المسرّدِ
لرقّت حواشيها وفُضّ حديدُها * ولانت كما لانت لداود فى اليد

خطر الحب

وقال سعيد بن حميد :

نظرت فقادتنى الى الحتف نظرةٌ * الىّ بمضمون الضمير تشيرُ
فلا تصرفنّ الطرف فى كل منظرٍ * فان معاريض البلاء كثير
ولم أر مثل الحب أسقم ذا هوًى * ولامثل حكم الحب كيف يجور
لقد صنت مابى فى الضمير كأنما * يصان لدى الطرف النموم ضمير

غيره

اليوم أيقنت أن الحب متلفةٌ * وأن صاحبه منه على خطرِ
كيف الحياة لمن أمسى على شرفٍ * من المنية بين الخوف والحذر
يلوم عينيه أحياناً بذنبهما * ويحمل الذنب أحياناً على القدر
إذا نأى أو دنا فالقلب عندكمُ * وقلبه أبدا منه على سفرِ

أسباب الفتنة

ونظر محمد بن أسباط الصوفى إلى أبى المثنى الشيبانى وقد نظر فى وجه غلام مليح ، فقال : إدمان النظر ، يكشف الخبر ، ويفضح البشر ، ويطول به المكث فى سقر

وقال المعلى الصوفى : شكوت إلى بعض الزهاد فساداً أجده فى قلبى ،

فقال : هل نظرت إلى شيء فتاقت إليه نفسك ؟ قلت نعم ، قال احفظ عينيك فانك إن أطلقتهما أوقعتاك فى مكروه ، وإن ملكتهما ملكت سائر جوارحك

قال مسلم الخواص لمحمد بن على الصوفى أوصنى فقال أوصيك بتقوى الله فى أمرك كله وإيثار ما يحب على محبتك ، وإياك والنظر إلى كل ما دعاك إليه طرفك ، وشوقك إليه قلبك ، فانهما إن ملكاك لم تملك شيئاً من جوارحك ، حتى تبلغ بهما ما يطالبانك به ، وإن ملكتهما كنت الداعى لهما إلى ما أردت ، فلا يعصيان لك أمراً ، ولا يردان لك قولا

قال بعض الحكماء : إن الله عز وجل جعل القلب أمير الجسد وملك الأعضاء ، فجميع الجوارح تنقاد له ، وكل الحواس تطيعه ، وهو مديرها ومصرفها ، وقائدها وسائقها ، وبارادته تنبعث ، وفى طاعته تتقلب ، ووزيره العقل ، وعاضده الفهم ، ورائده العينان ، وطليعته الأذنان ، وهما فى النقل سواء لا يكتمانه أمراً ، ولا يطويان دونه سراً يريد العين والأذن

وقيل لأفلاطون : أيهما أشد ضرراً بالقلب السمع أم البصر ؟ قال هما للقلب كالجناحين للطائر لا يستقل إلا بهما ولا ينهض إلا بقوتهما ، وربما قص أحدهما فنهض بالآخر على تعب ومشقة . قيل : ما بال الأعمى يعشق ولا يرى . والأصم يعشق ولا يسمع ؟ قال : لذلك قلت إن الطائر قد ينهض بأحد جناحيه ولا يستقل بهما طيراناً فاذا اجتمعا كان ذهابه أمضى وأوحى (١)

وقال الأسود بن طالوت الجارودى : نظر إلىّ أبو العمر الصوفى وقد أطلت النظر إلى غلام جميل ، فقال : ويحك ! إن طرفك لعظيم ما اجتنى

(١) أوحى : أسرع

من البلاء ، قد عرضك للمكروه وطول العناء ، لقد نظرت إلى حتف قاتل للقلوب ، وبلاء مظهر للعيوب ، وعار فاضح للنفوس ، ومكروه مذهل للعقول ، أكان هذا لاغترار بالله جرأك عليه حتى أمنت مكره ، ولم تخف كيده ؟ اعلم أنك لم تكن فى وقت من أوقاتك ، ولا حالة من حالاتك ، أقرب إلى عقوبة الله منك فى حالتك هذه ، ولو أخذك لم يخلصك الثقلان ولم يقبل فيك شفاعة إنس ولا جان

ونظر محمد بن ضوء الصوفى إلى رجل ينظر إلى غلام مليح ، فقال كفى بالعبد نقصاناً عند الله وضَعة عند ذوى العقول ، أن ينظر إلى كل ما سنح له من الملا

ونظر مسلم الخشوعى فأطال النظر فقال : « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب » ثم قال سبحان الله ! ما أهجمَ طرفى على مكروه نفسى ، وأدَمنه على تسخط سيده ، وأغراه بما نهى عنه ، وألهجه بما حذر منه ! لقد نظرت إلى هذا نظراً شديداً خشيت أنه سيفضحنى عند جميع من يعرفنى فى عرصات القيامة ؛ ولقد تركنى نظرى هذا وأنا أستحى من الله تعالى إن غفر لى ! ثم صعق

ونظر غالية المضرور إلى غلام جميل على فرس رائع ، فقال لا أدرى بم أداوى طرفى ولا بم أعالج قلبى ، ما أتوب إلى الله من ذنب إلا رجعت ، ولا أستغفره من أمر إلا أتيت أعظم منه ، حتى لقد استحييت أن أسأله المغفرة لما يلحق قلبى من القنوط من عفوه ، لعظيم حالى بالمنكر الذى أصنعه . فقال له قائل : وأى منكر أتيت ؟ فقال أتريد منى أكثر من نظرى هذا ! والله لقد خشيت أن يبطل كل عمل قدمته ، وخير أسلفته . ثم بكى حتى ألصق خده بالأرض

ورأى بعض الزهاد صوفيا يضحك إلى غلام جميل ، فقال له : يا خرب القلب ويا خرب الطرف أما تستحى من كرام كاتبين ، وملائكة حافظين ،

يحفظون الأفعال ، ويكتبون الأعمال ، وينظرون إليك ، ويشهدون عليك ، بالبلاء الظاهر ، والغل الدخيل المخامر ، الذى أقمت نفسك فيه مقام من لا يبالى من وقف عليه ، ونظر من الخلق إليه

وقال أبو حمزة بن ابراهيم قلت لمحمد بن العلاء الدمشقى وكان سيد المتصوفة وقد رأيته يماشى غلاما وضيئا مدة ثم فارقه : لم هجرت ذلك الفتى بعد أن كنت له مواصلا ، واليه مائلا ؟ فقال : والله لقد فارقته من غير قلى ولا ملل ، ولقد رأيت قلبي يدعونى إن خلوت به ، وقربت منه ، الى أمر لو أتيته لسقطت من عين الله عز وجل ، فهجرته تنزيهاً لله ولنفسى عن مصارع الفتن ، وإنى لأرجو أن يعقبنى سيدى من مفارقته ماأعقب الصابرين عن محارمه ، عند صدق الوفاء ، بأحسن الجزاء . ثم بكى حتى رحمته

قال أبو حمزة ورأيت مع أحمد بن على الصوفى ببيت المقدس غلاما جميلا فقلت منذ كم صحبك هذا الغلام ؟ فقال منذ سنين ، فقلت لو سرتما الى بعض المنازل فكنتما فيه كان أحمد لكما من الجلوس فى المسجد بحيث يراكما الناس ؟ فقال أنا أخاف احتيال الشيطان علىّ به وقت خلوتى وإنى لأكره أن يرانى الله فيه على معصية فيفرق بينى وبينه يوم يظفر المحبون بأحبابهم

وقال أبو الفتح البستى

تنازع الناس فى الصوفىّ واختلفوا * فيه وظنوه مشتقاً من الصوف
ولست أنحل هذا الاسم غير فتى * صافى فصُوفىَ حتى لقب الصوفى

ورأى سقراط رجلا من تلامذته يتفرس فى وجه أوحيا وكانت فائقة الجمال فقال ماهذ الشغل الذى منعك الروية والفكرة ؟ فقال التعجب من آثار حكمة الطبيعة فى صورة أوحيا ، فقال لاتجعلن نظرك لشهوتك مركبا فيجمع لك ذحول الأذية ولتكن نفسك منه على بال . إن آثار الطبيعة فى وجه أوحيا الظاهرة تمحق بصرك ، وإن فكرتك فى صورتها الباطنه تحد نظرك

وقال بعضهم رأيت جارية حسناء الساعد فقلت ياجارية ماأحسن ساعدَك !

فقالت لكنك لم تختص به ، فغض بصر جسمك عما ليس لك لينفتح بصر عقلك فترى مالك

الرأى والهوى

وقال بعض الفلاسفة اليونانيين : فضل مابين الرأى والهوى أن الهوى يخصّ والرأى يعمّ ، وأن الهوى فى خير العاجل ، والرأى فى خير الآجل ، والرأى يبقى على طول الزمان ، والهوى سريع الدثور والاضمحلال ، والهوى فى حيز الحس ، والرأى فى حيز العقل

وقال بعض الحكماء : من انقاد لهواه عرضته الشهوات

وقال آخر : من جرى مع هواه طلقا ، جعل عليه للذل طرقا

وقال ابن دريد أوصى بعض الحكماء رجلا فقال آمرك بمعاهدة هواك فانه يقال ان الهوى مفتاح السيئات ، وخصيم الحسنات ، وكل أهوائك لك عدو ، وأهواها هوى تكتمه فى نفسك ، واعداها هوى يمثل لك الاثم فى صورة التقوى ، ولن تفصل بين هذه الخصوم إذا تناظرت لديك الا بحزم لايشوبه وهن ، وصدق لايطمع فيه تكذيب ، ومضاء لا يقاربه التثبيط ، وصبر لا يغتاله جزع ، ونية لايتقسّمها التضييع

قال أبو العتاهية

لاتأمن الموت فى طرف ولا نفَسٍ * ولو تمنعت بالحجّاب والحرسِ
فلا تزال سهام الموت نافذة * فى جنب مدّرع منا ومتّرس
مابال دينك ترضى أن تدنسه * وثوبك الدهرَ مغسولٌ من الدنس
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها * إن السفينة لاتجرى على يَبَسِ

دار المهدى

خرج شبيب بن شيبة من دار المهدى فقيل له كيف رأيت الناس ؟ قال رأيت الداخل راجيا ، والخارج راضيا . فنحا الى هذا المعنى ربيعة الرقى فقال

قد بسط المهدىُّ كف الندى * للناس والعفو عن الظالمِ
فالراحل الصادر عن بابهِ * مبشر للوارد القادم

وقال مسلم بن الوليد فى هذا المعنى

جزيت ابن منصور على نأى داره * جزاءَ مقرٍّ بالصنيعة شاكرِ
فتى راغم الأموال واصطنع العلا * وأثبت نيران الندى بالعشائر

وقال البستى

وألق الفم الضحاك أعلم أنهُ * قريب ندى الكف المفداة عندهُ

أخوال السفاح

دخل خالد بن صفوان على أبى العباس السفاح وعنده أخواله من بنى الحارث بن كعب فقال : ما تقول فى أخوالى ؟ فقال هم هامة الشرف ، وعِرنين الكرم ، وغرس الجود ، إن فيهم خصالا ما اجتمعت فى غيرهم من قومهم ، لأنهم أطولهم أمما ، وأكرمهم شيما ، وأطيبهم طعما ، وأوفاهم ذمما ، وأبعدهم هما ، الجمرة فى الحرب ، والرفد فى الجدب ، والرأس فى كل خطب ، وغيرهم بمنزلة العَجْب(١)، فقال وصفت أبا صفوان فأحسنت ، فزاد أخواله فى الفخر ، فغضب أبو العباس لأعمامه ، فقال أفخرْ يا خالد على أخوال أمير المؤمنين ؟ قال : وأنت من أعمامه ؟ قال : كيف أفاخر قوماً بين ناسج برد ، وسائس قرد ، ودابغ جلد ، وراكب عرد(٢) ، دل عليهم هدهد ، وغرقهم جرذ ، وملكتهم أم ولد ! فأشرق وجه أبى العباس

قال يموت بن المزرع سمعت خالى الجاحظ وذكره لأمر خالد هذا فقال والله لو فكر فى جمع معايبهم ، واختصار اللفظ فى مثالبهم ، بعد ذلك المدح المهذب منه لكان قليلا ، فكيف على بديهته لم يرض له فكرا

(١) العجب أصل الذنب ومؤخر كل شىء (٢) العرد ، بفتح العين ، الحمار

هكذا أورد هذه الحكاية الصولى وقد جاءت بأطول من هذا وليسه من شرطنا

لامية معن بن أوس

قال معن بن أوس الهذلى

لعمركَ ما أدرى وأنى لأوجلُ * على أينا تأتى المنيــــة أولُ
وانى أخوك الدائم الود لم أحلْ * إذا ناب خطبٌ أو نبا بك منزل
كأنك تشفى منك داء مساءتى * وسخطى وما فى ريبتى ما تعجّل
وإن سؤتنى يوماً صبرت إلى غدٍ * ليعقب يومٌ آخرٌ منك مقبـل
ستقطع فى الدنيا إذا ما قطعتنى * يمينك فانظر أى كف تَبدّل
وفى الناس إن رثت حبالك واصلٌ * وفى الأرض عن دار القلى متحوَّل
إذا أنت لم تنصف أخاك وجدتهُ * على طرف الهجران إن كان يعقلُ
ويركب حد السيف من أن تضيمهُ * إذا لم يكن عن شفْرة السيف مزْحلُ
وكنت إذا ما صاحبٌ رام ظِنتى * وبدل سوءً بالذى كان يفعـل
قلبت له ظهـــر المجنّ ولم أدم * على العهد إلا ريثما يتحول
إذا انصرفت نفسى عن الشى لم تكد * عليه بوجه آخرَ الدهر تقبل

ودخل عبد الله بن الزبير على معاوية بن أبى سفيان وأنشد شعر معن فقال لمن هذا ؟ فقال لىّ يا أمير المؤمنين . قال لقد شعرت بعدى يا أبا بكر ! ثم دخل عليه معن فأنشده الشعر بعينه ، فقال ألم تقل يا أبا بكر إنه شعرك ؟ فقال يا أمير المؤمنين إنه ظئرى فما كان له فهو لى . أراد معاتبة معاوية فعاتبه بشعر معن ، ليبلغ ما فى نفسه ، وليس ادعاؤه له على حقيقة منه

خالد القسرى

وقال خالد بن صفوان دخلت على هشام بن عبد الملك فاستدناني حتى كنت أقرب الناس إليه ثم تنفس الصعداء وقال : يا خالد ، رب خالد جلس مجلسك هو أشهى إلى حديثاً منك افعلمت انه أراد خالداً القسرى ، فقلت أفلا تعيده ياأمير المؤمنين ؟ فقال هيهات إن خالداً أدل فأمل ، وأوجف فأعجف ، ولم يدع لراجع مرجعاً . وتمثل بهذا البيت

إذا انصرفت نفسى عن الشيء لم تكد * عليه بوجه آخر الدهر تقبل

ميمية معن بن اوس

وروى أبو حاتم عن أبي عبيدة قال كان عبد الملك بن مروان فى سمره مع أهل بيته وولده وخاصته فقال لهم ليقل كل واحد منكم أحسن ماقيل من من الشعر ، وليفصل رأى تفضيله ، فأنشدوا وفضلوا ، فقال بعضهم النابغة ، وقال بعضهم الأعشى ، فلما فرغوا قال أشعر الناس والله من هؤلاء الذى يقول وأنشد بعض هذه الأبيات التى أنشد (وهى لمعن بن أوس)

وذى رحم قلمت أظفار ضغنه * بحلمىَ عنه وهو ليس له حلمُ
يحاول رغمى لايحاول غيرهُ * وكالموت عندى أن يحل به الرغمُ
فان أعف عنه أغض عيناً على قذى * وليس له بالصفح عن ذنبه علم
وإن أنتصر منه أكن مثل رائش * سهام عدو يستهاض به العظم
صبرت على ماكان بينى وبينهُ * ومايستوى حرب الأقارب والسلم
وبادرت منه النأى والمرء قادرٌ * على سهمه ماكان فى كفه السهم
ويشتم عرضى فى مغيبىَ جاهداً * وليس له عندى هوانٌ ولا شتم
اذا سمته وصل القرابة سامنى * قطيعتها تلك السفاهة والاثمُ
وإن أدعه للنصف يأب إجابتى * ويدع لحكم جائرٍ غيرهُ الحكم

فلولا اتقاء الله والرحم التى * رعايتها حق وتعطيلها ظلم
إذاً لعلاه بارق وخطمته * بوسم شنار لايشابهه وسم
ويسعى اذا أبنى لهدم مصالحى * وليس الذى يبنى كمن شأنه الهدم
يود لوانى معدم ذو خصاصة * وأكره جهدى أن يخالطه العدم
ويعتد غنما فى الحوادث نكبتى * وما إن له فيها سناء ولا غنم
فما زلت فى لينى له وتعطفى * عليه كما تحنو على الولد الأم
وخفضى له منى الجناح تألفاً * لتدنيه منى القرابة والرحم
وصبرى على أشياء منه تريبنى * وكظمى على غيظى وقد ينفع الكظم
لأستل منه الضغن حتى سللته * وقد كان ذا ضغن يضيق الحزم
رأيت انثلاماً بيننا فرقعته * برفقى أحيانا وقد يرقع الثلم
وأبرأت غل الصدر منه توسعاً * بحلمى كما يشفى بالادوية الكلم
فأطفأت نار الحرب بينى وبينه * فأصبح بعد الحرب وهو لنا سلم

رسائل ابن العميد الى أبى عبدالله الطبرى

وكتب أبو الفضل بن العميد الى أبى عبد الله الطبرى :

وصل كتابك فصادفنى قريب العهد بانطلاق، من عنت الفراق، ووافقنى مستريح الأعضاء والجوانح من جوى الاشتياق، فان الدهر جرى على حكمه المألوف فى تحويل الأحوال. ومضى على رسمه المعروف فى تبديل الأشكال. وأعتقنى من مخالتك عتقاً لاتستحق به ولاء، وأبرأنى من عهدتك براءة لا تستوجب معها دركا ولا استثناء، ونزع من عنقى ربقة الذل فى إخائك، بيدى جفائك، ورش على ما كان يضطرم فى ضميرى من نيران الشوق بالسلو، وشن على ما كان يلتهب فى صدرى من الوجد ماء اليأس، ومسح أعشار قلبى فلاءم فطورها بجميل الصبر، وشعب أفلاذ كبدى، فلاحم صدوعها بحسن العزاء، وتغلغل فى مسالك أنفاسى فعوض عن النزاع اليك نزوعا عنك، ومن

الذهاب فيك رجوعا دونك ، وكشف عن عيني ضبابات ما ألقاه الهوى على بصرى ، ورفع عنها غيابات ماسدله الشك دون نظرى ، حتى حدر النقاب عن صفحات شيمك ، وسفر عن وجوه خليقتك ، فلم أجد إلا منكراً ، ولم ألق الا مستنكراً ، فوليت منها فراراً ، وملئت رعباً ، فاذهب فقد ألقيت حبلك على غاربك ، ورددت اليك ذمم عهدك

وله من هذه الرسالة :

وأما عذرك الذى جزمت بسطه فانقبض ، وحاولت تمهيده وتقريره فاستوفز وأعرض ، ورفعت بضبعه فانخفض ، وقد ورد ولعتبه وجه يؤثر قبوله على رده ، وتزكيته على جرحه ، فلم يف بما بدلته من نفسك ، ولم يقم عند ظنك به . أنّى وقد غطى التذمم وجهه ، ولف الحياء رأسه ، وغض الخجل طرفه ، فلم تتمكن من استكشافه ، وولّى فلم تقدر على إيقافه ، ومضى يعثر فى فضول ما يغشاه من كرب حتى سقط ، فقلنا للفم واليدين ، ثم أمر بمطالعة صحبه فلم أجده إلا تأبط شراً ، أو تحمل وزراً

وقوله هذا محلول من عقد نظمه إذ يقول :

اقرا السلام على الشريف وقل لهُ * قَدْكَ اتئد أربيت فى الغلواء[1]
أنت الذى شتت شمل مسرتى * وقدحت نار الشوق فى أحشائى
ورضيت بالثمن اليسير معوضةً * منى فهلا بعتنى بغلاء
وسألتك العتبى فلم ترنى لها * أهلاً فجدت بعذرة شوهاء
وردت مموهةً فلم يرفع لها * طرف ولم ترزق من الإصغاء
وأعار منطقها التذمم سكتةً * فتراجعت تمشى على استحياء
لم تشف من كمد بآخر مثله * أثرت جوارحه من الأدواء
لم تشف من كمدٍ ولم تبرد على * كبد ولم تمسح جوانب داء

(١) قدك : حسبك

داوت جوّى بجوى وليس بحازم * من يستكف النار بالحلفاء

وله إليه رسالة :

أخاطب الشيخ سيدى أطال الله بقاءه مخاطبة مجروح يروم الترويح عن قلبه ، ويريد التفريج من كربه ، فأكاتبه مكاتبة مصدور يريد أن ينفث بعض ما به ، ويخفف الشكوى من أوصابه ، ولو بقيت من الصبر بقية لسلوت ، ولو وجدت فى أثناء وجدى مخرجا يتحلله تجلد لأمسكت ، فقديما لبست الصديق على علاته ، وصفحت له عن هناته ، ولكنى مغلوب على العزاء ، مأخوذ على عادتى فى الاغضاء ، فقد سل من جفائك ما ترك احتمالى جفاء ، وذهب فى نفسى من ظلمك ما أنزف حلمى فجعله هباء ، وتولى علىّ من قبح فعلك فى هجر يستمر على نسق ، وصد مطرد متسق ، ما لو فض على الورى وأفيض على البشر لامتلأت صدورهم . فهل أقدر على الأقوال ، وهل أكلك إلى مراعاتك ، وهل تشكو إلىّ أن الدهر حليفك على الاضرار ، وعقيدك على الافساد ، أو أشكوه إليك فانكما وإن كنتما فى قطيعة الصديق رضيعى لبان ، وفى استيطاء مركب العقوق شريكى عنان ، فانه قاصر عنك فى دقائق مخترعة أنت فيها نسيج وحدك ، أو قاعد عما تقوم به من لطائف مبتدعة أنت فيها وحيد عصرك ، أتما متفقان فى ظاهر يسرّ الناظر ، وباطن يسوء الخابر ، وفى تبدل الأبدال ، والتحول من حال إلى حال ، وفى بث حبائل الزور ، ونصب أشراك الغرور ، وفى خلف الموعود ، والرجوع فى الموهوب ، وفى فظاعة اهتضام ما يعار ، وبشاعة ارتجاع ما يمنح ، وقصد مشارّة الأحرار ، والتحامل عند ذوى الأخطار ، وفى تكذيب الظنون ، والميل عن النباهة للخمول ، إلى كثير من شيتكما التى أسندتما إليها ، ومنيتكما التى تعاقدتما عليها ، فأين هو من لايجارى فيه نقض عُرى العهود ، ونكث قُوى العقود ، وأنّى هو عن النميمة والغيبة ،

ومشى الضَّرَّاء فى الغِيلة ، والنفق بالنفاق فى الحيلة ، وأين هو ممن ادعى ضروب الباطل ، والتحلى بما هو منه عاطل ، وتنقّص العلماء والأفاضل ، هذا إلى كثير من مساوٍ منثورة أنت ناظمها ، ومضارّ متفرقة أنت جامعها . أنت أيدك الله إن سويته بنفسك ، ووزنته بوزنك ، أظلم منه لذويه ، وأعق منه لبنيه . وهبْك على الجملة قد زعمت مفتريا عليه أنه أشـــد منك قدرة ، وأعظم بسطة ، وأتم نصرة ، وأطلق يداً فى الإساءة ، وأمضى فى كل نكاية شـباة ، وأحدّ فى كل عاملة شداة ، وأعظم فى كل مكروه متغلغلا ، وألف إلى كل محذور متوصلا ، وأن الدهر ليس بمُعتِب من يجزع ، وأن العتبى منك مأمولة ، ومن جهتك مرقوبة ، وهيهات فلو توهم أنه لو كان ذا روح وجثمان ، مصور فى صورة إنسان ، ثم كاتبته أستعطفه على الصـــلة ، وأستعفيه من الهجر ، وأذكره من المودة ، وأستميل به إلى رعاية المعتب وأستخمد به ماشبّه الفراق فى نفسى من اللوعة ، وأضرمه البعاد فى صدرى من الحرقة ، لـكان لا يستحسن مااستحسنته من الاضطراب عند جوابى ، ولا يستجيز مااستجزته من الاستخفاف بكتابى .

وله فصل فى هذه الرسالة وقد ذكر دعواه فى العلم :

وهبْك افلاطون نفسه فأين ماسننته من السياسة فقد قرأناه فلم نجد فيه ارشادا الى قطيعة صديق ، فاحسبْك ارسطاطاليس بعينه أين مارسمته من الأخلاق ، فقد رأيناه فلم نر فيه هداية الى شىء من العقوق ، وأما الهندسة فانها باحثة عن المقادير ، ولن يعرفها من يجهل مقدار نفسه ، وقدر الحق عليه وله ، بل لك فى رؤساء العربية منّا ريحٌ ومضطرَب ، ولسنا نشاحُّك . لـكن أتحب أن تتحقق بالغريب من القول ، دون الغريب من الفعل ، وقد اغتربت فى الذهاب بنفسك الى حيث لاتهتدى للرجوع عنـه ، وأما النحو فلن ترفع عن حذق فيه ، وبصر به ، وقد اختصرته أوجز اختصار ، وسهلت سبيل تعليمه على من يجعلك قدوة ، ويرضى بك أسوة ، فقلت الغـدر

والباطل ، وما جرى مجراهما ، مرفوع ، والصدق والوفاء وما صاحبهما مخفوض ، وقد نصب الصديق عندك ، ولكن غرضا يرشق بسهام الغيبة ، وعَلما يقصد بالوقيعة ، ولست بالعروضى ذى اللهجة فأعرف قدر حذقك فيه ، الا أنى لاأراك تتعرض لكامل ولا وافر ، وليتك سبحت فى بحر المجتث حتى تخرج منه الى شط المتقارب

وفى فصل منها أيضا :

وهبنى سكت لدعواك سكوت متعجب ، ورضيت رضا متسخط ، أيرضى الفضل اجتذابك باهدابه ، من يدى أهليه وأصحابه ، وأحسبك لم تزاحم خطابه ، حتى عرفت قلة فقره ، وقلة حصره ، فأصدقنى هل أنشدك

لو بأبانين جاء يخطبها * ضرج ماأنف خاطب بدم

وليت شعرى بأى حلى تصديت له ، وأنت لو تتوجت بالثريّا ، وقلدت قلادة الفلك ، وتمنطقت بمنطقة الجوزاء ، وتوشحت بالمجرة لم تكن الا عاطلا ولو توضحت بأنوار الربيع الزاهر ، وسرّجت فى جبينك غرة البدر الباهر ، ما كنت الا غافلا ، سيما مع قلة وفائك ، وضعف إخائك ، وظلمة ماتبصره من خصالك ، وتراكم الدجى فى ضلالك ، وقد ندمت على ماأعد لك من دونى ، ولكن أى ساعة مندم ، بعد إفناء الزمان فى ابتدائك ، وتصفحى حالات الدهر فى اختيارك ، وبعد تضييع ماغرسته ، ونقض ماأسسته ، فان الوداد غرس اذا لم يوافق ثرى ثريا ، وجوا عذبا وماء رويا ، لم يرج زكاؤه ، ولم يجر ماؤه ، ولم تتفتح أزهاره ، ولم تجن ثمـاره . وليت شعرى كيف ملك الضلال قيادى حتى أشكل علىّ مايحتاج اليه الممزوجان ، ولا يستغنى عنه المتألفان ، وهى ممازجة طبع ، وموافقة شكل وَخلق ، ومطابقة خيم وخُلق ، وما وصلتنا حال جمعتنا على ائتلاف ، وحمتنا من اختلاف ، ونحن فى طرفى ضدين ، وبين أمرين متباعدين ، واذا حصلت الأمر وجدت مابيننا من البعاد ، أكثر مما بين الوهاد والنجاد ، وأبعد مما بين البياض والسواد ، وأيسر مابيننا

من النفار ، وأقل ماييننا من التضارّ ، أكثر مما بين الليل والنهار ، والاعلان والاسرار .

رفق المنصور

قال أسدبن عبدالله لأبى جعفر المنصور : ياأمير المؤمنين فرط الخيلاء ، وهيبة العزة ، وظل الخلافة ، يكف عن الطلب من أمير المؤمنين الا عن إذنه ، فقالله : قل ، فقدواللهأصبت مسلك الطلب . فسأل حوائج كثيرة قضيت له

وقال عثمان بن نهيك لأبى جعفر المنصور : يا أمير المؤمنين قد حصر خدمك الاعظام والهيبة عن ابتدائك بطلباتهم ، فما عاقبة هذين لهم عندك ؟ قال : عطاء يزيدهم حياء ، وإكرام يكسوهم هيبة الأبد

قال عيسى بن على : ما زال المنصور يشاورنا فى أمره حتى قال ابراهيم ابن هرمة فيه :

إذا ما أراد الأمر ناجى ضميرهُ * فناجى ضميراً غير مختلف الفعلِ
ولم يشركالأدنين فى جُل أمرهِ * إذااختلفت بالأضعفين قُوى الحبل

فضل المشورة

فِقر فى ذكر المشورة

— المشورة لقاح العقل ، ورائد الصواب
— إشارة المرء برأى أخيه عزم وحزم
— التدبير المشاورة قبل المساورة
— المشورة عين الهداية

ابن المعتز : من رضى بحاله استراح ، والمستشير على طرف النجاح

وله : من أكثر المشورة فى الاصابة لم يعدم الصواب ،وكان فى الاصابة مادحا ، وفى الخطأ عاذراً

بشار بن برد : المشاور بين إحدى الحسنيين صواب يفوز بثمرته ، أو خطأ يُشارك فى مكروهه ، وقال :

إذا بلغ الرأى المشورة فاستعن * بعـزم نصيح أو مشورة حازمِ
ولا تحسب الشورى عليك غضاضة * فإن الخـوافى قوة للقوادم
وما خير كف أمسك الغل أختها * وما خير سيف لم يؤيد بقائم
وحل الهوينا للضعيف ولا تكن * نؤوماً فإن الحـر ليس بنائم
وأدن إلى القربى المقرب نفسه * ولا تشهد النجوى امرأً غير كاتم
وإنك لا تستطرد الغم بالمنى * ولا تبلغ العليا بغير المكارم

يزيد بن المهلب

ودخل الهذيل بن زفر على يزيد بن المهلب فى حمالات لزمته فقال : أيها الأمير قد عظم شأنك أن يستعان بك أو يستعان عليك ، ولست تفعل شيئاً من المعروف إلا وأنت أكبر منه ، وليس العجب من أن تفعل المعجب ، بل العجب أن لا تفعل . فقضاها عنه .

أبو خليفة الجمحى

استخلص القاضى أبو خليفة الفضل بن حباب الجمحى رجلا للأنس به ، فقال أغير أثوابى وأعود ، قال ما أفعل ، إيناسك وجد ، وإيحاشك فقد

وكان أبو خليفة من جملة المحدثين ، وله حلاوة معنى وحسن عبارة وبلاغة لفظ

تاريخ الكتب والرسائل

قال الصولى : كاتبت أبا خليفة فى أمور أرادها فأغفلت التاريخ منها فى كتابين فكتب إلىّ بعدنفوذ الثانى :

وصل كتابك أعزك الله مبهم الأوان ، مظلم المكان ، فأدى خبراً ما القرب فيه بأولى من البعد ، فإذا كتبت أكرمك الله تعالى فلتكن كتبك موسومة بتاريخ لأعرف أدنى آثارك ، وأقرب أخبارك ، إن شاء الله تعالى

وقال بعض الكتاب : التاريخ عمود اليقين ، ونافى الشك ، به تعرف الحقوق ، وتحفظ العهود

الوجوه والأنساب

وقال رجل لأبى خليفة سلم عليه : ما أحسبك تعرف نسبى . فقال وجهك يدل على نسبك والاكرام يمنع من مسألتك فأوجد لى السبيل إلى معرفتك

وسأل أبو جعفر المنصور قبل أن تفضى إليه الخلافة شبيب بن شية فانتسب له فعرفه أبو جعفر فأثنى عليه وعلى قومه . فقال له شبيب : بأبى أنت وأمى أنا أحب المعرفة وأجلك عن المسألة . فتبسم أبو جعفر وقال ما ألطف أهل العراق ! أنا عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس فقال بأبى أنت وأمى ما أشبهك بمنسبك ، وأدلك على منصبك

كلامهم فى الولاية

فِقر وأمثال يتداولها العمال

— الولاية حلوة الرضاع ، مرة الفطام

— غبار العمل خير من زعفران العطل

— ابن الزيات : الارجاف مقدمة السكون

— عبد الله بن يحيى : الارجاف رائد الفتنة

— حامد بن العباس : غرس البلوى ، يثمر الشكوى

— أبو محمد المهلبي : التصرف أعلى وأسنى ، والتعطل أصفى وأخفى

— أبو القاسم الصاحب : وعد الكريم ، ألزم من دين الغريم

— ابن المعتز : ذل العزل يضحك من تيه الولاية ، وقال

كم تائه بولاية * وبعزله ركض البريد

سكر الولاية طيبٌ * وخمارها صعبٌ شديد

— وقال : من ولى ولاية فتال فيها فأخبره أن قدره دونها

— العزل طلاق الرجال ، وحيض العمال . وأنشدوا :

وقالوا العزل للعمال حيضٌ * لحاه الله من حيض بغيضِ

فان يك هكذا فأبو علىٍّ * من اللاتى يئسن من المحيض

— منصور الفقيه :

يا من تولى فأبدى * لنا الجفا وتبدل

أليس منك سمعنا * بمن لم يمت فسيُعزل

— وقال أيضا :

إذا عُزل المرء واليتُهُ * وعند الولاية أستكبرُ

لأن المولى له نخوةٌ * ونفسى على الذل لا تصبرُ

منصور بن اسماعيل

ومنصور هذا هو منصور بن إسماعيل بن عيسى بن عمرو التميمى وكان يتفقه على مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه ، وهو عالى المقطعات ، لا تزال تندر له الأبيات مما يستظرف معناه ويُستحلى مغزاه ، ويبقى ثناه ، وهو القائل لما كف بصره :

من قال مات ولم يستوف مدتهُ * لعظم نازلة نالتـه مغرورُ

وليس فى الحكم أن يحيافنى بلغت * به نهاية ما تجرى المقادير
فقل له غير مرتاب بغفلتــــهِ * أو سوء مذهبه قد عاش منصور

وعتب على بعض الأشراف وكانت أم الشريف أمة قيمتها ثمانية عشر دينارا فقال :

من فاتنى بأبيه * فلم يفتنى بأمه
إن رام شتمىَ ظلماً * سكتُّ عن نصف شتمه

وقال :

لو قيــل لى خذ أماناً * من حادثات الزمانِ
لمـا أخذت أماناً * إلا من الاخوان

وقال:

رضيت بمـا قسم الله لى * وفوضت أمرى إلى خالقى
كما أحسن الله فيما مضى * كذلك يحسن فيما بقى

وقال :

لو كنت منتفعا بعلـ * ـمك مع مواصلة الكبائرْ
ما ضر شربُ السم ذا * علم بأن السم ضائر

وقال :

إذا القوت تأتّى لـ * ـك والصحة والأمنُ
وأصبحت أخا حزن * فــلا فارقك الحزن

ورأيت له فى أكثر النسخ على أن أكثر الناس يرويه لابراهيم بن المهدى وهو الصحيح :

لولا الحيـاء وأنى مشهورٌ * والعيب يعلَق بالكبير كبيرُ
لحللت منزلنا الذى نحتله * ولكان منزلها هو المهجور

وقال أبو القاسم الصاحب بن عباد :

إذا رأيت امرأ فى حال عسرتهِ * مصافيـا لك ما فى وده خللُ

فلا تمنّ له أن يستفيد غنًى * فانه بانتقال الحال ينتقل

الغنى يغير الأخلاق

وكان لمحمد بن الحسن بن سهل صديق قد نالته عُسرة ثم ولِى عملا فأتاه محمد قاضيا حقا ومسلما عليه ، فرأى منه تغيرا ، فكتب إليه

لئن كانت الدنيا أنالتك ثروةً * وأصبحت ذا يُسْرٍ وقد كنت ذا عسر
لقد كشف الاثراء منك خلائقا * من اللؤم كانت تحت ثوب من الفقر

وقال أبو العتاهية فى عمرو بن مسعدة ، وكان له خلاّ قبل ارتفاع حاله ، فلما علت رتبته مع المأمون تغير عليه

غَنيت عن العهد القديم غنيتا * وضيَّعت عهداً كان لى ونسيتا
وقد كنت فى أيام ضعف من القوى * أبرّ وأوفى منك حين قويتا
تجاهلت عما كنت تحسن وصفهُ * ومت عن الإحسان حين حييتا

أخلاق بعض الكتاب

وكتب بديع الزمان إلى أبى نصر بن المرزبان فيما ينخرط فى هذا السلك :
كنت أطال الله بقاء الشيخ سيدى وأدام عزه فى قديم الزمان أتمنى الخير للكتّاب ، وأسأل الله تعالى أن يدر عليهم أخلاف الرزق ، ويمد لهم أكناف العيش ، ويؤتيهم أصناف الفضل ، ويوطئهم أكتاف العز ، وينيلهم أعراق المجد ، وقُصاراى الآن أن أرغب اليه تعالى أن لا ينيلهم فوق الكفاية ، فشدّ مايطغون عند النعمة ينالونها ، والدرجة يعلونها ، وسرع ما ينظرون عن عال ، بما يجمعون من مال ، وينسون فى ساعة اللدّونة ، أوقات الخشونة وفى زمان العذوبة ، أيام الصعوبة . وللكتّاب مزية فى هذا الباب ، فبينماهم فى العزلة أعوان كما انفرج المشط ، وفى العطلة اخوان كما انتظم السمط ، حتى اذا لحظهم الجد لحظة حمقاء بمنشور عمالة ، أوصك جمالة ، عاد عامر

مودتهم خرابا ، وانقلب شراب عهدهم سرابا ، فما اتسعت دورهم ، إلا ضاقت صدورهم ، ولا غلت قدورهم ، الا خبتْ بدورهم ، ولا علت أمورهم ، الا أسبلت ستورهم ، ولا أوقدت نارهم ، الا انطفأ نورهم ، ولا هملجت عتاقهم ، الا فظعت أخلاقهم ، ولا صلحت أحوالهم ، الا فسدت أفعالهم ، ولا كثر مالهم ، إلا قل جمالهم ، وعز معروفهم ، وورمت أنوفهم ، حتى انهم ليصيرون على الاخوان مع الخطوب خطبا ، وعلى الاحرار مع الزمان ألبا . قُصارى أحدهم من المجد أن ينصب تحته تحته ، وأن يوطىء استه دسته ، وحسبه من الشرف دار يصهرج أرضها ، ويزخرف بعضها ، ويزوق سقوفها ويعلق شفوفها ، وناهيه من الشرف أن تغدو الحاشية أمامه ، وتحمل الغاشية قدامه ، وكفاه من الكرم ألفاظ يراعته ، وثياب شفاعته ، يكسبها ملوما ، ويحشوها لؤما ، وهذه صفة أفاضلهم ، ومنهم من يمنحك الود أيام مُخشكاره ، حتى اذا أخصب جعل ميزانه وكيله ، وأسنانه أكيله ، وأنيسه كيسه ، وأليفه رغيفه وأمينه يمينه ، ودنانيره سميره ، وصندوقه صديقه ، ومفتاحه ضجيعه ، وخاتمه خادمه ، وجمع الذرة الى الذرة ، ووضع البدرة على البدرة ، فلم تقع القطرة من طرفه ، ولا الذرة من كفه ، ولا يخرج ماله عن عهدة خاتمه ، الى يوم مأتمه ، وهو يجمع لحادث حياته ، أو وارث وفاته ، يسلك فى الغدر كل طريق ، ويبيع بالدرهم ألف صديق . وقد كان الظن بصديقنا أبى سعيد أيده الله تعالى أنه اذا أخصب بوأنا كنفا من ظله ، وحبانا من فضله ، فمن لنا الآن بعدله ! انه أطال الله بقاءه حين طارت إلى أذنه عُقاب المخاطبة بالوزير ، وجلس من الديوان فى صدر الايوان ، افتض عذراء البشاشة لدىّ ، بتعرض بعض المختلفة الىّ ، وجعل يعرضه للهلاك ، وينسب له ما للاتراك ، وجعلت أكاتبه مرة وأقصده أخرى ، وأذكره أن الراكب ربما نزل ، والوالى ربما عزل ، ثم يجف ريق الخجل على لسان العذر ، فتبقى الحزازة فى الصدر ، وما يجمعنى والشيخ ان كان زاده قولى الا عتوًّا فى تحكمه ، وجعل يمشى الجَزَرَى فى ظلمه ،

ويبرأ إلىّ من علمه ، فأقول اذا رأيت ذلة السؤال مني وعزة الرد منه : قل لي متى فرزنت سرعة ما أرى يابيدق (١) . وما أضيع وقتاً فيه أصعته ، وزماناً بذ كره قطعته ، هلم الى الشوق وشرحه ، فقد نكأ القلب بقرحه ، وكيف أصف حالا لا يقرع الدهر مروة حاله ، ولا ينقض عروة انحلاله ، فما أولاني بأن أذكره مجملا هجاء وأتركه مفصلا ، والسلام .

كتاب هجاء

وكتب إلى بعض اخوانه فى أمر رجل ولى الإشراف

فهمت ما ذكرت أطال الله بقاءك من أمر فلان أنه ولي الإشراف وإن تصدق الطيرة يكن إشرافا على الهلاك ، بأيدى الأتراك ، فلا تحزنك ولايته ، فالحبل لا يبرم إلا للفتل ، ولا تعجبك خلعته ، فالثور لا يزين إلا للقتل ، ولا يرعك تفافه فأرخص ما يكون النفط إذا غلا ، وأسفل ما يكون الأرنب إذا علا ، وكأني به وقد شن عليه جران العود ، شن المطر الجود ، وقيد له مركب الفجار ، من مربط النجار ، وإنما جر له الحبل ، ليصفع كما صفع من قبل ، وستعود تلك الحالة إحالة ، وينقلب ذلك الحبل حبالة ، فلا يحسد الذئب على الالية يعطاها طعمة ، ولا يحسب الحب ينثر للعصفور نعمة ، عصارته ذلك النسل ، وقعيدته تلك الأهل ، وقوله ذلك القول ، وفعله ذلك الفعل ، أليس قد سلب أكثر مما أعطى ، وحرم أفضل مما أوتى ، وعدم أوفر مما غنم ؟ مالك تنظر إلى ظاهره وتعمى عن باطنه ؟ أكان يعجبك أن تكون قعيدته في بيتك ، وبغلته من تحتك ؟ أم كان يسرك أن تكون أخلاقه فى إهابك ، وبوابه على بابك ؟ أم كنت تود أن تكون وجاؤه فى إزارك ، وغلمانه فى دارك ؟ أم كنت ترضى أن تكون فى مربطك أفراسه ، وعليك لباسه ، ورأسك رأسه ؟

(١) يعرف هذا المعنى من رقعة الشطرنج

جُعِلْتُ فداك ، ماعندك خير مما عنده ، فاشكر الله وحده على ما آتاك ، واحمده على ما أعطاك — ثم أنشده :

إن الفتى لهو الراضى بعيشته * لا من يظل على الأقدار مكتئبا

سهل بن هارون

ألف سهل بن هرون كتاباً يمدح فيه البخل ويذم الجود ليظهر قدرته على البلاغة وأهداه للحسن بن سهل فى وزارته للمأمون فوقع عليه : لقد مدحت ما ذمه الله ، وحسنت ما قبح الله ، وما يقوم صلاح لفظك بطلاح معناك ، وقد جعلنا نوالك عليه ، قبول قولك فيه

الحسن بن سهل

وكان الحسن من كرماء الناس وعقلائهم ، سئل أبو العتاهية عنه فقال : إنما خلف آدم فى ولده فهو ينفع عيلتهم ، ويسد خلتهم ، ولقد رفع الله للدنيا من شأنها إذ جعله من سكانها . أخذ هذا المعنى أبو العتاهية من قول الشاعر :

وكأن آدم كان قبل وفاتهِ * أوصاك وهو يجود بالحوباء
بينيــه أن ترعاهمُ فرعيتهم * وكفيت آدم عيلة الأبناء

وأخذ أبو الطيب المتنبي آخر كلام أبى العتاهية فقال :

قد شرف الله دنيا أنت ساكنها * وشرف الناس إذ سوّاك إنسانا

وقيل للحسن بن سهل : لم قيل قال الأول ، وقال الحكيم ؟ قال لأنه كلام قد مرّ على الأسماع قبلنا ، فلو كان زللاً لما نقل إلينا مستحسنا .

أمثال البخلاء

ومن أمثال البخلاء واحتجاجهم وحكمهم :

— أبو الأسود الدؤلى : لاتجاوزوا جود الله فانه أجود وأمجد ، لو شاء أن يوسع على خلقه حتى لا يكون فيهم محتاج فعل

— وقال : لو أطعنا المساكين فى إعطائنا إياهم كنا أسوأ حالاً منهم

— وقال الكندى : قولُ لا يدفع البلا ، وقولُ نعم يزيل النعم

— وقال : سماع الغناء برْسام لأن المرء يسمع فيطرب ، فيسمح فيفتقر ، فيغتم فيمرض فيموت

— وقال لابنه : يابنى كن مع الناس كاللاعب بالقمار ، إنما غرضه أخذ متاعهم ، وحفظ متاعه

— وقال : منع الجميع إرضاء للجميع ، وإذا قبح السؤال حسن المنع

— وقال ابن الجهم : من وهب فى عمله فهو مخدوع ، ومن وهب بعد العزل فهو أحمق ، ومن وهب من خزائن سلطانه أو ميراث لم يتعب فيه فهو مخذول ، ومن وهب من كيسه وما استفاد بحيلته فهو المطبوع على قلبه ، المختوم على سمعه وبصره

— ومن إنشاداتهم

لا تجُد بالعطاء فى غـــير حق * ليس فى منع غير ذى الحق بخلُ

— وقال كثيّر :

إذا المال لم يوجب عليك عطاءهُ * حقيقة تقوًى أو صديق تراقبه
منعت وبعض المنع حزم وقوةٌ * ولم يعتملك المـال إلا حقائبـه

— ابن المعتز :

يا رب جود جرّ فقر امرىءٍ * فقام للنـاس مقام الذليـــل
فاشـدد عرُا مالك واسـتبقهِ * فالبخل خير من سؤال البخيل

وصف بخيل

وكتب بعض البخلاء يصف بخيلا :

حضرت أعزك الله مائدة فـــلان للقدر المحتوم ، والحَيْن المتاح ، والشـقاء الغالب ، فرأيت أوانى تروق العيون محـاسنها ، ويونق النفوس ظاهرها وباطنهـا ، وتزهى اللحظات ببدائع غرائبها ، وتسـتوفى الشهوات بلطائف عجائبها . مكاللة بأحسن من حلى الحسان ووجوهها ، وزهر الرياض ونورها ، كأن الشـمس حلت بساحتها ، والبدر يغرف من حافتها ، فمددت يداً عنّتها الشراهة ، وغلبها القدر الغالب ، وجرها الطمع الكاذب ، وإذا له مع كسر كل رغيف لحظة نكر ، ومع كل لقمة نظرة شزر ، وفيما بين ذلك حُرق قائمة ، يصلَى بها من حضره من الغلمان والخدم ، ومع ذلك فـــترة المغشىّ عليـه من الموت ، فلما وضعت الحرب أوزارها برفع الخـوان ، وتجلت عنه سماء من الغشيان ، بسط لسان جهله ، ونص ما ظهر من بخـله ، ونظر إلى مؤاكله ، نظر المشرف له بأكلته ، المـالك لخيط رقبته ، يظن أنه أولى من والديه بنسبته ، وأحق بماله ، من ولده وعياله ، يرى ذلك فرضـا واجبا ، وحقا لازما ، نزل به الـكتاب والسنة ، واتفق عليه قضاة الأمـــة فان دفعه رده حكم القضاء إليه ، وإن سمح به فغير محمود عليه .

الصديق

ابن المعتز وغيره :

— إنما سمى الصديق صديقا لصدقه فيما يدعيه لك ، وســـمى العدو عدوّا لعدْوه عليك إذا ظفر بك

— علامة الصديق إذا أراد القطيعة أن يؤخر الجواب ، ولا يبتـدىء

بالكتاب ، ولا يفسد بك الظن على صديق قد أصلحك اليقين له .

— إذا كثرت ذنوب الصديق انمحق السرور به ، وتسلطت التهم عليه

— من لم يقدم الامتحان قبل الثقة ، والثقة قبل الأنس ، أثمرت مودته ندما

— نصح الصديق تأديب ، ونصح العدو تأنيب

— ظاهر العتاب خير من باطن الحقد

— ما حبس الود بمثل العتاب

ترك العتاب إذا استحق أخ * منك العتاب ذريعة الهجر

— وكتب أبو إسحق الصابى إلى صديق له من الحبس : نحن فى الصحبة كالنسرين ، لكنى واقع ، وعلى الطائر أن يغشى أخاه ويراجع

— من قلّ صدقه قلّ صديقه

— من صدقت لهجته ، ظهرت حجته

— الصادق بين المهابة والمحبة

— من عرف بالصدق جاز كذبه ، ومن عرف بالكذب لم يجز صدقه ، ومن تمام الصدق الإخبار بما تحتمل العقول .

بلاغة أبى تمام

وكتب الحسن بن وهب إلى أبى تمام الطائى :

أنت حفظك الله تحتذى من البيان فى النظام مثل ما يقصد بحر فى الدرر من الافهام ، والفضل لك أعزك الله إذ كنت تأتى به فى غاية الاقتدار ، على غاية الاقتصار ، فى منظوم الأشعار ، فتحل متعقده ، وتربط متشرده ، وتنظم أشطاره ، وتجلو أنواره ، وتفصله فى حدوده ، وتخرجه فى قيوده ، ثم لا تأتى به مهما اقتبسته مشتركا فيلبس ، ولا متعقدا فيطول ، ولا متكلفا .

فيحول ، فهو كالمعجزة تضرب فيها الأمثال ، ويشرح فيه المقال ، فلا أعدمنا الله هداياك واردة ، وفوائدك وافدة ! وهى طويلة

وفى هذه الرسالة يقول أبو تمام وقد أرى أنه قال ذلك فى غيرها :

فى كل يوم صدور الكتب صادرةٌ * من رأيه وندى كفيه عن مثلِ
عن خط أقلامه يجرى القضاء على * كل الخلائق بين البيض والأسل
كأن أسطره فى بطن مهْرَقهِ * نَور يضاحك دمع الوا كف الخضل
لعابه علل والصدر ينفثها * وربما كان فيه النفع للعلل
كالنار تعطيك من نور ومن حُرق * والدهر يعطيك من غم ومن جذل

وقال آخر :

مدادٌ مثل خافيةِ الغرابِ * و رقٌ مثل رقراق السرابِ
وأقلامٌ كأطراف الحراب * وألفاظ كأيام الشباب

بلاغة عمرو بن مسعدة

وقال أحمد بن يوسف : دخلت على المأمون وفى يده كتاب وهو يعاود قراءته مرة بعد مرة ، ويصعّد فيه بصره ويصوّبه ، فالتفت إلىّ وقد لحظنى فى أثناء قراءته للكتاب فقال : أراك منكرا منى ما تراه ! قلت : نعم ، وقى الله أمير المؤمنين المخاوف ! قال : لامكروه إن شاء الله ، ولكنى قرأت كتابا وجدته نظير ما سمعت الرشيد يقوله عن البلاغة ، فانى سمعته يقول : البلاغة التباعد من الإطالة ، والتقرب من البغية ، والدلالة بالقليل من اللفظ على الكثير من المعنى . وما كنت أتوهم أحدا يقدر على هذه البلاغة حتى قرأت هذا الكتاب من عمرو بن مسعدة الينا فاذا فيه :

« كتابى إلى أمير المؤمنين ومَن قِبَلى من الأجناد والقواد فى الطاعة

والانقياد على أحسن ما تكون عليه طاعة جند تأخرت أعطياتهم ، واختلت أحوالهم ! »

ألا ترى يا أحمد إلى إدماجه فى الاجناد ، وإعفائه سلطانه من الاكثار ؟ ثم أمر لهم برزق ثمانية أشهر

وفى عمرو بن مسعدة يقول أبو محمد عبد الله بن أيوب التيمى :

أعنّى على بارق ناضب * خفىٍّ كوحيك بالحاجبِ
كأن تألقه فى السماء * يدا كاتب أو يدا حاسب
فروّى منازل تذكارها * يهيّج من شوقك الغالب
غريب يحن لأوطانهِ * ويبكى على عصره الذاهب
كفاك أبو الفضل عمرو الندى * مطالعة الأمل الكاذب
وصدق الرجاء وحسن الوفاء * لعمرو بن مسعدة الكاتب
عريض الفناء طويل البنا * ء فى العز والشرف الثاقب
بنى الملك طود له يتقيه * وأهل الخلافة من غالب
هو المرتجى لصروف الزمان * ومعتصم الراغب الراهب
جوادٌ بما ملكت كفهُ * على الضيف والجار والصاحب
بأدم الركاب ووشى الثيا * ب والطرْف والطفلة الكاعب
تؤمــلهُ لجسام الأمور * ونرجوه للجلل الكارب
خصيب الجنان مطير السحاب * بشيمته لين الجانب
يروّى القنا من نحور العدا * ويغرق فى الجود كاللاعب
إليك تبدّت بأكوارها * حراجيج فى مهمهٍ لاحب
كأن نعاما تبارى بنا * بوابل من برد عاصب
يردن ندى كفك المرتجى * ويقضين من حقك الواجب
ولله ما أنت من خابر * بسجْل لقوم ومن خارب

فتسق العدا بكؤوس الردى * وتسبق مسئلة الطالب
وكم راغب نلته بالعطا * وكم نلت بالعطف من هارب
وتلك الخلائق أعطيتها * وفضل من المانع الواجب
كسبت الثناء وكسب الثنا * ء أفضل مكسبة الكاسب
يقينك يجلو ستور الدجا * وظنك يخبر بالغائب

وهذا الشعر يتدفق طبعاً وسلاسة * قلت والكلام الجيد الطبع، مقبول في السمع ، قريب المثال ، بعيد المنال ، أنيق الديباجة ، رقيق الزجاجة ، يدنو من فهم سامعه ، كدنوه من فهم صانعه ، والمصنوع مثقف الكعوب ، معتدل الأنبوب ، يطرد ماء البديع على جنباته ، ويجول رونق الحسن في صفحاته ، كما يجول السحر في الطرف الكحيل ، والأثر في السيف الصقيل، وحمل الصانع شعره على الاكراه في التعمل بتنقيح المباني ، دون إصلاح المعاني ، ينور آثار صنعته ، ويطفىء أنوار صبغته ، ويخرجه فساد التعسف ، وقبح التكلف ، وإلقاء المطبوع بيده إلى قبول ما يبعثه هاجسه ، وتنفيه وساوسه ، من غير إعمال النظر ، وتدقيق الفكر ، يخرجه إلى حد المشتهر من الرث ، والجنى المطروح الغث ، وأحسن ما أجرى إليه ، وعول عليه ، التوسط بين الحالتين ، والمنزلة بين المنزلتين ، من الطبع والصنعة . وقد قال أعرابي للحسن البصري : علمني ديناً وسطاً لاسافطاً سقوطاً ، ولا ذاهباً فروطا

قال أحسنت ، خير الأمور أوساطها

والبحتري عن هذا القوس ينزع ، وإلى هذا النحو يرجع

مدح ابن المعتز للمكتفي

ومن الشعر الذي يجري في النفس مجرى النفس قول ابن المعتز يمدح المكتفي إذ قدم من الرقة بعد القبض على القرمطي فقال :

لا ورمان النهود * فوق أغصان القدود

وعناقيد من أصدا * غ وورد من خدود
وبدور من وجوهٍ * طالعـــات بالسعود
ورسول جاء بالمي * عاد من بعد الوعيد
ونعيم من وصال * فى قفا طول الصدود
ما رأت عينى كعيد * زارنى فى يوم عيد
فى قباء فاختىّ اللو * نِ من لبس الجديد
كلما قاتل جندىٌ * بسيفٍ وعمـــود
قاتل الناس بعينيـ * نِ وخدين وجيد
قد سقانى الراح من فيـ * ـه على رغم الحسود
وتعـــانقنا كأنا * وهو فى عقد شديد
نقرع الثغر بثغـــر * طيّب عند الورود
مرحباً بالملك القا * دم بالجد السعيد
يا مذل البغى يا قا * تل حيات الحقود
عش ودم فى ظل عيش * خالد باق جديد
فلقد أصبح أعدا * ؤك كالزرع الحصيد
ثم قد صاروا حديثاً * مثل عاد وثمـــود
جاءهم بحر حديد * تحت أظلال بنود
فيه عقبان خيـــول * فوقها أســـد جنود
وردوا الحرب فدوا * كل خطىّ مديد
وحسام شَرِه الحدّ * إلى قطع الوريد
ما لهذا الفتح يا خيـ * ـر إمام من نديد
فاحمد الله فان الـ * ـحمد مفتاح المزيد

على بن الخليل

وقول على بن الخليل مولى يزيد بن مزيد الشيبانى وكان يُرمى بالزندقة قال الفضل بن الربيع جلس الرشيد يوماً للمظالم فجعلت أتصفح الناس وأسمع كلامهم فرميت بطرفى فرأيت فى آخرهم شيخاً حسن الهيئة والوجه، ما رأيت أحسن منه فوقف حتى تقوض المجلس ثم قال: يا أمير المؤمنين قصتى! فأمر بأخذها فقال إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لى فى قراءتها فانا أحسن تعبيراً لخطى من غيرى، فقال له اقرأ فقال: شيخ ضعيف، ومقام صعب، ولا يأمن الاضطراب، فان رأى أمير المؤمنين أن يصل عنايته بأمرى فى الاذن بالجلوس فعل، فقال اجلس فجلس وأنشأ يقول:

ياخير من وخدت بأرحلهِ * نجب الركاب بمهمه حلسِ
تطوى السباسب فى أزمتها * طى التجار عمائم البرس
لما رأتك الشمس طالعة * سجدت لوجهك طلعة الشمس
خير البرية أنت كلهم * فى يومك الغادى وفى أمس
وكذاك ماتنفك خيرهمُ * تمسى وتصبح فوق ماتمسى
لله ماهرون من ملك * عف السريرة طاهر النفس
تمتْ عليه لربه نعمٌ * تزداد جِدتها مع اللبس
من عترة طابت أرومتها * أهل العفاف ومنتهى القدس
متهللين على أسرتهم * ولدى الهياج مصاعب شُمس
انى لجأت اليك من فزع * قد كان شردنى ومن لَبْس
لما استخرت الله مجتهداً * يممت نحوك رحلة العنس
واخترت حلمك لا أجاوزه * حتى أغيّب فى ثرى رمسى
كم قد سريت اليك مجتهداً * ليلا يموج كحالك النِقس
ان راعنى من هاجس فزع * كان التوكل عنده ترسى

ما ذاك الا أنى رجل * أصبو الى بقر من الانس
بيض أوانس لا قرون لها * يقتلن بالتطويل والحبس
وأجاذب الفتيان بينهمُ * صفراء مثل مجاجة الورس
للماء فى حافاتها حبب * نظمٌ كرقم صحائف الفرس
والله يعلم فى بنيته * ما إن أضعت قيامة الخمس

قال ومن تكون : قال على بن الخليل، يقال له زنديق ، فقال له أنت آمن وأمر له بخمسة آلاف درهم .

وصف دعوة

أنشد أبو العباس المبرد لرجل يصف دعوة دعا الله عز وجل بها وقد رأيتها فى شعر محمد بن حازم الباهلى

وسارية لم تسرِ فى الارض تبتغى * محلا ولم يقطع بها البيد قاطعُ
سرت حيث لم تحد الركاب ولم تنخ * لوردٍ ولم يقصر لها القيد مانع
تمر بجنح الليل والليل ضاربٌ * بجثمانه فيه سميرٌ وهاجع
اذا وردت لم يردد الله وفدها * على أهلها والله راءٍ وسامع
تفتّح أبواب السموات دونها * اذا قرع الأبواب منهن قارع
وإنى لأرجو الله حتى كأنني * أرى بجميل الظن ما الله صانع

رفق معن بن زائدة

ودخل رجل على معن بن زائدة فقال : ماهذه الغيبة ؟ فقال :

أيها الأمير، ماغاب عن العين من يذكره القلب ، ومازال شوقى الى الأمير شديداً ، وهو دون مايجب له ، وذكرى له كثيراً، وهو دون قدره ، ولكن جفوة الحجّاب ، وقلة بشر الغلمان ، منعانى من الاكثار !

فأمر بتسهيل حجابه وأجزل صلته

وقال أبو جعفر المنصور لمعن بن زائدة : كبرت يامعن ! قال في طاعتك يا أمير المؤمنين ، قال وإنك لجلد ، قال على أعدائك ، قال وإن فيك لبقية ، قال هي لك ياأمير المؤمنين ، قال فأى الدولتين أحب اليك هذه أم دولة بني أمية ؟ قال ذلك اليك يا أمير المؤمنين إن زاد برك على برهم كانت دولتك أحب الىّ

ومعن هذا هو معن بن زائدة بن عبد الله بن شرحبيل بن قتيبة بن همام ابن مرة بن ذهل بن شيبان . وبنو مطرهم بيت شيبان وشيبان بيت ربيعة وكان من أجود الناس . وفيه يقول مروان بن أبي حفصة ويعم بني مطر :

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم * أسودٌ لها في غيل خفان أشبلُ
همُ يمنعون الجار حتى كأنما * لجارهمُ بين السماكين منزل
ولا يستطيع الفاعلون فعالهمْ * وإن أحسنوا في النائبات وأجملوا
بهاليل في الاسلام سادوا ولم يكن * كأولهم في الجاهلية أول
هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دعوا * أجابوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا

أخذ البيت الأول ابن الرومي وزاد فيه فقال :

تلقاهمُ ورماح الخط بينهمُ * كالأُسدِ ألبسها الآجام خفانُ

الرأى والشجاعة

اتى قوم من العرب شيخاً لهم قد أربى على الثمانين وأهدف على التسعين فقالوا : إن عدونا استاق سرحنا فأشر علينا بما ندرك به الثار ، وتنفى به عنا العار ، فقال : الضعف فسخ همتى ، ونكث ابرام عزيمتى ، ولكن شاوروا الشجعان من ذوى العزم ، والجبناء من أولى الحزم ، فان الجبان لا يألو برأيه كما يقى بالحكم ، والشجاع لا يألو برأيه كما يشيد ذكركم ، ثم اخلصوا من الزلنين بنتيجة تبعد عنكم معرة نقص الجبان ، وتهوّر الشجعان ، فان نجم الرأى على هذا كان أنفذ على عدوكم من السهم الصائب والحسام القاضب

قضاء الله وعدله

قال الأصمعي : سمعت أعرابية تقول لرجل تخاصمه : والله لو صوّر الجهل لأظلم معه النهار ، ولو صوّر العقل لأضاء معه الليـــل ، وانك من أفضلهما لمعدم ، نخف الله ، واعلم أن من ورائك حكَماً لا يحتاج المدعى عنده الى إحضار بينة

بنو كليب

قال الفرزدق يهجو كليبا :

ولو يرمى بلؤم بنى كليب * نجوم الليل ما وضحت اسارى
ولو لبس النهارَ بنو كليب * لدنس لؤمهم وَضَحَ النهار

اللهم آمين

وقال سفيان بن عيينة سمعت أعرابياً يقول عشية عرفة :

اللهم لا تحرمنى خير ماعندك لشر ماعندى ، وإن لم تتقبل تعبي ونصبى فلا تحرمنى أجر المصاب على مصيبته

عتاب الأصدقاء

وقال آخر منهم لصديق استبطأه فلامه : كانت بى زلة يمنعنى من ذكرها ما أملت من تجاوزك عنها ، ولست أعتذر إليك منها إلا بالاقلاع عنها

وقال آخر لابن عم له : والله ما أعرف تقصيراً فأقلع ،ولا ذنباً فأعتب، ولست أقول إنك كذبت ، ولا انى أذنبت

وقال آخر لابن عم له : سأتخطى ذنبك إلى عذرك ، فانى كنت من أحدهما على يقين ، ومن الآخر على شك ، لتتم النعمة منى إليك ، وتقوم الحجة لى عليك

كيف العزاء

وأصيب أعرابى بابن له فقال وقد قيل له اصبر : أعلى الله أتجلد أم فى مصيبتى أتبلد ؟ والله للجزع من أمره أحب إلىّ الآن من الصبر : لأن الجزع استكانة والصبر قساوة ، ولئن لم أجزع من النقص لم أفرح بالمزيد

كلمة صدق

ودعا أعرابى فقال : اللهم إنى أعوذ بك أن أفتقر فى غناك ، أو أضلّ فى هداك ، أو أذل فى عزك ، أو أضام فى سلطانك ، أو أضطهد والأمر إليك

احذر رجل السوء

قال الأصمعى سمعت أعرابياً يعظ رجلا وهو يقول : ويحك إن فلاناً وان ضحك إليك ، فانه يضحك منك ، ولئن أظهر الشفقة عليك ، إن عقاربه لتسرى إليك ، فإن لم تتخذه عدواً فى علانيتك ، فلا تجعله صديقا فى سريرتك

لا تقع فى السلطان

سمع أعرابى رجلا يقع فى السلطان فقال : انك غُفل لم تَسِمك التجارب وفى النصح لسع العقارب ، كأنى بالضاحك اليك ، وهو باك عليك

احذر الاستدراج

حذر بعض الحكماء صديقاً له صحبه رجل فقال :

احذر فلانا فانه كثير المسألة حسن البحث ، لطيف الاستدراج ، يحفظ

أول كلامك على آخره ، ويعتبر ما أخرت بما قدمت ، فلا تظهرن له المخافة فيرى أنك قد تحرزت ، واعلم أن من يقظة الفطنة إظهار الغفلة مع شدة الحذر ، فباثه مباثة الآمن ، وتحفظ منه تحفظ الخائف ، فان البحث يظهر الخفى الباطن ، ويبدى المستكن الكامن

كلام الاعراب

أتى أعرابى رجلا لم يكن بينه وبينه حرمة فى حاجة له فقال : إنى امتطيت اليك الرجاء ، وسرت على الأمل ، ورافقت الشكر ، وتوسلت بحسن الظن ، فحقق الأمل ، وأحسن المثوبة ، وأكرم الصفد ، وأقم الأود ، وعجل السراح

قال الأصمعى وسمعت أعرابيا يقول : إذا ثبتت الأصول فى القلوب ، نطقت الألسنة بالفروع ، والله يعلم أن قلبى لك شاكر ، ولسانى ذاكر ، ومحال أن يظهر الود المستقيم ، من الفؤاد السقيم

ومدح أعرابى رجلا فقال : إنه ليغسل من العار وجوها مسودة ، ويفتح من الرأى أبوابا منسدة

وقال أعرابى

كم قد ولدتم من رئيس قسور * دامى الأظافر فى الخميس الممطر
سدكت أنامله بقائم مرهف * ويقيم هامته مقام المغفر
ما إن يريد إذا الرماح تشاجرت * درعا سوى سربال طول العنصر
ويقول للطرف اصطبر لشبا القنا * فعقرت ركن المجد إن لم تعقر
وإذا تأمل شخص ضيف مقبل * متسربل سربال محل أغبر
أوما إلى الكوماء هذا طارق * نحرتنى الأعداء إن لم تنحرى

وقال

قامت تصدى له عمداً لغفلته * فلم ير الناس وجداً كالذى وجدا

جيداء ربداء لم تعـ ـقد قلائدها * وناهد مثل قلب الظبي ماحصدا
فراح كالحائم الصديان ليس له * صبر ولا يأمن الأعداءَ إن وردا

وقال آخر

ومكتّمات بعدَ وهن طرقنني * بأردية الظلمـاء ملتحفاتِ
دسسن رسولا ناصحاً وتلونهُ * على رقبة منهن مستترات
فبت أعاطيهن صِرف مدامةٍ * وبتن على اللذات معتكفات
فياوجد قلبي يوم إتلاء ناظرى * سليمى وجادت بعدها عبراتى

حكم باقية

وقال الأحنف بن قيس : من لم يستوحش من ذل المسئلة لم يأنف من الرد . وقال سفيان الثورى لأخ له : هل بلغك شيء مما تكرهه عمن لا تعرفه ؟ قال: لا. قال : فأقلل ممن تعرف

أخذه ابن الرومى فقال

عدوك من صديقك مستفادٌ * فأقلل ما استطعت من الصحابِ
فان الداء أكثر ما تراهُ * يكون من الطعام أو الشراب
فدع عنك الكثير فكم كثير * يُعاف وكم قليـل مستطاب
وما اللجج المِلاح مرويّات * ويُلفى الرى فى النُّطف العِذاب

خالد القسرى

وقال رجل لخالد القسرى : والله إنك لتبذل ما جلّ ، وتجبر ما انفلّ ، وتكثر ما قل ، ففضلك بديع ، ورأيك جميع ، تحفظ ماشد ، وتؤلف ماندّ

صفات الكرماء

وسئل أعرابي عن قومه فقال : يقتلون الفقر عند شدة القر ، وأرواح

الشتاء ، وهبوب الجربياء ، بأسنمة الجزور ، ومترعات القـدور ، تهش وجوههم عند طلب المعروف ، وتعبس عند لمعان السيوف

ووصف أعرابى قوما فقال : لهم جود كرام اتسعت أحوالها ، وباس ليوث تتبعها أشبالها ، وهمم ملوك انفسحت آمالها ، ونخر آباء شرفت أخوالها

خالد بن صفوان

وقال خالد بن صفوان وقد دخل على بعض الولاة :

قدمت فأعطيت كلا بقسطه من نظرك ، وصوتك ، وعدلك ، حتى كأنك من كل أحد ، وحتى كأنك لست من أحد

وذكر خالد رجلا فقال :

كان والله بديع المنطق ، زلق الجرأة ، جزل الألفاظ ، عربى اللسان ، ثابت العقدة ، رقيق الحواشى ، خفيف الشفتين ، بليل الريق ، رحب الشرف ، قليل الحركات ، خفى الاشارات ، حلو الشمائل ، حسن الطلاوة ، حييا جريا ، قؤولا صموتا ، يفـل الحز ، ويصيب المفاصل ، لم يكن بالمعـذر فى منطقه ، ولا بالزمن فى مروءته ، ولا بالخرق فى خليقته ، متبوعا غير تابع ، كأنه عَلَم فى رأسه نار

كلمة ثنـاء

وقال بعض البلغاء لرئيسه :

إن من النعمـة على المثنى عليك أنه لا يأمن من التقصير . ولا يخاف الافراط ، ولا يحذر أن تلحقه نقيصة الـكذب ، ولا ينتهى به المـدح إلى غاية إلا وجد فى فضلك عونا على مجاوزتها ، ومن سعادة جَدك أن الداعى لا يعدم كثرة المشايعين ومساعدة النية على ظاهر القول

ألفاظ المدح والثناء

جملة من الكلام فى ضروب المادح :

— قد وضعت كثرة التجارب فى يده مرآة العواقب

— قد نجذته صروف الدهور ، وحنكته مصاير الأمور

— قد أرضعته الحنكة بلبانها ، وأدبته الدربة فى إبّانها

— نوازل التجارب حنكته ، وفوادح الأيام عركته

— هو عارف بتصاريف الأيام ، وتولّى النقض والابرام

— هو ابن الدهر حنكة وتجريبا ، وعُوداً على الغمز صليبا ، قد أدبه الليل والنهار ، ودارت على رأسه الأدوار ، واختلفت به الأطوار

— له همة علا جناحها إلى عنان النجم ، وامتد صباحها من شرق إلى غرب ، لا يتعاظمه انتزاف البحر إذا أخطره بفكره ، ولا انتساف الصخر إذا ألقاه فى وهمه

— همته أبعد من مناط الفرقد ، وأعلى من منكب الجوزاء ، وأوسع من الأرض ، ذات العرض

— هو حىّ القلب ، منشرح الصدر ، ذكى الذهن ، شجاع الطبع ، ليس بالتؤوم ولا السؤوم ، فذٌّ فرد ، وأسدٌ وَرد ، كأن له فى كل جارحة قلبا ، كأن قلبه عين ، وكأن حِسَّهُ سمع ، شهاب مقدم ، وقِدح مقوَّم

— هو شهم مشدود النطاق ، قائم على ساق ، قد جد واجتهد ، وحشر وحشد ، شمر عن ساق الجد ما أطاق ، وشدّ له النطاق

— قد ركب الصعب والذلول ، وتجشم الحزون والسُّهول ، وقطع البر والبحر وأعمل السيف والرمح ، وأسرج الدُّهم والشهب

— هو مولود فى طالع الكمال ، وهو جملة الجمال ، قد أصبح عين المكارم ، وزين المحافل

— هو فرد دهره ، وشمس عصره ، وزين مصره ، وهو عَلَم الفضل ، وواسطة عِقد الدهر ، ونادرة الفلك ، ونكتة الدنيا ، وغرة العصر ، قد بايعته يد المجد ، ومالت فيه الشورى إلى النصر

— فلان يزيد عليهم زيادة الشمس على البدر ، والبحر على القطر ، هو رائش نبلهم ، ونبعة فضلهم ، وجمة وردهم ، وواسطة عقدهم ، هو صدرهم وبدرهم ، وعليه يدور أمرهم ، ينيف عليهم إنافة صفحة الشمس على كرة الأرض ، كأنهم فلك هو قطبه ، وجَسَدٌ هو قلبه ، ومملوك هو ربه ، هو مشهور بسيادتهم ، وواسطة قلادتهم

— موضعه من أهل الفضل موضع الواسطة من العقد ، وليلة التم من الشهر ، بل ليلة القدر إلى مطلع الفجر .

— أفضل وأنعم، وأسدى فى الاحسان وألحم ، وأسرج فى الاكرام وألجم

— قسم من إنعامه ما يسع أُمما ، ويلقى السعادة أُمما ، إنما أعطاه عنان الاهتمام حتى استولى على قصب المرام

— رُدّ عنه الدهر أحص الجناح ، وملكه مقادة النجاح

— أولاه من معهود البر ومألوفه ، ما قصرت الأعداء عن مئاته وألوفه . أولاه إسعافاً سمحا ، وعطاء سحا ، ومننا صفواً وعفواً

— أفاض عليه شعاب البر ومسايله ، وجمع له شعوب الجميل وقبائله ، وهطلت عليه سحائب عنايته ، ورفرفت حوله أجنحة رعايته . قد فكه بكرمه من قيد السؤال ، ومعرة الاختلال ، راشه بعد أن حصه الفقر، وأرضاه وقد أسخطه الدهر . ربما نمنا ملء العيون ، و سهردوننا لتحقيق الظنون

— قد شِمت من كرمه أكرم سحاب ، وحصلت من انعامه فى أخصب جناب

— قد سد ثلمة حالى ، وأدر حلوبة مالى

— ما أخلو من طل إحسانه ووابله ، وغابر إنعامه وقابله

— قد استمطرت منه بنوء غزير ، وسرت فى ضوء قمر منير

— قد كرعت من بره فى مشارع تغزر ولا تنزر ، ورفلت من طَوله فى ملابس تطول ولا تقصر

— أنا منه فى ظل ظليل ، وفضل جزيل ، وريح بليل ، ونسيم عليل ، وماء روىّ ، ومهاد وطىّ ، وكن كنين ، ومكان مكين

— أنا آوى الى ظله كما يأوى الصيد المذعور الى الحرم ، وأواجه منه وجه المجد وصورة الكرم

— أنا من إنعامه بين خير مستفيض ، وجاه عريض ، ونعم بيض

— قد استظهرت على جور الأيام بعدله ، واستترت من دهرى بظله

— جميع ما أردد فيه طرفى وأعده من خالص ملكى منتسب إلى عطائه ، أو مكتسب بجميل آرائه

— مسافة بصرى تبعد إن سافرت فى مواهبه ، وركائب فكرى تظلع إن أنضيتها فى استقراء صنائعه

— نعمته نعمة عمت الأمم ، وسبقت النعم ، وكشفت الهموم ورفعت الهمم

— نعمة قد سطع صباحها مستنيراً ، وطنّب شعاعها مستطيراً . قد عركتنى نعمه حتى استنفدت شكر لسانى ويدى ، وأثقلت ظهرى ، وملأت صدرى ، نعمه عندى مشرقة الجو ، مغدقه النو ، مونقة الضو . تتابعت نعمه تتابع القطر ، على القفر . وترادفت مننه ترادف الغنى الى ذوى الفقر . نعمه أشرقت لها أرضى ، ومُطر بها روضى . وورى لها زندى ، وعلا معها َجدى ، وأتانى الزمان يعتذر من إساءته ، وجاءنى الدهر ينتظر أمرى

— نعمة أنعمت البال ، وسرت النفس والحال

— نعم تعم عموم المطر ، وتزيد عليه بافراد النفع عن الضرر

— نعم تضعف الخواطر عن التماحها ، وتصغر القرائح عن اقتراحها

— لك أياد قد عمت الآفاق ، ووسمت الأعناق ؛ أياد قد حبست عليك الشكر ، واستعبدت لك الحر ، منن توالت توالى القطر ، واتسعت سعة البر والبحر ، وأثقلت كاهل العبد والحر

— عندى قلادة منتظمة من مننه قد جعلتها وقفاً على نحور الأيام ، وجلوتها على أبصار الأنام

أيادي يقصر عن حقوقها جهد القول ، ويزهر منها ساطع الانعام والطول

— أياديه أطواق فى أجياد الأحرار ، وأفلاك تدور على ذوى الأخطار

— له منن تضعف عن حملها عواتق الأجياد ، ويتضاعف حملها على السبع الشداد ، لو تحمّل الثقلان ثقل هذا الامتنان لأثقل كواهلهم وأضعف عواتقهم

— أياد يفرض لها الشكر ويحتم ، ومنن يبدأ بها الذكر ويختم . أياد تثقل الكاهل ، ومنن تتعب الأنامل

— منن تضعف مُنن الشكر ، وينشر معها قوى النشر . منن هى أ ن أثراً من الغيث فى أزاهير الربيع ، وأحلى موقعاً من الأمن عند الخائف المروع

— إن أتعبت نفسى فى تعداد مننه وحصرها ، فسأطمع فى إحصاء السحاب وقطرها

— أياد لا تحصى أو تحصى محاسن النجوم ومنن لا تحصر أو تحصر أقطار الغيوم

— أياد بعدد الرمل والمد ، أعيت على العد ، ولم تقف عند حد

— زادت أياديه حتى كادت تجهد الاعتداد ، وتسبق الأعداد

— أياديه عندى أغزر من قطر المطر ، وعوارفه لدىّ أسرع من رجع البصر

— رفعته من قعر التراب ، إلى سمك السحاب

— استنبطه من الحضيض الأوهد ، إلى السناء الأبعد ، وقد نبهه عن

خمول ، وأجرى الماء فى عوده بعد ذبول ، ورقاه إلى ذروة من المجد لاتزول

— فضائل تزل أقدام النجوم لو وطئتها وتقصر همم الأفلاك لو طلبتها

— ثبت قدمه فى المحل المنيف ، ومكنه من جوامع التشريف

— جذب بضبعه من المسقط المنحط ، إلى المرفع المشتط

صدور الكتب

فقر فى أدعية صدور الكتب مما يليق بهذه الأثنية والمدائح

— أطال الله له البقاء ، كطول يده بالعطاء ، ومدّ له فى العمر ، كامتداد ظله على الحر ، وأدام له المواهب ، كما أفاض به الرغائب ، وحرس لديه الفضائل ، كما عوّذ به الشمائل

— تولى الله عنى مكافأته ، وأعان على الخير نيته وفعله ، وأصحب بقاءه عزاً يبسط يديه لأوليائه على أعدائه ، وكلاءه يذب عن ودائع مننه عنده ، وزاد فى نعمه وإن عظمت ، وبلغه آماله وإن انفسحت ، ولا زال الفضل يأوى منه إلى ركن منيع ، وجناب مريع

— لا زالت الألسن عليه بالثناء ناطقة ، والقلوب على مودته متطابقة ، والشهادات له بالفضل متناسقة

— لازال يعطف على المصادر والموارد ، عطف الأم والوالد

— أبقاه الله للجميل يعلى معالمه ، ويحمى مكارمه ، ويعمر مدارجه ، ويثمّر نتائجه

— أدام الله أيامه التى هى أيام الفضائل ومواقيتها ، وأزمان المآثر وتواريخها

— أدامه الله للمواهب ، سامية الذوائب ، موفية على أمنية الراجى وبغية الطالب

— أبقاه الله للعطاء يفضه بين خدمه ، والجمال يفيضه على إنشاء نعمه

— الله يتابع له أيام العلى والغبطة ، والنماء والبسطة ، لترتع أنواع الخدم فى رياض فواضله ، وتكرع أصناف الحشم فى حياض مواهبه

— الله يبقيه طويل الذراع ، مديد الباع ، مليا بالافضال والاصطناع جزاه الله عن نعمة هيأها بعد أن أسبغها وعارفة حلاّها بعد أن سوّغها أفضل ما يجازى به مبتدى إحسان ، ومجير إنسان — لازال مكانه مَصانا للكرم ، مَعانا للنعم ، لا تريمه المواهب ، ولا ترومه النوائب ، وبُسطت بالعلا يده ، وقرن بالسعادة جَده ، وجُعل خير يوميه غده

— لا زالت الأيام والليالى مطاياه فى أمانيه وآماله ، وصرف الله صروف الغِيَر عن إصابة إقباله وكماله ، وكما قال ابن المعتز فى القاسم بن عبيدالله

أيا حاسداً يكوى التلهف قلبهُ * إذا مارآه غازياً وسط عسكرِ
تصفّح بنى الدنيا فهل فيهمُ لهُ * نظير ترى ثم اجتهد وتفكر
فان حدثتك النفس أنك مثلهُ * بنجوى ضلال بين جنبيك مضمر
فجد وأجدْ رأياً وأقدم على العدا * وشدّ على الآكم المآزر واصبر
وعاص شياطين الشباب وقارع النـ * ـوائب وارفع صرعة الضر واجبر
فان لم تطق ذا فاعذر الدهر واعترف * بأحكامه واستغفر الله يغفرِ

(انتهى الجزء الثالث)

فهرست

« الجزء الثالث من كتاب زهر الآداب »



استدراك

فى ص ٢١٥ س ١٣ (وعشرة أجل) والصواب (وعاشره أجمل عشرة)
وفى ص ٢١٩ س ١٢ (ان فى كبير حقك) والصواب (ان كبير حقك)
والأفضل أن تقرأ العبارة هكذا (ان كبير حقك علىّ لايبطل صغير حقى عليك)